

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الشروح الأدبية دراسة في تكون الخطاب المعرفي

أ.د. إبراهيم الشتوي

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ISSN: 5248 - 1560

الرسالة ٥٤٠ - الحولية ٤٠

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م (مارس)

حواصط الآداب والعلوم الاجتماعفة

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمف - جامعة الكويت

فصلفة علمفة محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل؁
وتعنى بنشر الموضوعات الفف فدخل فف مجالات
العلوم الإنسانفة والاجتماعفة.

الحولفة الأربعون
الرسالة الأربعون بعد المئة الخامسة
١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

هيئة التحرير

أ. د. يعقوب يوسف الكندري

رئيس هيئة التحرير

أ. د. محمد فلاح القضاة

قسم الإعلام

أ. د. مجدي عبد الحافظ صالح

قسم الفلسفة

أ. د. سند أحمد عبد الفتاح

قسم التاريخ

أ. د. جاسم سليمان الفهيد

قسم اللغة العربية وآدابها

أ. د. عبد المحسن الطبطبائي

قسم اللغة العربية وآدابها

أ. د. هشام فتحي جاد الرب

قسم علم النفس

أ. د. دهيفاء يوسف الكندري

قسم الخدمة الاجتماعية - كلية العلوم الاجتماعية

أ. د. تغريد القدسي

قسم دراسات المعلومات - بكلية العلوم الاجتماعية

د. ليلي محمد حكمت المالح

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

مها إبراهيم المسعد

مديرة التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د. منى بيكر

جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

أ.د. باسل حاتم

الجامعة الأمريكية - الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري

قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

أ.د. إبراهيم السعافين

قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

أ.د. حمدي حسن أبو العينين

قسم كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

أ.د. إسماعيل صبري مقلد

قسم العلوم السياسية - جامعة أسيوط

أ.د. محمود السيد أبو النيل

قسم علم النفس - جامعة عين شمس

قواعد النشر

في حَوَلِيَّاتِ الآدَابِ وَالْعُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ

- ١- تنشرُ الحَوَلِيَّاتُ البحوثَ والدِّرَاسَاتِ الأصيلَةَ باللغَتَيْنِ العربيَّةِ والإنجليزيَّةِ في مجال العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والآداب.
 - ٢- أن تُمثِّلَ الدِّرَاسةُ إضافةً جديدةً في حقلِ التَّخَصُّصِ.
 - ٣- لم يسبقَ نُشْرُ الدِّرَاسةِ بأيِّ صورةٍ كانت، ولم يسبقَ أيضًا تقديمُها للنَّشرِ إلى جهةٍ أخرى في أثناء وُرودها إلى الحَوَلِيَّاتِ. ويلتزم الباحثُ بكتابةِ إقرارٍ وتعهُّدٍ بأنَّ البَحْثَ المُقَدَّمُ لم يسبقَ نُشْرُهُ في أيِّ وعاءٍ نشر، أو أُرسِلَ إلى جهةٍ أخرى.
 - ٤- ألا يقلَّ عَدَدُ كلماتِ الدِّرَاسةِ عن (١٥٠٠٠) كلمة، شاملة المراجع والهوامش والجداول، (بحدود ٥٠ صفحة). وألا يزيدَ عددُ الكلماتِ عن (٦٠٠٠) كلمة (في حدود ٢٠٠ صفحة).
 - ٥- يُقدِّمُ البَحْثُ بالبريد الإلكتروني: (aass@ku.edu.kw) مكتوبًا بواسطة مُعالِج النُّصوص Microsoft Word وعلى مسافةٍ ونصف، وينط (١٤) Arabic Simplified. في حالة البَحْثِ باللُّغة العربيَّة، وعلى مسافتَيْن، وينط (١٢) Roman New Times في حالة البَحْثِ باللُّغة الإنجليزيَّة.
 - ٦- يُرفَقُ الباحثُ ملخَّصًا للبَحْثِ، مطبوعًا باللغَتَيْنِ العربيَّةِ والإنجليزيَّةِ، في حدود (٢٠٠) كلمة. على أن يحتوي ملخَّصُ البَحْثِ على: هَدَفُ الدِّرَاسةِ وأسئلتها، ومنهجُ الدِّرَاسةِ المُستخدَم، وأبرزُ النتائج المُستخلصة، وأهمُّ الاستنتاجات.
 - ٧- يُرفَقُ الباحثُ مع البَحْثِ سيرةٌ علميَّةٌ مُختصرة، مطبوعة باللغَتَيْنِ العربيَّةِ والإنجليزيَّةِ، تشمل أهمَّ مؤلَّفاته وأبحاثه.
 - ٨- تُقدِّمُ الخرائط والأشكال والرسوم (إن وُجدت) بأصولها الصَّالحة للطباعة بصيغة JPG، وبمستوى دَقَّة ٨٠٠×٦٠٠.
 - ٩- في حالة رغبة الباحثِ بنَشْرِ الصُّور أو الخرائط أو الأشكال البيانيَّة الملونة، يلتزمُ بدفع تكاليفها.
 - ١٠- يراعي الباحثُ عند كتابة البَحْثِ الالتزامَ بأحدث نسخة من أحد النُّظامين:
أ - Modern Language Association MLA
ب - American Psychological Association APA
- يستخدمُ في البحوث والدِّرَاسات في مجال العلوم الإنسانية والآداب نظام MLA، والبحاث في مجال الدِّرَاسات الاجتماعية نظام APA، من حيثُ كتابة المراجع والهوامش في متن البَحْث، أو في قائمة المراجع.
- أولًا: في الدِّرَاسات في مجال العلوم الإنسانية والآداب، يمكن كتابة المرجع على نظام MLA على الوجه الموضح أدناه:
- ١ - الهوامش: - توضع الهوامش في نهاية البَحْث في حالة عدم وجود فصول.
 - تُرتَّبُ أرقامُ التَّوثيقِ بطريقة متسلسلة حتى نهاية كلِّ فصل، أو حتى نهاية البَحْث في حالة عدم وجود فصول.
 - تثبت الهوامش عند ذِكْرها لأول مرة كاملة على النَّحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، رَقْمُ الجزء، رَقْمُ الطُّبْعَةِ، اسم الناشر، مكان النَّشر، سنة النَّشر، رَقْمُ الصَّفْحَةِ.
- مثال: (ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، جزء ٢، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١١٦).
- ٢- المراجع:
- (فؤاد زكريا، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١١).

ويمكن الرجوع إلى العديد من المواقع التي توضح عملية استخدام المراجع، منها:

[quickguide/mla/com.libguides.irsc:http](http://quickguide/mla/com.libguides.irsc)

ثانيًا: في مجال العلوم الاجتماعية، يمكن كتابة المراجع على الوجه الموضح أدناه (APA):

١- كتابة المرجع في المتن: اسم العائلة للمؤلف متبوعًا بفاصلة، ثم سنة النشر. (يُرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام APA لمزيد من التفاصيل)

مثال: (Cortois, 2001)

٢- قائمة المراجع: يُرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام APA للتفاصيل.

مثال:

Jones, J. (2005). Writing with style. Style Writing Journal, 12 (6), 1433-.

<http://www.apastyle.org>

ويمكن زيارة موقع:

لمعرفة القواعد الخاصة بهذا النظام.

١١- يجب أن تشمل جميع البحوث على قائمة المراجع كاملة في نهاية البحث، على أن يكون بنط الكتابة بالنص الروماني (Roman Script).

١٢- لمعرفة قواعد وأخلاقيات النشر رجاء مراجعة موقع الحوليات الإلكتروني.

شروط قبول البحوث في الحوليات:

أ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها بأي طريقة.

ب - لا تقبل المجلة نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراه أو أي مستلآت منها.

ج - لا تُرد ولا تُسترجع أصول البحوث المقدمة للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر.

د- لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها. وإذا ثبت ذلك؛ فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.

هـ- يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي سابق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات - على الأقل - على نشره في الحوليات.

و- يُعرض البحث الذي تتوافر فيه القواعد المذكورة سابقًا، بعد موافقة هيئة التحرير، على مُحكمين لتقرير مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة.

و- تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور، كإهداء.

تُرسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة.

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

<http://apc.kuniv.edu.kw/AASS>

E-mail: aass@ku.edu.kw

افتتاحية الإصدار الثالث من الحولية الأربعين - مارس ٢٠٢٠ بقلم رئيس التحرير: أ.د. يعقوب يوسف الكندري

يمرّ العالم خلال هذه الأيام بأشبه ما يمكن أن نسمّيه أزمةً صحيّةً تسبّبت في إرباك الاقتصاد العالمي، وهيجت المشاعر التي يسودها الخوف من مرض مجهول، لم يكتشف له علاج حتى كتابة هذه السطور على الرغم من المحاولات الجادّة، وهو مرض كورونا المستجدّ COVID-19. ولعل المؤشرات العامة لانتشار هذا المرض تدعو للقلق؛ حيث إنّ عدم اكتشاف مصل علاجي إلى الآن وانتشاره بشكل سريع جدّاً في دول بعيدة عن مصدره، والمتمثّل في مدينة (ووهان) في الصّين، قد أثّر بشكل كبير في مستوى التفاعل العالمي، سواء بين الدول بشكل عام أو حتّى على مستوى العلاقات الاجتماعية. ولعل من أبرز الجوانب الاجتماعية التي تفاعلت مع هذا المرض هي المعلومة ومدى انتشارها وانتقالها بشكل سريع جدّاً في ظل وجود وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشار الإشاعة التي وجدت لها مكاناً وبيئة مناسبة لانطلاقها. أثّرت الأزمة في مستوى العلاقات الاجتماعية بشكل عام؛ من زيارات ولقاءات وتجمّعات وحذر من الآخر وغيرها من مستويات التفاعل. وقد أثّرت أيضاً في السياسة بين الدول، وغيرها من التأثيرات. فكانت هذه الأزمة مهدّداً للأمن الاجتماعي العام وخاصّة في تلك الدول التي ظهر وانتشر فيها هذا المرض بوتيرة متسارعة، تاركاً فيها آثاراً مأساوية؛ وهو ما دفع منظّمة الصحة العالمية إلى أن تصنّفه جائحة ووباء عالمياً. نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يحفظنا جميعاً.

في هذا العدد جاءت ستّة أبحاث موزّعة على تخصصات متعدّدة: فقد جاءت الرسالة (٥٣٨) في مجال الإعلام للباحث صابر حسن محمد طر

عن التغطية الإخبارية في القنوات الفضائية اليمنية، والتي جاءت مقارنة لمضامين نشرات الأخبار. وجاءت الرسالة (٥٣٩) في مجال التاريخ للباحث وليد عبد العزيز زين الدين عاكف من جمهورية مصر العربية عن القباب الأندلسية وأنواعها وأصولها ومميزاتها. أمّا الرسالة (٥٤٠)، فجاءت في الأدب وعن الشروح الأدبية في التراث العربي للباحث إبراهيم بن محمد الشتوي من المملكة العربية السعودية. وجاءت الرسالة (٥٤١) عن سياسة السلاطين العثمانيين في اعتنائهم بركب الحجّ في القرن (١٢) الهجري للباحث رشيد زين العابدين من المملكة المغربية. وجاءت الرسالة (٥٤٢) في الأعمال السردية ودراسة أهمّ التقنيات السردية في إحدى الروايات للروائية الكويتية بثينة العيسى، وذلك للباحثة هيلة بنت عبد الله العساف من المملكة العربية السعودية. أمّا الرسالة (٥٤٣)، فجاءت في الاجتماع السياسي للباحث محمد سعيد عبد المجيد من جمهورية مصر العربية وعن الثورات العربية وأبعادها الاجتماعية وأثر ذلك في سياسات التنمية، معتمداً على الحالة المصرية. نتطّلع أن يكون هذا العدد قد حظي بموضوعات مميّزة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأن يحقق الفائدة المرجوة للقارئ.

الرسالة ٥٤٠

الشروح الأدبية دراسة في تكون الخطاب المعرفي

أ. د. إبراهيم الشتوي

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الأربعون ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

المؤلف:

أ.د. إبراهيم بن محمد الشتوي

- دكتوراه في الأدب والنقد. كلية اللغة العربية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ٢٠٠١ بمرتبة الشرف الأولى.
- أستاذ الأدب والنقد والكاتب في ثقافية الجزيرة.

الإنتاج العلمي:

أولاً - البحوث المحكمة:

- ١- مظاهر الزمن ودلالاته في مجموعة تهجيت حلمًا.. تهجيت وهمًا للشاعر محمد الثبيتي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، العدد الثامن، ٢٠٠٤.
- ٢- التناصية في رواية عصر الليمون لطفه وادي، مجلة فكر وإبداع، إصدار علمي جامعي متخصص، إشراف: أ.د. حسن البنداري، الجزء الخامس والعشرون، أغسطس ٢٠٠٤.
- ٣- أدب الطفل: رؤية تحليلية لتحديد المفهوم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، شتاء ٢٠٠٦.
- ٤- في البحث عن الذات: دراسة في رواية سفينة وأميرة الظلال لمها الفيصل، مجلة الأثر، جامعة ورقلة - الجزائر، مايو ٢٠٠٥.
- ٥- المكان الروائي في سقيفة الصفا، مجلة الدارة، الرياض، عدد ٢، س ٣٢، ١٤٢٧هـ.
- ٦- النسوية في الخطاب الأدبي في المملكة العربية السعودية. إصدار الندوة الدولية للمناهج في جامعة الملك سعود ١٤٣١هـ.
- ٧- المكان الصوفي في الرواية العربية، مجلة كلية اللغة العربية في الأزهر فرع الزقازيق. العدد الثاني، ٢٠١٠.
- ٨- عبر الثقافة والهوية قراءة تحليلية لكتاب "تخليص الإبريز في تلخيص الإبريز" لرفاعة الطهطاوي. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- ٩- سؤال القيم في رواية جاهلية للكاتب ليلي الجهني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين. رمضان، ١٤٣٧هـ.
- ١٠- الرواية والتاريخ بحث في جدلية العلاقة، مجلة الدرعية بالرياض، أكتوبر ٢٠١٨.
- ١١- استبدال الهوية: قراءة تحليلية لرواية خارج الجسد لعفاف بطانية، مقال للنشر في مجلة جامعة الطائف، ومنشور في مجلة سمات المحكمة الإلكترونية الصادرة عن جامعة البحرين، مجلد ١ عدد ٢، سبتمبر ٢٠١٣.
- ١٢- الشفاهية والكتابية: قراءة في أساطير الجهمان، صدر في كتاب محكم عن التراث الشعبي في الأدب السعودي، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود. ١٤٣٧هـ.
- ١٣- السلوكي والمعرفي في تكوين الهوية الثقافية دراسة في السيرة الروائية "تجربة فتى متطرف" للدكتور محمد العوين، مجلة سياقات اللغة والدراسات البنائية، مجلد ١، عدد ٢.
- ١٤- مظهرات الذات في نقد السيرة الذاتية السعودي، صدر في بحوث ملتقى النقد السابع. نادي الرياض الأدبي. الرياض.
- ١٥- الاصطلاحية في الدرس النقدي السعودي، مخطوط.
- ١٦- النص التفاعلي: مقارنة تأسيسية، مخطوط.

ثانيًا - الكتب المطبوعة:

- ١- أدب عبد العزيز الرفاعي: دراسة موضوعية وفنية، صدر عن دار الرفاعي - الرياض. ١٩٩٩م.
- ٢- الصراع الحضاري في الرواية المصرية من حرب رمضان إلى حرب الخليج. المؤلف - الرياض. ٢٠٠٢.
- ٣- أبحاث في الهوية: دراسات في الرواية العربية. صدر عن دار شرقيات - القاهرة، ٢٠١٠.
- ٤- دراسات في الأدب والنقد. صدر عن النادي الأدبي - الرياض ١٤٣٨هـ.
- ٥- جدلية الزمان والمكان والإنسان في مجموعة تهجيت حلمًا تهجيت وهمًا. صدر عن دار نور للنشر - ألمانيا ١٤٣٨هـ.
- ٦- حديث الكتاب سيرة علمية. كتاب صدر عن دار المفردات - الرياض. ٢٠١٧.
- ٧- درك المقال دراسات في الأدب السعودي ونقده. يصدر عن نادي مكة الثقافي - مكة. ٢٠٢٠م.

المحتوى

١٥	 الملخص
١٧	 المقدمة
٢٣	 مدخل
٢٩	 أقسام الشروح
٢٩	 أولاً: شروح القرنين الثاني والثالث
٣٤	 ثانياً: شروح ما بعد القرن الثالث
٥٠	 عناصر الشرح:
٥١	 الروايات
٥٨	 الشواهد
٧٤	 الاستشهاد على المعاني
٨٦	 شرح البيت:
٨٦	 شرح الألفاظ
٩٠	 شرح المعنى
١٠٣	 قصد الشاعر
١١٧	 الشرح والسياق:
١١٧	 السياق اللغوي
١٢٩	 السياق الدلالي
١٣٥	 السياق التاريخي والاجتماعي
١٤٣	 الشرح والاحتجاج
١٤٤	 أنواع الحجج:
١٤٥	 الاحتجاج بالرواية

١٤٧	 الاحتجاج بالشواهد
١٥٤	 الاحتجاج باللغة
١٥٧	 الاحتجاج بالعرف الاجتماعي
١٥٩	 الحجج المنطقية
١٦٣	 الهوامش
١٨٧	 المصادر

الملخص

مثلت الشروح ظاهرة كبيرة في التراث العربي منذ أن ابتدأ الفكر العربي؛ حيث لازمت النصوص العربية الأولى القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي القديم. وإذا كانت في ظاهرها تبين الكتابة المشروحة، وإيضاح ما غمض منها، فإنها في الحقيقة مثلت نوعاً من التأليف الذي يمكن المؤلفين من الإسهام في علوم النصوص الأصلية، بل تجاوزت ذلك إلى أن أصبحت تأليفاً مستقلاً، يلتزم فيه مؤلفوه بعناصر معينة تمثل عناصر الشرح، وتتناول أكثر العلوم المعروفة في ذلك العصر، ثم اتخذت بنية معينة في تناول الشعر وبيان معناه، وفي الغوص إلى المعنى ومعنى المعنى أيضاً، يبتدئ أحياناً بما يسمى بحل النظم وتحليل هذا الحل، والتحاوّر مع الآراء السابقة، ثم ينبسط القول فيه إلى علوم شتى.

وتزيد قيمة الشروح على النصوص الأصلية؛ إذ يتخذ فيها المؤلفون النصوص الأولى طريقاً لتوجيه المسائل العلمية، الأقوال فيها، وكأن هذه النصوص أراض بكر يسعى الشارح إلى بسط نفوذه عليها، وتملك زمام القول فيها؛ ما يؤدي إلى تملك زمام الفكر الذي ينتج عنها.

وقد توسل الشراح عدداً من الأدوات في الشرح، وبيان المعنى كالاستشهاد بشواهد غير شعرية أو شواهد شعرية، أو ببيان أصل المعنى الذي أخذه الشاعر، أو بالاستشهاد على شعر الشاعر من شعره، أو رواية المعنى عن السابقين أو استعمال عناصر النظرية المعرفية العربية في ذلك الزمن.

ويتجلى هذا واضحاً في تطور الشروح بتطور النظرية المعرفية العربية في اللغة والنحو والبلاغة، إذ نجدها تتوأكب معها بل قد تكون الوسيلة الأولى للمؤلف لبسط آرائه في المسائل العلمية، والمشاركة فيما يقال من جدل حولها، خاصة فيما سمي بـ "السرققات الشعرية"، وهو نوع من تتبع تاريخ المعنى وتطوره بين الشعراء، وكأنه صورة من صور الشرح الذي يعنى بكشف المعنى وبيان خباياه.

وفي الشرح يتمكن الشارح من الإعراض عن بعض المسائل، وتناول أخرى، وتجهيل بعض المعاني أو الآراء حول النصوص وطرح أخرى قد يكون لها خلفيات اجتماعية وسياسية؛ ما يجعل الشرح خطاباً معرفياً كاملاً.

المقدمة

كنت في حادثة سني أقرأ المعلقات، ولفت انتباهي تعدد شروحيها، ثم وجدت أن هذه الظاهرة ليست خاصة بها، وأن حماسة أبي تمام، وديوانه، وديوان أبي الطيب المتنبي قد أخذت من الشروح ما لا يقل عن المعلقات أو يزيد، وكان هذا مبعث سؤال لدي؛ عما يدفع العلماء إلى إعادة شرح نص مشروح؛ ومن ثم أيعني هذا خطأ في الشرح السابق، أم نقصاناً فيه؟ وهذا ما دفعني في ذلك الوقت إلى الموازنة بين ما يقوله الزوزني والتبريزي عند قراءة قصيدة من المعلقات؛ مما قادني إلى قضية تعدد المعنى بناء على تعدد الشروح.

وعلى الرغم من أهمية هذا السؤال، فإن السؤال الأهم هو ما الشرح؟ هل هو محاولة تقديم معنى البيت بسطر أو أكثر من الكلمات النثرية، يتساوى فيه مع ما كان يسميه القدماء بحل النظم، وإذا كان كذلك فلماذا عني القدماء بذكر معاني الألفاظ، والاستشهاد عليها، وذكر الإعراب، وبعض الأخبار وأيام العرب، وما يتصل بها مما هو مبسوط في موضعه من هذه الدراسة؟ ولماذا كانوا أيضاً يتجاهلون الشرح بمعنى «حل النظم»، في الوقت الذي يجعلونه مقتصرًا على الحديث عن الألفاظ؟ صحيح أن ابن معقل الأزدي في «المآخذ»، والزوزني في «قشر الفسر» قد اكتفيا في الغالب بالشرح، ولم يتجاوزاه إلى سواه، وقد يكون طبيعة الكتاب هو الذي دفعهما إلى ذلك بناء على أنهما يقفان على المآخذ وحسب، وغالبها يكون في تحديد المعنى المتمثل بـ «حل النظم»؛ الأمر الذي يعني أن فعلهما ليس حجة في تحديد مفهوم الشرح، وهذا يؤكد أن «الشرح» معنى واسع لا يقف عند تحديد المعنى، وإنما يتجاوز ذلك إلى بيان كل ما يتصل بالبيت من معارف لغوية، وأدبية، وتاريخية، وما ينبني على ذلك أيضاً من معنى، يكسبه حال التعدد، والتحول.

فإذا ربطنا هذا بأن ظاهرة الشرح بدأت مع بداية الحركة العلمية العربية، وتطورت أدواتها بتطور النظريات اللغوية، والمعجمية، والنقدية، والبلاغية العربية، وأن الشراح ما فتئوا يتخذون تلك المعارف والنظريات، وسائل لفهم المعنى وتحديد ما تنطوي عليه الأبيات من خواص، أدركنا أن هذه الشروح كانت بمثابة تطبيق لتلك النظريات التي أنتجها العلماء في ذلك العصر؛ الأمر الذي يعني أن الشراح كانوا يستثمرون الشعر في إثبات صحة ما ذهبوا إليه من نظريات، وتأويلات وتحليلات؛ بمعنى أنهم يبسطون نفوذهم، وسلطتهم المعرفية على الشعر القديم ويتبعونه بشعر ما يعاصرهم من الشعراء، وهي سلطة تدمر منها بعض مجايلهم من الشعراء، وسعوا إلى التمرد عليها مما هو مبسوط في كتب النقد.

ولأن الشراح لا يلتزمون بالمفردات عينها عند الشرح، ولا بذكر الأخبار عينها، وإنما يختار كل واحد منها ما يراه أكثر أهمية، أو أكثر تعقيداً، ثم يأتي شرح البيت وبيان معناه مبنياً على ما أورده من معلومات سياقية أو علمية، فإن هذا - بدوره - يعني أن الشراح لم يكونوا يبينون المعنى بقدر ما يبنون خطاباً معرفياً كاملاً، متكوناً من المفردات المشروحة، ونوع دلالة الألفاظ التي يقفون عندها، ثم ما يختارونه من أخبار، وأمثلة، وشواهد تتصل بهذه الألفاظ، وتشبه تلك المعاني، ثم خلاصة هذا كله بما يعدونه تحديد المعنى الأخير، وهو ما يمكن أن يعد تحصيل حاصل بدليل أن بعض الشراح لا يعنى به كثيراً كما هو مبسوط في موضوعه من هذه الدراسة؛ مما يجعل الشرح خطاباً معرفياً ثقافياً اجتماعياً كاملاً، يحتل فيه العلماء (الشراح) الطبقة العليا، والمكانة الأسمى في مقابل المتلقي والشاعر الذي يستسلم لسلطتهم، ويستجيب لهم.

وقد مرت الشروح بمراحل مختلفة تطورت فيها من بيان معاني بعض الألفاظ، والاكتفاء بالمعنى الأولي الظاهر إلى أن تصبح اتجاهات متعددة؛

منها ما يميل كاتبه إلى الجانب اللغوي، ومنها ما يميل إلى الرواية والأخبار، ومنها ما يعد بالشرح الفني، فالقضايا التي يطرحها، ويفيض القول فيها تعد في القضايا النقدية.

وبناء على هذا التطور وهذه الرؤية اختلفت العناصر التي يعنى بها الشراح في تكوين شرحهم؛ فالأصل أن الشرح يتكون من عدد من العناصر؛ تتمثل ببيان الغريب، والاستشهاد على المعاني، وبيان السرقات، والتنبيه على القلائد، والوقوف على ما يتصل بها من أخبار، وأيام، وأمثال.

بيد أن بعض الشراح يرى أن هذه العناصر، والعناية بها ربما دفع إلى الإطالة والاستطراد، وأخرج الشرح عن مقصده الذي هو التنبيه على المعاني، والكشف عن الفرائد، والغرر القلائد؛ مما جعلهم يسعون إلى التخفيف منها، والسعي إلى الاقتصار على الشرح الإجمالي، أو ما سميته من قبل بـ «حل النظم».

وقد وقفت في هذه الدراسة على عدد من الشروح تختلف في المدة الزمنية التي تعود إليها، كما تختلف في الحقبة التي تعود إليها نصوصها، وتنوع الاتجاهات التي تنتمي إليها؛ فبدأت الدراسة بعرض مفهوم الشرح، وتحديد أهدافه كما يبدو في كتب الشراح، ثم قسمتها إلى مرحلتين: مرحلة القرنين الثاني والثالث، ومرحلة ما بعد القرن الثالث، وتحدثت عن سمات كل مرحلة بإيجاز، ثم وقفت عند عدد من الشروح أعرض أسماءها، ومنهج مؤلفيها باختصار، ومستشهداً بشيء منها، وهي المادة التي اعتمدتها في الدراسة، وقام عليها البحث.

ثم تناولت العناصر السابقة بالشرح والاستشهاد، والتحليل بوصفها هي المادة المكونة للشروح، وكنت أقف عند كل عنصر على حدة، محللاً عناصره، ومبيناً حالاته المختلفة التي يظهر عليها، ومستشهداً على كل حالة، وكاشفاً عن أثره في تكوين الشرح، ثم معنى الأبيات، ورؤية الشراح لقيمة كل عنصر من هذه العناصر.

وحين بلغت الحديث عن «شرح البيت» وقفت على ثلاثة عناصر: شرح الألفاظ، وشرح البيت الإجمالي وسميته «شرح المعنى»؛ لأنه قسيم اللفظ هنا، وبناء على المقابلة القديمة بين اللفظ والمعنى، ثم قصد الشاعر الذي عده القدماء عاملاً مهماً في تحديد معنى البيت. وفي الحديث عن الشرح الإجمالي سعيت لتحديد العناصر المختلفة التي تكون الشرح، بتفكيكه إلى أجزاء تسهم في تحديد «المعنى» عند القدماء، وقد وجدت أن الشراح يتفاضلون فيه ما بين مكتف بالمعنى الظاهر، وآخر يسعى للعناية بمعنى المعنى، والحفر فيه على أكثر من مستوى.

ثم ألحقته بدراسة قضيتين تلقيان اهتماماً في الدراسات النقدية الحديثة، وهما دراسة السياق، والشرح، ومدى تأثير الأول على الآخر، واستفادة الآخر من الأول، والثاني دراسة الشرح والحجاج؛ إذ من المعلوم أن الشارح يقدم وجهة نظره، ثم يتبعها مؤكدات لهذه الرؤية، ومسوغات للمعنى الذي اقترحه، أو مسوغات لما ذهب إليه الشاعر. وهو ما يعد نوعاً من الحجاج النقدي، مستعملاً فيه الشارح المعارف الأدبية، والعلمية، ورؤيته النقدية، وغيرها لجعل المعنى صحيحاً مقبولاً لدى المتلقي، ويرد بها على من سبقه من الشراح إن كان هناك من يخالفه في رأيه المختار.

وقد وقفت في دراسة هاتين القضيتين على عدد من الشروح التي رأيت فيها عناية بهما، وكان أهم السياقات المدروسة السياق اللغوي، والسياق الدلالي، والسياق التاريخي الاجتماعي، بينما اعتمد الشراح على فضاءات معرفية مختلفة للاحتجاج على صحة آرائهم، فاعتمدوا على الرواية، والشواهد، ثم الحجج المنطقية.

ويمكن القول إن الرؤية البنيوية هي التي اعتمدت عليها في تكون المنهج العلمي لتناول هذه الموضوعات؛ إذ اعتبرت الشرح بنية واحدة، وجعلت

العناصر المكونة له بمثابة الوحدات المكونة، التي يحكمها نظام واحد، ورؤية واحدة، وإن كانت الأداة العلمية المستعملة لبناء هذا المنهج هي الوصف والتحليل بالمقام الأول.

وفي الختام، أرجو أن يكون هذا البحث لبنة في خدمة الدراسات العربية، وخطوة في العناية بالتراث، والكشف عن جواهره، وأن يكون تنمة لجهود أخرى سابقة في المضممار نفسه، وحافزاً على دراسات لاحقة، والله أسأل أن تلقى هذه الدراسة القبول، والحمد لله رب العالمين.

الشروح الأدبية

دراسة في تكون الخطاب المعرفي

مدخل:

منذ أن بدأت أقرأ في الأدب، وهناك قضية استرعت انتباهي، وهي كثرة الشروح للنص الواحد؛ فالمعلقات مثلاً حظيت بقدر كبير من الشروح، وكذلك دواوين الشعراء الستة، وديوان الحماسة، ثم ديوانا أبي تمام والمتنبي، وكان السؤال الممض في ذلك الوقت لماذا يعمد العالم إلى نص مشروح ليشرحه، أسبابه وجود أخطاء في الشرح السابق، أم عدم كفايته؟ أفسكر ما قاله الشارح السابق إذا جاء إلى بيت مشروح من قبل، أم سيقول فيه قولة مغايرة عما كانت عليه من قبل؟ هذه الأسئلة جعلتني أقابل بين الشروح أحياناً وأنا أقرأ المعلقات لأرى هل ما قاله الزوزني مختلف عما قاله الأنباري، أو التبريزي؟

ولست بسبيل الإجابة عن هذه الأسئلة الآن، ولكنني اكتشفت فيما بعد أن كثرة الشروح هي إشارة إلى تميز النص، وتفوقه، وأنه كلما حظي بعدد من الشروح فهذا دليل على الإعجاب به، وأهميته، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في ديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان أبي طيب المتنبي الذي اجتهد كثير من العلماء من القدماء والمحدثين في شرحه، وقد أشار بعض الشراح إلى أن الناس قد انصرفوا إلى هذين الديوانين؛ ديوان الحماسة وديوان المتنبي، فأخذوهما بالقبول والاستحسان، وأعرضوا عن كل ما سواهما^(١).

وهذا ما يدفع بسؤال آخر إلى الوجود متمماً السؤال السابق، وآخذاً بالاتجاه الذي يسير فيه الجواب، ما الذي يبحث عنه الشراح على وجه الحقيقة في الأشعار التي يقومون بشرحها؟ هذه الأسئلة تدخلنا مباشرة إلى صلب القضية، وتحيلنا إلى الأهداف التي يطمح الشراح أن يحققوها، وهذه الأهداف في الوقت نفسه تمثل مضمون الشروح، والقضايا التي يطرحونها فيها.

وليس غريباً أن نجد الإجابة عن بعض هذه الأسئلة في مقدمات الشروح حين يتحدث الشراح عن شروحهم، والدافع لهم إلى القيام بمثل هذه الأعمال الكبيرة، بالرغم من اختلاف الإجابة عنه.

وإذا تجاوزنا القول بأن الشروح كانت استجابة لطلب عزيز كما في كتاب «اللامع العريزي» لأبي العلاء المعري، أو في «التكملة في شرح الأبيات المشككة من ديوان أبي الطيب المتنبي» لأبي الحسين بن عبيد الله الصقلي المغربي، فإن هذا الطلب يتضمن أحياناً الهدف الذي من خلاله وضع الكتاب حيث يحوي الطلب مواصفات الكتاب المطلوب تأليفه. يقول أبو علي الحسين بن عبيد الله الصقلي المغربي:

«وإبانة معانيه، وتفسير الغريب من ألفاظه، وإيضاح الغامض من إعرابه، وإيراد طرف من سرقاته، ونظائره، والتنبيه على غرر قلائده، وعيون محاسنه، حذوته على مثالك، وتبعته فيه نقط رسومك؛ لما علمت من صدق رغبتك، وشدة حرصك... إلى أن يقول: هان علي العناء في التماس مطلوبك، وإرصاد الفكر إلى تحصيل محبوبك»^(٢).

وهذه النقاط التي وقف عندها أبو علي الحسين هي أهداف الشرح التي يسعى المؤلف إلى تحصيلها في كتابه. وهي أهداف متنوعة يمكن أن نفردها بالنقاط التالية:

- ١ - إبانة معانيه.
- ٢ - تفسير الغريب من ألفاظه.
- ٣ - إيضاح الغامض من إعرابه.
- ٤ - إيراد طرف من سرقاته.
- ٥ - التنبيه على غرر قلائده.

وهي أهداف -كما نرى- تراوح بين تفسير الغريب، واللغة، والبحث في النحو والتصريف، والأهداف النقدية كالكشف عن السرقات، وإبانة المعنى، والتنبيه على الروائع من الأبيات.

وليست هذه وحدها هي ما يسعى الشراح إلى الوقوف عليها، فهناك أهداف أخرى ترد في كتب شراح آخرين^(٣)، تتمثل في البحث في الروايات المختلفة للأبيات وتمحيصها، والنظر فيها وفي درجاتها في بناء المعنى.

إلا أن شرح أبي علي الحسين متأخر نسبياً عن الشروح الأخرى، وعن نشأة الحركة الأدبية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ولذا رأيناه يتجاهل الحديث عن الرواية، والعناية بها. وهو الأمر عينه الذي نجده لدى معاصره^(٤) الأعم الشنتمري في مقدمة شرح ديوان امرئ القيس حين يقلل من قيمة العناية بالرواية، إذ ينص على أن الشراح «قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض بجلب الروايات، والتوقيف على الاختلافات، والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة حتى إن كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها»^(٥).

وإذا كان هذا التقليل مقبولاً في حق من يتناول ديوان المتنبي بناء على أنه كان في زمن الكتابة والنسخ، وكان شعره يكتب، ويقرأ عليه، فإنه ليس مقبولاً بالنسبة للشعر الجاهلي الذي لم يكتب إلا في مراحل متقدمة، وتعد الروايات المتعددة صلباً في تكوينه، وصناعته.

ونلاحظ أن الشارح قد بدأ بالمعاني أولاً، على الرغم من أنه لا يمكن أن يوصل إليها إلا بعد معرفة الألفاظ، وقد يكون قدمها لأهميتها في ذهنه. وهي أهمية نجدها لدى غيره من الشراح الذين ينصون على أن الدافع إلى شروحهم ما يرونه في الشروح الأخرى من إغراض عن المعاني، والاكتفاء بإيضاح الغريب

كما في المقتطف السابق من شرح الأعلام، وكما في كلام الواحدي في شرحه عن ابن جني حين قال:

«وأما ابن جني فإنه من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف غير أنه إذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولج به عثاره»^(٦).

ولا يمكن أن نفصل بين اتجاهات الشراح، والمرحلة التاريخية التي ظهرت فيها؛ ففي القرن الأول، كانت الشروح متجهة إلى عصور الشعر الأولى؛ ما قبل الإسلام، والإسلامي ثم بني أمية، وكانت هذ النصوص تمثل عصر الشفوية، وتجمع لما فيها من لغة وغريب، فهي من مصادر اللغة، ولذا كان شرح الألفاظ وجمع الروايات وتفصيل القول فيها أمراً مهماً في مرحلة تدوين اللغة. خاصة أننا نعلم أنه في القرن الأول لم يكن هناك متخصصون في النقد والأدب، وغالب المشتغلين على الشعر هم الرواة واللغويون، وهذا واضح في الشروح التي تنقل عن حماد، وأبي عمرو ابن العلاء، وخلف، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وابن الأعرابي.

ولذلك نجد غالب شروح هؤلاء تتجه إلى الشرح اللغوي بالدرجة الأولى، والبحث عن معاني الألفاظ وروايتها المختلفة. وإذا لم يكن هناك مؤلفات بأسمائهم فإن علومهم كانت مبنوثة في كتب اللاحقين لهم، كما نجده في «ديوان الحطيئة» برواية شرح ابن السكيت، وهو من علماء القرن الثاني؛ حيث تتجه عنايته إلى معاني الألفاظ والروايات. كما في قوله على بيت الحطيئة:

لن يتركوا جار مولا هم بمتلفة غبراء ثمت يطووا دونه السببا

يقول: «المتلفة: المهلكة. الأصمعي: لن يتركوا جار مولا هم في بئر هلاك، ثم يطوون دونه الحبل، كما طوى الزبرقان سببه عني وتركني».

غيره: متلفة: مفازة غبراء محل موحشة. والسبب: الوسيلة طووها عنه لم يمكنوه منها فيخرجوه من الهلكة.

وروى غيره:

«جارهم في قعر مظلمة»^(٧).

وفي هذا المقتطف نجد ابن السكيت يعتمد على شرح الأصمعي، ثم يأتي بشرح آخر لا ينسبه إلى أحد، ويوازن بينه وبين شرح الأصمعي، وهو شرح جزئي يقوم على الوقوف على الألفاظ منفردة، ثم يورد رواية أخرى تقدم معنى مختلفاً، والملاحظ في شرح الأصمعي أنها تكشف عن لفظ ليس موجوداً في الرواية الأصلية، وإنما هو موجود في الرواية الأخرى، وهذا يعني أن الشرح للرواية الأخرى وليس لهذه الرواية أو أن الرواية وضعت بعد الشرح. على أن الأصمعي قد أخذ معنى البئر من قوله: «يطووا دونه السببا»، فالسبب هو الحبل، ويطوونه يعني يبعدونه مما يعني أن المتلفة هي البئر.

وهذه الظاهرة التي نجدها في هذا المقتطف، والمتصلة بنقل آراء العلماء السابقين في شرح الأبيات موجودة في كثير من الشروحات؛ فتجد الشارح يورد أقوال الأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وابن الأعرابي، يقول ابن الأنباري حين أورد بيت امرئ القيس:

فقلت: يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي

قال الأصمعي: «ما لك حيلة، تجيء والناس حولي. وقال ابن حبيب: ما لك حيلة، معناه لا أقدر أن أحتال في دفعك عني»^(٨).

وكما أيضاً في شرح يعقوب لقول الحطيئة:

يجتاز أجواز قفر من جوانبه يأوي إليه ويلقي دونه عتبا

فجملة «يأوي إليه»، قال فيها يعقوب: أي يأوي هذا الطريق إلى الماء، وقال غيره: يأوي إليه أي إلى الطريق. فالضمير في شرح يعقوب يعود إلى الماء، في حين في الشرح الآخر يعود إلى الطريق.

وهذه الروايات تكثر حتى تكون جزءاً مهماً من كتب الشروح الأدبية. بوصفها أقوالاً يحيل إليها الشارح قبله، أحياناً يكتفي بها، وأحياناً يضيف إليها شيئاً آخر، وقد يقابل بينها كما في المقتطف السابق. وهي -في الغالب- مرويات شفهية رواها عن مشايخه وانبثت في كتب الشروح؛ أو كانت تقال في حلقات التدريس، أو في كتب أخرى غير كتب الشرح؛ فنجد مثلاً المبرد في كتاب الكامل يشرح بعض أبيات الشعر وربما يورد الأقوال^(٩).

على أن من المهم جداً أن هذه الأقوال في كثير من الأحيان تسند إلى خلفاء أو شعراء، وليس بالضرورة إلى علماء بالشعر والرواية؛ فعبد الملك بن مروان^(١٠) تنسب إليه الأقوال، وكذلك عمارة بن عقيل^(١١).

وفي القرنين الثاني والثالث تأتي الشروح اللغوية باعتبارها نوعاً من شرح الغريب، وكثيراً ما يكتفي الشارح بالحديث عن الألفاظ دون شرح لما يسمى بالمعنى الإجمالي كما نرى في شرح الأصمعي السابق لبيت الحطيئة، أو كقول ابن السكيت في شرح قول الحطيئة أيضاً:

وما تنام جارة آل لأي ولكن يضمنون لها قراها

«يقول: يقومون بشأنها ولا تحتاج أن تدبح تيمتها»^(١٢).

وشرح الألفاظ وحدها كثير جداً بل ربما يكون هو أكثر الشرح، وذلك كشرح ابن الأنباري عند قول امرئ القيس:

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

يقول ابن الأنباري: «يقال فرس ضليع وبغير ضليع، إذا كانا قوين منتفجي الجنبين، وهي الضلاعة. ويروى عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضليعاً، فإن أخطأك مخبر لم يخطئك منظر».

وفرجه: ما بين [رجليه]. بضاف، معناه بذنب ضاف، وهو السابغ. يقال: خير فلان ضاف على قومه.

ويكره من الفرس أن يكون أعزل ذنبه في ناحية، وأن يكون قصير الذنب، وأن يكون طويلاً يطاءً عليه. ويستحب منه أن يكون سابغاً قصير العسيب^(١٣).

أقسام الشروح:

وبناء على هذا العرض السريع يمكننا أن نقسم كتب الشرح إلى قسمين^(١٤):

١ - شروح القرنين الثاني والثالث.

٢ - شروح ما بعد القرن الثالث.

أولاً- شروح القرنين الثاني والثالث:

يتميز هذان القرنان بأنهما قرنا جمع اللغة، والأدب القديم، وكان العلماء في هذه المرحلة يجمعون بين رواية الشعر واللغة، ولم يتخصص كل طائفة منهم بحقل معين وقد انعكس هذا على الشروح التي أنتجها هؤلاء العلماء، ومن أهم الشروحات^(١٥):

شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة:

والأصل في هذا الكتاب هو جمع النقائض والعناية بها بالشرح، وقد جاء الشرح هنا معنياً بالغريب وبيان الأخبار، والأنساب التي تتضمنها القصائد، أو الحديث عن مناسبة إنشاء القصيدة إن كان هناك مناسبة. يقول أبو عبيدة بعد قول عطية:

إذا ما جدعنا منكم أنف مسمع أقر ومناه الصعاصع أبكرا

جدعنا: قطعنا. مسمع: أذن، وأنف كل شيء أوله، والصعاصع يريد هلال بن صعصعة ومن يليه. وأبكر جمع بكر. فكانت الهدنة بينهم على دخن-والهدنة الصلح والسكون- ثم اجتور بنو جحيش... إلى آخر الحكاية^(١٦).

شرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب:

وهو من الدواوين المشروحة في القرنين الثاني والثالث، ويتسم بما تتسم به الشروح في هذه المرحلة، من التركيز على الغريب، والرواية، وقد لا يسعى إلى تقديم المعنى الإجمالي بصورة كبيرة، يقول عند قول جرير:

ولقيت دوني من خزيمة معشرًا وشقاشقًا بذخت عليك طوالا

«وروى عمارة: دوني من خزيمة تدرأ، مكان: معشرًا. والتدرأ: العز، والشقاشق: شبهها بشقاشق الفحول وهدرها. وخزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر»^(١٧).

ديوان الحطيئة رواية وشرح ابن السكيت:

وهو كالشرح السابق، إذ يحرص مؤلفه على تتبع الغريب، وشرح الألفاظ، وتتبع الروايات والنظر فيها، وإيراد أقوال العلماء، ولكن هذا يختلف عن سابقه في أنه يقدم رأيه هو في شرح البيت، واقتراحه حول ذلك، وهو منهج ليس دائماً ولكن القارئ يجد هذا كله في تضاعيف الشرح.

يقول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

يقول ابن السكيت:

«تعشو: أي تجيء على غير بصر ثابت فيهتدي بناره، يقال: عشا يعشوا: إذا

استدل ببصر ضعيف، وقد عشى يعشى: إذا صار أعشى. وقوله «يعشو» في محل نصب، أراد: متى تأته عاشيًا^(١٨).

ومما يكتفي به الشارح بمعاني الكلمات، والروايات دون الوقوف عند المعنى الإجمالي، قوله بعد قول الحطيئة:

إذا مخارم أحناء عرضن له لم ينب عنها وخاف الجور فاعتبنا

مخارم: جمع مخرم: وهو منقطع أنف الجبل. والأحناء: حروف الجبل. غيره: ما تحنى من الجبال والأودية. قوله: عرضن له: أي بهذا الطريق. وقوله: لم ينب عنها: أي لم يرتفع الطريق عنها، ولكنه علاها. وقوله «خاف» داخل في الجحد. يقال: مضى فلان في حاجة ثم اعتب في طريقه: أي رجع. وقولهم: لك العتبي والكرامة: أي الرجوع إلى ما تحب.

أبو عمرو وابن الأعرابي: قوله: خاف الجور: أي خاف أن يجور، فيركب العتب وهو النشاط والارتفاع، وليس قوله: «وخاف الجور»: بداخل في الجحد وتروى: إذا مخارم أضواء عرضن

والأضواء: «الآكام والغلظ، يقال: ظل القوم مصوين يومهم: إذا وقعوا في إكام وغلظ، وكان أبو عمرو وابن الأعرابي يقولان: الصوى: الأعلام»^(١٩).

ديوان الخنساء شرحه ثعلب:

ويتفق مع الشروح السابقة بالحرص على تتبع الغريب، والبحث في معاني الألفاظ المختلفة، والمعتمد فيه أقوال ثعلب، ويقل فيه الاعتماد على آراء من سبقه، وكذلك يقل فيه أيضًا إيراد الروايات المختلفة، وإن كانت موجودة بوجه عام. وقد يشرح البيت شرحًا إجماليًا بعد عرض شرح الكلمات، لكنه لا يقف عند كل ما تدل عليه الألفاظ، أو يكشف استعاراتها.

يقول في شرح قول الخنساء:

بداهية يضغي الكلاب حسيسها وتخرج من سر النجي علانية

حسيسها: حسها، والحس: الصوت.

قال: كأن الكلاب تضغو من هذه الداهية.

قال: والكلاب لا تضغو مما أصاب الناس؛ أي تضغو الكلاب فضلاً عن الناس.

قال: أقول: ضغت الكلاب؛ إذا تضورت من الجوع.

وقوله: «وتخرج من سر النجي علانية» أي: ارتفع السر عن النميمة.

قال: إذا انتجى بهذه الداهية منتجون ضاقت صدورهم فلم يمسكوا سرهم، فخرجت من صدورهم، وأعلنوا بها علانية، وهذا من شدة الأمر، وهذا مثل قولهم: «ارتفع السر عن النميمة».

ويضغي: يسكت، والنجي: المناجاة، والنجي: هم الرجال الذين يتناجون؛ أي يخرج سرهم علانية؛ لأنهم أسروها قبل ثم أعلنوها.

يقول: يتناجون بها ثم تعلن من بعد؛ لأن الفتنة يتناجى بها سرّاً ثم تكون نتيجتها علانية؛ أي: عاقبتها.

وقال «أبو سعيد الضرير»: يضغي: يصيح الكلاب. «وئيدها» حسها إذا أقبلت.

وروى «ابن الأعرابي»: يضيء الكلاب حسيسها»^(٢٠).

شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري:

يغلب على شرح السكري التركيز على الغريب، ونقل آراء العلماء السابقين في إيضاح معناها مع الوقوف على الروايات المختلفة في الأبيات وشرح مفرداتها، وقد يشرح بعض أجزاء البيت شرحاً إجمالياً، أو يروي شرح غيره كذلك، ولكن

هذا ليس دائماً أو ثابتاً. يقول السكري عند قول أبي ذؤيب الهذلي:

فأجبتها أن ما لجسمي أنه أودى بني من البلاد وودعوا

الأخفش: «ما» صلة إنما هو «أن لجسمي»، «أن» الأولى في معنى خفض، والثانية في موضع رفع، والمعنى: فأجبتها أن الذي بجسمي إبداء بني، و«الإبداء»، الهلاك «أودى يودي إبداء». الرياشي عن الأصمعي: «أن ما لجسمي» في موضع الذي يقول: أن الذي بجسمي غمي لذهاب ولدي ونفادهم، فهذا الذي ترين بجسمي لذلك، قال أبو عبيدة: هو جواب «أم ما لجنبك». الأصمعي: «ودعوا»، يقول: كان آخر عهدهم أن ذهبوا وماتوا»^(٢١).

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري:

ويكاد يتفق هذا مع الشروح السابقة، في الحرص على شرح الغريب، وإيراد الروايات، وأقوال العلماء في تفسيرها، ثم تقديم المعنى الإجمالي دون التزام ترتيب معين في هذه المكونات، ولا أيضاً التزام بإيرادها كلها في كل بيت يتحدث عنه، فربما يكتفي بالوقوف عند الغريب ثم المعنى الإجمالي، بحسب المادة المتوافرة عن البيت، وهذا منهج غيره أيضاً؛ إذ إن بعضهم يورد البيتين والثلاثة، ويكتفي بالوقوف على البيت الأخير منها.

يقول ابن الأنباري عند قول امرئ القيس:

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول

«قال يعقوب: أدبرن يبرقن كما يبرق الجزع الذي جعل بينه ما يفصله؛ أي إنهن متفرقات. قال يعقوب: «بجيد معم» معناه في عنق غلام [معم] مخول، أي كريم العم والخال. وقال ابن حبيب: كأنه قال: كريم الأبوين. وقال أبو نصر: الجزع: خرز فيه بياض وسواد، فالواسط أبيض والطرفان أسودان إلى الطول، وذلك أن البقر بيض إلا القوائم والخدود. وقال: «بجيد معم»؛ لأن خرزه أجود

وأصفي. وقال: أبو عبيدة: لا أعرف الجزع. وإنما هو الجزع بالكسر. وقال غيره: الجزع بالكسر: ما انعطف من الوادي، والجزع: بالفتح: الخرز...»^(٢٢).

ومن خلال هذا العرض نجد أن هذه الشروحات تتفق في أنها تركز على عناصر محددة، وتختلف بعد ذلك في مقدار حضور كل عنصر منها في تضاعيف الشرح، وفي التركيز على عنصر منها بين شارح وآخر وإن كانت في الغالب تتشابه، وهذه الشروح هي لغوية معنية بالرواية في الغالب، وتكوين المعنى يتم عن طريق النقل الشفوي عن شاعر، أو عن راوية نقله عن عصر قديم، ويكون المعنى الإجمالي في الغالب يقوم على المعنى الظاهر السطحي.

ثانيًا- شروح ما بعد القرن الثالث:

كنت قد ذكرت في مطلع الحديث الأهداف التي يعتمد عليها الشراح في كتابة أعمالهم، وذكرت أنها أهداف متنوعة مختلفة المستويات، ففيها ما يدور حول معرفة الغريب، وكشف معانيه، والروايات المختلفة، وفيها ما يدور حول المعاني وكشف غامضها، والنظر في سرقاتها، وأصولها.

كما ذكرت أن هذه الأهداف مستويات، تخضع للمرحلة التاريخية التي كتب فيها الشرح، وقد ظهر لنا من خلال العرض السابق أن الشروح تعنى في الغالب بتحقيق أهداف محددة تدور حول الروايات المختلفة، وشرح الغريب، والوقوف عند المعنى الإجمالي أحيانًا.

ولأن الشرح الذي استقيت منه الأهداف شرح متأخر فقد ضم إلى الأهداف السابقة أهدافًا أخرى، تدور حول المعاني، وشرح غامضها، والنظر في بعض القضايا النقدية، مع العناية الخاصة بمستويات المعاني، أكثر من العناية بالألفاظ، والغريب، والروايات. وقد وجدنا إشارات ومآخذ على الشراح الأوائل لانصرافهم إلى الغريب، وتعدد الروايات عن الكشف عن المعاني، وبعث مخبئها. وهو ما نظن أن تلك الشروح ستعنى به.

على أن الشروح كثيرة جداً، والوقوف عندها صعب، ولكننا سنقف عند عدد مما اشتهر منها، لذكر مكوناتها، وعرض نماذج منها قبل أن نختار منها واحداً أو اثنين للدراسة التفصيلية.

أرجوزة أبي نواس بشرح ابن جني:

هذه الأرجوزة قالها أبو نواس في مدح الفضل بن الربيع، وقد حشاها بالغريب حتى أصبح من العسير الوصول إلى معانيها المفردة، فطلب بعض الطلاب من ابن جني شرحها، وقد نص في المقدمة على ما سيكون موضوعاً للشرح فجاء فيه: «سألت -أعزك الله- أن أعرب لك أرجوزة (أبي نواس) التي أولها: «وبلدة فيها زور»، وأن أشبع الكلام، وأن أفسر ما فيها من معنى ولغة وإعراب، وأورد في ذلك النظائر»^(٢٣).

فالشرح هنا أساسه الإعراب، ثم يتبعها بما يتبع ذلك من بيان المعاني، ومعرفة اللغة والإعراب باعتبارها أجزاء يكون بعضها بعضاً؛ لما عرف به ابن جني من تفوق بهذه الصناعة، والمعاني لديه منشؤها الإعراب، وهي -كما قلت من قبل- معان أول. يقول ابن جني في شرح قول أبي نواس:

وامح ني فحسر جأب رباع المتغر

قول: «امح» أي: ذهب ودرس. يقال: إمح الريح، ومح، إذا درس وتقادم عهده. ووزن «امح»، انفعّل، من: مح. وأصله: انمح، على مثال: انشق وانقد، إلا أن النون لما وقعت ساكنة قبل الميم، قلبت ميماً، ثم أدغمت في الميم. ولم يفعلوا ذلك في مثل: زنماء [وزنم]؛ لأنهم كرهوا الالتباس لو قالوا: زماء، وزم؛ لأنه كان يلتبس بباب: زممت الناقة، ولم يخافوا الالتباس في: امح؛ لأنه ليس في كلام العرب افعل...»^(٢٤).

ويستمر ابن جني في الوقوف عند مكونات البيت، ويطيل القول في التصريف،

وأحواله أكثر من المعاني، ويورد بعض الشواهد على ما يرد من غريب، أو معنى، وقد يرجع هذا لكثرة الغريب في الأرجوزة.

الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي:

يضع ابن جني مقدمة لشرحه موجزة كالمقدمة التي اجتزئ منها شيء في الحديث عن الكتاب السابق، بيد أنها تختلف عنها شيئاً ما إذ يقول: «سألت -أدام الله تسديك-... أن أصنع لك شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بفسر معانيه، وإيراد الأشباه فيه وإيضاح عويص إعرابه، وإقامة الشواهد على غريبه»^(٢٥).

وهنا نجد أن الإعراب خاص بالعويص، وأن غالب المراد بالشرح يتصل بالمعاني وذكر ما يشبهها من أقوال الشعراء، وإقامة الشواهد على غريبها. وهي طريقة معروفة في الشروح الأولى، يختلف عنها أبو الفتح بأنه يهتم كثيراً بالإعراب، ويبني عليه المعنى، والشواهد تأتي لدعم المعاني أو لتصحيح الغريب.

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

وإذا كانت شروح ابن جني تتسم بأن ابن جني نحوي بالمقام الأول، وهذا ما انعكس على أعماله، وهو ما أشار إليه الواحدي في شرحه لديوان المتنبي، مما أشير إليه من قبل.

وقد بدأ المؤلف شرحه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليف الكتاب الذي كان إجابة عن أسئلة أرسلت له من بعض أصحاب المقامات، يسأله فيها أن يكتب له شرحاً وأن يجيب عن عدد من الأسئلة النقدية المتصلة بمذهب أبي تمام في الشعر، ومنهجه في الاختيار، وكيف اتفق أن يلقي اختياره القبول والإعجاب ممن جاء بعده.

وهي مقدمة اعتبرت من أهم المقدمات النقدية؛ نظراً لأن المرزوقي قد تناول فيها عدداً من القضايا النقدية خاصة «عمود الشعر»، ومفهوم «الطبع»،

و«الصنعة»، لكنه لم يتحدث فيها كما تحدث غيره من الشراح عن أهداف الشرح، والمسائل التي ينوي أن يتناولها في شرحه. لكن هذا لا يعني أن الشراح سيخالف سواه من الشراح، وأنه سيختط منهجًا خاصًا به، فحين نقرأ النص نجده يقف عند الإعراب، والروايات، وشرح الغيب، كما أنه يورد الشواهد كما يوردها سابقوه، لكننا نجد عناية خاصة في المعاني لا نجدها عند من سبقه، فيقلب المعنى على أكثر من وجه، ويسعى لربطه بالإعراب تارة، وبالشاهد اللغوي تارة أخرى، كما يقدم المعاني الأول، والمعاني الثانوي، ويتخذ موقفًا في المعنى ثم ينتصر لآرائه ويرد على الآخرين، مما يجعل المعنى والبحث عنه هو المركز في الشرح.

يقول المرزوقي في شرح قول الشميزر الحارثي:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

الصحراء: اسم للمكان الواسع، وجمعه صحار وصر. قال:

أتى مده صحر ولوب

وأصر القوم: برزوا إليها، ومنه قيل لقيته صحرة بحرة أي عيانًا ومبارزة. يقول: دعوا التفاخر في الشعر وبالشعر، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم تبلاوا فيها فتنتلق ألسنتكم لدى المساجلة، وتستجيب قوافي الشعر لكم، إذا أردتم نظمها وإنشادها عند المنافرة.

والمحاكمة لأنكم أمتم قوافي الشعر ودفنتموها. فكما أن الميت لا يجب إذا دعي، كذلك لا يجيكم الشعر إذا اردتموه، مع سوء بلائكم، وقبح آثاركم. والقافية: آخر البيت المشتمل على ما بني عليه القصيدة. وقد يسمى البيت كما هو قافية. قال:

وقافية مثل حد السنان تبقى ويذهب من قالها

قال الأخفش: وتسمى القصيدة بأسرها قافية. قال:

«فمن للقوافي بعد كعب يحوكها»^(٢٦)

وفي هذا المقطع نجد ما سبقت الإشارة إليه، ففيه الإعراب، والاستشهاد، والبحث في المعاني على اختلاف مستوياتها، مما قد لا نجده في مواضع أخرى من الشرح، أو قد نجد أطول منه وأكثر تفصيلاً، واستشهاداً، وتقليباً في المعاني، وتظل ظاهرة البحث عن المعنى والاهتمام به هي الظاهرة في هذا الشرح.

شرح القصائد العشر للتبريزي:

ومثل كثير من الشروح يذكر الشارح في مقدمته أنه كتب الشرح استجابة لطلب من عزيز، ثم يذكر أن ذلك الطالب قد لاحظ على كتب الشرح السابقة ملاحظات، وأنه يبحث عن شيء آخر. وفي هذه المقدمة يبين تلك الملاحظات فيذكر أنها قد «طالت بإيراد اللغة الكثيرة والاستشهادات عليها»^(٢٧)، ثم يبين السبب في ذلك أن «المقصود منها معرفة الغريب، والمشكل من الإعراب، وإيضاح المعاني، وتصحيح الروايات»^(٢٨)؛ وهذا لأن التعليقات مصدر من مصادر اللغة، وقد اختلفت فيها الروايات حتى صار تحقيقها أمراً غاية في الأهمية، فهي جزء من صناعتها، وهذا ما لا يتوافر في غيرها من النصوص المتأخرة، وهو ما يجعل عمل أولئك مبرراً.

وإذا كان الشارح قد أفاض القول في شرح معلقة امرئ القيس، وسار على منهج من سبقه بإيراد الروايات، وشرح الغريب، وكثرة الاستشهاد على ما يذهب إليه^(٢٩)، وذكر الأقوال المختلفة في توجيه الأبيات، فإنه لم يلتزم بهذا المنهج في سائر التعليقات، إذ نراه في قصيدة زهير بن أبي سلمى يختصر في شرح الأبيات، فيقتصر على المعلومات اليسيرة، في الرواية أو الإعراب وربما أتبعه بالشرح الإجمالي. يقول في شرح قول زهير:

ولا شاركت في الحرب في دم نوفل ولا وهب فيها ولا ابن المخزم

روى يعقوب وجماعة من الرواة المحزم بالحاء غير معجمة وروى أبو جعفر المحزم بالخاء معجمة، وفاعل شاركت مضمرة فيه من ذكر الرماح، ويروى ولا شاركت في الموت»^(٣٠).

وعلى هذا يسير غالب شرحه للأبيات الذي يعتمد فيه كثيراً على أقوال من سبقه من الشراح والعلماء،^(٣١) ولا يبدو أنه يحرص كثيراً على البحث عن معنى جديد، أو بسط الأقوال في كل بيت وترجيح واحد منها.

شرح ديوان الحماسة للتبريزي:

يضع التبريزي مقدمة لشرحه يعرف بها في الحماسة، ويبين سبب تأليفه، ثم يتحدث عن اشتهاؤه بين الناس، والشروح التي توالى عليه باختصار، وما يتسم به كل شرح دون ذكر أسماء الشراح أو الشروح ثم يبين الطريقة التي سيسير عليها في شرحه والقضايا التي ينوي أن يتناولها فيقول: «فاستعنت بالله تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره شرحاً شافياً بيتاً بيتاً على الولاء وتبيين اشتقاق أسامي الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب وتفسير ما في كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى وذكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها وإيراد الأخبار في أماكنها إن شاء الله»^(٣٢).

يقول في شرح قول الشاعر:

ولم ندر أن جضنا من الموت جيضة كم العمر باق والمدى متناول

يقال: جاض وحاض إذا عدل وانحرف، وقوله: «كم العمر باق» في موضع الظرف والمعنى كم يوماً أو وقتاً العمر باق، وارتفع العمر بالابتداء، والواو أغنى عنه، ويجوز أن تتعلق الحال التي دل عليها، والمدى متناول بأن جضنا، والتقدير لم ندر أن جضنا ومدانا متناول كم العمر باق أي مدى رجائنا، ويجوز أن تكون الواو عاطفة كأنه قال: لم نعلم كم العمر باق وكم المدى متناول إن

جضنا وفسر بعضهم العمر بالحين، قال: ومنه قوله - عز وجل -: فقد لبثت فيكم عمراً، وهذا إذا حقق راجع إلى الأول، وكلهم روى هذا البيت أن جضنا من الموت جيضة بكسر الهمزة على ما مر تفسيره غير أبي العلاء المعري فإنه أخذ على أن جضنا بفتح الهمزة، وكأنه ذهب في هذا إلى أن إن بكسر الهمزة لما يستقبل، وأن بفتح الهمزة لما مضى، والشاعر في ذكر قصة قد مضت فيحمل قوله: أن جضنا بفتح الهمزة على تقدير لما جضنا، ومعناه يقول: لم ندر أن حدنا على القتال الذي فيه الموت كم يكون بقاؤنا فلم نحيد فنحتقب العار، ولعلنا إن حدنا لم نعش طويلاً»^(٣٣)

وعلى هذا المقطع يمكن أن نقيس غالب ما جاء في الشرح مع الإيجاز أحياناً والإطالة النسبية أحياناً أخرى مع ذكر بعض الشواهد. والشرح - كما قلنا في غير هذا الشرح - يعتمد على المعلومات المتصلة في البيت.

شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي:

بدأ الخطيب شرحه بمقدمة كما بدأ شروحه السابقة، بين فيها الغلط الشديد الذي وقع فيه الناس في شعر أبي تمام، والعنت الشديد الذي لقيه بعضهم من قراءته، وذلك - كما يقول أبو العلاء - أن شعر أبي تمام «لم يؤثر عنه، فتناقلته الضعفة من الرواة، والجهلة من الناسخين، فبدلوا الحركة بالحركة، فأوقعوا الناظر فيما جنوه في أم أدراص وتغلس، وغيروا بعض الأحرف بسوء التصحيف، فغادروا الفهم خابطاً في عشواء»^(٣٤)، ويضيف إلى ذلك أن ما في شعره من صنعة زاده إغراباً على القراء خاصة مما لا يستأنس بطريقته، فيقع لذلك فيه خلل»^(٣٥).

ثم يذكر السبب المباشر لعمل الشرح، والقضايا التي ستكون هي موضوع الشرح، فيقول: «واستعنت بالله على شرحه، وذكر الغريب، والمعاني، والإعراب فيه، وترجيح بعض أقوال العلماء فيه على بعض؛ لأن منهم من أنصفه، ومنهم

من أنحي عليه، وربما احتمل البيت معنيين، ويكون أحد المعنيين أقوى من الآخر»^(٣٦).

ويضيف إلى ذلك أنه سيورد عددًا من الشروح السابقة عليه، ومآخذها على أبي تمام، أو انتصارها له، ملخصًا ذلك تلخيصًا جيدًا دون إخلال، ولم يذكر أنه سيتخذ موقفًا معينًا من تلك الآراء والشروح بالنقد أو القبول، وهو ما يعني أن شرحه متضمن شروحًا أخرى وليس شرح التبريزي وحده.

معجز أحمد لأبي العلاء المعري:

يسير أبو العلاء المعري بهذا الشرح كغيره من الشراح، وإن كان الطابع عليه الاختصار؛ فهو يورد معاني الكلمات الغريبة، وقد يورد الروايات المختلفة للبيت إذا كان هناك روايات، وقد يستشهد على ما يقوله من شرح، أو على استعمال الشاعر للتركيب أو اللفظ، ثم يختم الشرح بالمعنى الإجمالي دون أن يلتزم هذا في أغلب مواضع الشرح. يقول أبو العلاء بعد قول المتنبي:

فالليل حين قدمت فيها أبيض والصبح منذ رحلت عنها أسود

يقول: إن الليل بقدمك هذه البلدة صار ضياء، كما كان ضوء النهار ظلامًا عند غيبتك عنها، وهذا المعنى مأخوذ من أبي تمام:

فكانت وليس الصبح فيها بأبيض وأمست وليس الليل فيها بأسود»^(٣٧).

ويقول عند قول الشاعر:

«وجعلت حظي منك حظي في الكرى وتركتني للفرقدين جليسا

هذا تفسيره على وجوه:

أحدها: جعلت حظي من رؤيتك وصلك في النوم، فكما لا حظ لي منك، لا حظ لي من النوم:

الثاني: جعلت حظي منك في النوم. يعني: لا أراك إلا في النوم.

والثالث: جعلت حظي منك بلا حقيقة وحاصل لي، كحظي من الأحلام التي أراها في المنام.

ثم قال: وتركتني جليس الفرقدين، ولا أنام من طول الفكر^(٣٨).

اللامع العزيمي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري:

يقف أبو العلاء المعري في هذا الشرح على أبيات مختارة من بعض القصائد، فيتناولها بالشرح والتفصيل، ويطيل القول فيه على غير ما كان في معجز أحمد الذي كان يتناول فيه أبيات الديوان جميعاً^(٣٩)، ويبدو أن السبب في ذلك أنه اختصر في الأول، ولم يول العميق والمتشابه حظه من العناية، وهو ما جعله يعيد النظر فيه على الرغم من أنه في الأصل استجابة لطلب عزيز، وقد ذكر بعض الرواة أن أبا العلاء بعد أن انتهى من «اللامع العزيمي» وقرأ عليه قال: رحم الله المتنبي كأنما نظر إلي بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمنت كلماتي من به صمم^(٤٠)

وكأن الشرح الأول لم يكن قد أعجب المعري أو أوفى على شيء مما في نفسه حتى يعد نظراً خاصاً به مستخرجاً دقائق معانيه، ولذا عندما ألف «اللامع»، وأثنى عليه أصحابه قال قولته الأنفة الذكر وكأنه يربط بين فعله السابق المتميز في وجهة نظر أصحابه بالنظر عند المتنبي.

يقول أبو العلاء في شرح قول أبي الطيب:

نفذت علي السابري وربما تندق فيه الصعدة السمرء

السابري: درع رقيقة النسج، وذكرها هنا؛ لأنه ذهب مذهب الحديد، وقد حكى تذكير الدرع، وأنشدوا قول الراجز:

كأنه في الدرع ذي التغضن

والصعدة: القناة التي تنبت مستوية، ولا تحتاج إلى تثقيب.

وقوله:

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت فإذا نطقت فإنني الجوزاء

يعني التي تسمى أتان الضحل، وهي صخرة تكون في الوادي، فإذا مر بها السيل بقيت منه بقية قليلة هي الضحل، فيقال: إنها تكون من أشد الصخر صلابة، ومنه قول علقمة بن عبدة:

هل تلحقني دواب الحي إذ شخطوا جلدية كأتان الضحل علكوم

جلدية: صخرة شبه الناقة بها.

والجوزاء: نجم يزعم المنجمون أنه نجم منطيق^(٤١).

ولا يسير أبو العلاء في شرحه على هذا المنوال في كل الشرح، فقد يقصر أحياناً عن هذا، وقد يطيل أكثر، ولكنه يحرص على إقامة الشواهد، وتتبع المعاني، وربط ما يقرؤه بالشعراء السابقين.

شرح ديوان المتنبي للواحد:

يبتدئ المؤلف هذا الشرح كغيره من الشراح، بمقدمة يبين فيها انصراف الناس إلى شعر أبي الطيب المتنبي، وإعراضهم عما سواه، على الرغم من أنه لا يجد لذلك سبباً سوى الحظ، وإن كان هذا لا يمنع أنه كان صاحب معانٍ مخترعة، تخفى على كثير من الناس بمن فيهم العلماء، وهذا ما دعاهم إلى التصدر له لشرحه، والنظر فيه، والكشف عن معانيه.

بيد أنه قد لاحظ أن تلك الشروح يعترها النقصان والعيب، فقد أدركوا شيئاً وغاب عنهم شيء آخر، وأجمل رأيهم فيما كتبه صاحب الوساطة، وابن جني، وابن

فورجة. وهي كلها لا تتخذ الشرح مقصدها، أو لا تجعل المعنى والكشف عنه عنايتها الأولى خاصة ابن جني الذي على الرغم من معرفته بالإعراب، والتصريف وتقدمه بهما، فإنه ليس من الذين يدركون المعاني ويعرفون خصائصه^(٤٢)، الأمر الذي جعله يقوم باستدراك ما فات أولئك ويقوم بشرح الديوان.

وواضح من حديث المؤلف في المقدمة أنه يجعل المعاني والكشف عنها الغاية من الشرح، وهو الذي ينبغي أن يقصده الشراح، فبعد أن ذكر المآخذ السالفة على الشراح، إذ يقول: «فتصديت بما رزقني الله تعالى من العلم، ويسره لي من الفهم لإفادة من قصد تعلم هذا الديوان، وأراد الوقوف على مودعه من المعاني، بتصنيف كتاب يسلم من التطويل، وذكر ما يستغنى عنه من الكثير بالقليل مشتمل على البيان والإيضاح مبتسم عن الغرر والأوضح»^(٤٣).

وهذا منهج يغاير فيه من سبقه من الشراح الذين ينصون على أن الغريب، وتتبع الروايات، وإيراد الشواهد من أهم وظائف الشرح الذي يعتزمون القيام به، وهذا ما يعني أننا أمام تطور في النظر إلى الشرح والعناصر التي ينبغي أن تكون فيه.

يقول الواحدي في شرح قول المتنبي:

لم الليالي التي أخت على جدتي برقة الحال واعذرني ولا تلم

يقول لمن لأمه في الفقر: لا تلمني ولم الدهر الذي أهلك مالي، وسلبني الغنى. يقال: أحنى عليه الدهر إذا أتلفه والجدة الغنى»^(٤٤).

وهذا المقطع يعد من أقصر مقاطع الشرح عنده، وربما زاد عن ذلك، وأورد في شرحه بعض المرويات بالتفسير، أو الأخبار التي تروي القضايا حول مصدر المعاني أو ما يسميه القدماء بالسرقات^(٤٥).

المآخذ على شرح ديوان المتنبي، لابن معقل الأزدي:

يبدو هذا الكتاب من عنوانه ليس بوصفه شرحاً، ولكنه مآخذ على شروح سابقة، وإن أردنا التدقيق يمكن القول إنه تنمة لعمل سابق، ولكن الأمر الطريف فيه أن المؤلف لم يرغب في أن ينشئ شرحاً جديداً خاصاً به، كما فعل من سبقه، وكان سيختصر عليه الجهد، ويحقق الغرض الذي دفعه لكتابة الكتاب؛ ذلك أنه لاحظ أن الشراح قد «قصروا في بعض المعاني فهدموا بها تلك المباني، وأشكل عليهم بعض الأبيات، فخفيت عنهم تلك الآيات، [فرأى] أن يضع كتاباً مختصراً ينبه على ما أغفلوه، ويهدي إلى ما أضلوه، ويبين ما جهلوه». وكان يمكن أن يتحقق هذا من وضع كتاب يبين فيه وجهة نظره في معاني الأبيات دون التعرض لشرح الشراح السابقين، والوقوف عندها، ولكنه اختار هذا المنهج، وكأنه يريد أن يقول: إن الهدف الحقيقي هو الحوار مع الشراح السابقين، وليس بيان رأي معين في ديوان الشاعر.

وقد سار الشارح في ترتيب مادة كتابه على إيراد بيت المتنبي ثم ذكر الشرح، والاعتراض على ما جاء فيه من معلومات. يقول ابن معقل بعد قول المتنبي:

وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكُرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ

قال: يقول: اجعل ملامتك إياه في التذاذكها كالنوم في لذته، فاطردها عنه بما عنده من السهاد والبكاء، أي: لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء؛ أي: فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا كراهه، فاترك ملامتك إياه.

وأقول: هذا ليس بشيء!

والمعنى: أنه قال لعاذله: إن الكرى الذي يستلذ به الإنسان قد طردته عن عيني بالسهاد والبكاء؛ فاجعل الملامة المستلذة عنه كالكرى مطرودة عني بهما.

ويحتمل أن يكون المعنى: هب الملامة التي أَسْتَلَذ بها، بل أَسْتَضَر بها، كالكرى في اللذاة، أفليس الكرى المستلذ به مطروداً بالسهاد والبكاء؟ فما ظنك بالملامة فاجعلها كذلك؛ والوجه الأول هو الصواب»^(٤٦).

وواضح أن المشكل في البيت، وصناعته، فهو ينطوي على نوع مما يسميه البلاغيون «التعقيد المعنوي»^(٤٧) الذي جعله يستغل على ابن جني، وجعل ابن معقل يقدم أكثر من اقتراح لشرحه (من وجهة نظري) لا تختلف كثيراً عن شرح ابن جني، والسبب أن ابن معقل جعل اللذاة في الملامة، وجعل الذي يستلذ بالملامة الشاعر، والحقيقة أن الذي يستلذ بالملامة هنا هو اللائم العاذل الذي يلوم الشاعر على تلذذه، وهو يقول إن الأذى الذي تلحقه الملامة في لذاته مثل الأذى الذي يحدثه السهاد، والبكاء حين يطردان الكرى، فليكتف بها عن أن يوقع به الأذى في الملام، وأظن أن «هب» هنا فعل أمر من الفعل «وهب» وليس من «هب» بمعنى «افرض».

وغالب الشرح يسير بهذه الصورة، وإن كان أحياناً قد يتخلله بعض الشواهد إما التي استشهد بها الشارح الأول، وإما التي استدعاها ابن معقل ليؤكد ما ذهب إليه أو يبين المعنى ويصححه.

كتاب قشر الفسر لأبي سهل محمد بن الحسن الزوزني:

وظاهر من عنوان الكتاب أنه نقد لكتاب ابن جني «الفسر»، أو تصحيح له، كما يذكر في المقدمة أنه حفظ ديوان أبي الطيب منذ الصغر، وحين أخذ بقراءته، والاطلاع على شروحه رأى أن أكثر هذه الشروح ضعيف لا تناسب القراء ولا تدل على كثير علم إلا كتاب ابن جني «الفسر» الذي رأى أنه «النهاية في الإيضاح لإعرابه، ولغاته، والدلالة بالشواهد على صحة عباراته»^(٤٨)، ومع ذلك فقد رأى عليه بعض المآخذ التي لا يمكن أن تقال - على حد تعبيره - فطلب منه بعض خلصائه أن يقف عند هذه المآخذ التي يحدثهم عنها بين

الفينة والأخرى، بالنقد والتفصيل ويبين منها ما يراه فاسداً^(٤٩)، وقد بين أنه لا يتحدث عن بيت ما لم يكن ابن جني قد شرحه، وإلا فإنه لن يعرض له^(٥٠).

وقد أخذ بنفسه هذا المنهج، فاتبع أبيات الديوان، وتعقب أبا الفتح في بعض آرائه في الديوان بأن يورد بيت الشعر، ثم يتبعه بقول ابن جني، ويعقب عليه برأيه كقوله بعد قول المتنبي:

إذا ما سرت في آثار قوم تخاذلت الجماجم والرقاب

قال أبو الفتح: أصل التخاذل التأخر، يقال: ظبية خذول: إذا تأخرت عن المرعى، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة فقد تأخر الإنسان؛ أي: لما سرت وراءهم كأن رؤوسهم تأخرت لإدراك إياهم، وإن كانت في الحقيقة قد أسرع.

ويجوز أن يكون: تخاذلت لما لقيت من سيوفك؛ أي: تساقطت لما ضربت بالسيوف؛ وتخاذلت رجلا السكران إذا ضعفتا.

قال الشيخ: الفصل الأخير خير من الأول، وإن كان غير مستوفى ولا كافٍ ولا مقنع.

ومعناه عندي: أنك إذا سرت في آثار قوم هربوا منك:

تخاذلت الجماجم والرقاب

أي: ضربت الرقاب حتى خذلت الجماجم، وأطيرت الجماجم حتى خذلت الرقاب. وقريب منه قوله في هذه الوقعة لسيف الدولة:

مضوا متسابقي الأعضاء فيها رؤوسهم بأرجلهم عثار

وأخذه الخوارزمي فقال في عضد الدولة:

وطالقت الجماجم كل قحف وأنكر صحبة العنق الوريد^(٥١)

وهو لا يستطرد في شرح الغريب، ولا في استعراض الشواهد، وإن كان أحياناً قد يصير إليها لتأكيد ما ذهب إليه، أو يتتبع آثار المعنى فيمن سبقه أو لحقه كما في الشاهد السابق.

والشروح غير هذه كثيرة، ولن أتمكن من تناول هذه الشروحات جميعاً بالدرس والتحليل، ولكني سأتناول بعض الظواهر الموجودة فيها مما قد تناوله الشراح وأشاروا إليه.

وقد ظهر من خلال عرض الشروحات باختصار، والمقدمة التي نقلت وشرح الأبيات، وموازنتها بمقدمات الشروح الأخرى، وبالنماذج المعروضة لها، أن تلك الشروح تتشابه فيما بينها، وأنها تختلف في العنصر الذي تؤكد عليه دون غيره من العناصر؛ ففي الوقت الذي نجد فيه بعض الشروح يوغل في بسط القول في الروايات بوصفها هي الجانب المهم لديه كما في شرح يعقوب لديوان الحطيئة، ومحمد بن حبيب لديوان جرير، وهناك من يهتم بالإعراب والتصريف كما هو في شرح ابن جني لأرجوزة أبي نواس، وهناك من يهتم بالشواهد يطيل فيها، ويبحث عما يؤكد معناه، وهذه سمة تكاد تظهر لدى كثير من الشراح كثعلب في شرحه لديوان الخنساء، وكذلك في شرح الأنباري للقوائد السبع الطوال، وعند ابن جني في شرح المتنبي، وفي اللامع العزيمي لشرح ديوان المتنبي. بيد أن الاستشهاد لا يكون لكل بيت إلا لدى ابن جني والمعري، أما ماعدا ذلك فكثير من الأبيات لا يرد عليها استشهاد عند بعض الشراح.

ثم نلاحظ أن هناك تنبهاً من قبل الشراح لأهمية المعاني، والبحث عنها، وأنها هي المراد من الشرح، فنجد كثيراً من المؤلفين يعيبون على من سبقهم العناية بالروايات، والاستشهاد دون العناية بالمعاني.

وهذا الاتجاه في نقد الشروح متقدم نجده عند الأعم الشنتمري كما أشير من قبل، ثم نجده أيضاً عند الأنباري، وإن كان الشنتمري أظهر في وقوفه ضد الروايات والاستشهاد إذ نجده يوجز في شرح البيت.

ثم نجد هذا الموقف ظاهراً بصورة كبيرة لدى الواحدي وهو يتعقب هذا المنهج في شرح المتنبي إذ ينص على أن ابن جني لم يكن من الذين يبحثون عن المعاني، ثم زادت أهمية المعاني بعد ذلك عن المعري في اللامع العريزي، وابن معقل، والزوزني على الرغم من أن المعري قد حرص على أن يجمع بين الاتجاهات المختلفة.

ويمكن النظر إلى هذا بأن فن الشرح قد تطور عند بدايته، حيث كانت العناية بالغريب، والروايات والاستشهاد ثم تطورت نسبياً إلى المعاني إلى أن أصبحت المعاني هي الهدف الذي يبحث عنه هؤلاء الشراح.

بيد أنني لا أفضل النظر إلى الشروح بهذه الصورة وأرغب أن أنظر إليها نظرة تاريخية؛ بمعنى أن الشروح الأولى في القرن الثاني والثالث، كانت تتعامل مع نصوص غير الشروح التي تتعامل معها الشروح فيما بعد، إذا كانت الأولى تعنى مع نصوص في عصور العرب الأولى، -في الغالب- التي سميت بعصور الاحتجاج، واللغة في هذه النصوص تتميز بأنها لغة صحيحة، وهي مصدر من مصادر اللغة، ومادة للاحتجاج اللغوي بوصف كل ما فيها من مفردات أو تركيب وإعراب، أو معنى صحيح، ويمثل العرب خير تمثيل، وهذا يجعل هذه النصوص هي الحاكمة -في الغالب- على الشارح، ولها اليد الطولى، وإن كان الشارح هو الذي يقرب المعنى، ويقدمه للقراء ويحكم بالصحة والخطأ في الفهم، لكن يظل النص منيعاً عن الحكم عليه بالخطأ، وهو الأصل الذي يقاس عليه غيره، ويستشهد به على صحة غيره، ولا يستشهد عليه كما كان يقول الفرزدق: «علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا»^(٥٢).

وهذا يجعل اللغة ذات قيمة، ومجال للاهتمام من قبل الشراح؛ لأنها دالة على تلك الثقافة، وذات قيمة متعددة في التفسير والشرح، وغيرها، كما يجعل تلك الروايات ذات قيمة أيضاً؛ لأنها تمثل جانباً مهماً في بناء اللغة، وفي معاني

المفردات، وقواعد النحو، وفي طريقة كلام العرب؛ مما يجعل نقلها، والعناية بها، وشرحها، جزءاً من العناية بذلك الشعر ويقدم وجوهاً لا تقدمها الوجوه الأولى، ولا يستغنى عنها.

في حين أن الشروح المتأخرة - في الغالب - تكون قد استنفدت رواياتها في الكتب السابقة، وقد لا يكون لدى الشارح ما يضيفه في هذا الحقل إن كان يشرح النصوص القديمة، أو لا يكون الوقوف عند الغريب، والرواية ذا بال باعتبار أن الغريب موجود في المعاجم والموقف لديه لا يتجاوز الشرح اللغوي البحث، وإن كان هذا موجوداً في الشروح المتأخرة، أما الرواية ففي الغالب أنها تكون قد اختفت؛ لأن غالب الشعراء يدونون أشعارهم، وتكتب في حياتهم، وتصبح تعدد الروايات أمراً غير كبير الأهمية؛ لأنه قد يدخل في تصحيف النسخ^(٥٣) وتحريفهم، وهذا ما يقلل الاتجاهات الأولى.

على أننا لا نستطيع أن نغفل عن ظاهرة الاستشهاد على الأشعار التي استمرت في الشروح اللاحقة، ولكن هدفها، ووظيفتها هنا ليس كوظيفة الاستشهاد في الشروح الأولى، إضافة إلى أننا -أيضاً- لا يمكن أن نتجاهل قضية أن الحركة العلمية تطورت، وأن العناية بالمعنى، وصحته، والتفصيل فيه نوع من النضج بالحركة العلمية، والنقدية، وإدراك للمعنى المهم في الشرح، لكننا لا نعيد إليه وحده السبب في اختفاء عناصر أخرى من عناصر الشرح.

عناصر الشرح:

تمثل عناصر الشرح المادة التي تتكون منها الشروح، ويحرص الشراح على أن يتناولوها في شروحهم، ويتنافسون على أن تكون جزءاً منها. ولأن الشروح كثيرة فإنني لن أتمكن من الوقوف عندها جميعاً، ولذا فسأختار عدداً من الشروح هي التي ستكون مجال الدراسة والتحليل، وسيكون من القسم الأول: شرح ابن السكيت لديوان الحطيئة، وشرح أبي سعيد السكري لديون الهذليين،

وأما القسم الثاني فسأتناول شرح ابن جني لديوان المتنبي، واللامع العزيري لأبي العلاء المعري، وكتاب المآخذ على شراح المتنبي لابن معقل، وقد نقف عند شروح أخرى للموازنة، والاستشهاد كشرح محمد بن حبيب لديوان جرير في المرحلة الأولى، وقشر الفسر للزوزني. كما أنني قد أستعين أحياناً ببعض الشروح للوقوف على معاني البيت، وتطوره بين الشراح المختلفين.

الروايات:

تمثل الروايات المتعددة سمة واضحة من سمات الشعر القديم، ويعود السبب في ذلك إلى أن الشعراء كان يعتمدون على الذاكرة في حفظ أشعارهم، وإنشادها كما يعتمد الناس في ذلك الزمن أيضاً على الحفظ كذلك، وهو ما يجعلهم ينسون فيبدلون كلمة مكان كلمة، وحين ينتقل الشعر بين القبائل فإن الذين ينقلونه يبدلون فيه بحسب ما يتناسب مع لهجاتهم، وقد يكون التبديل نتيجة النسيان كذلك.

والأمر عينه يحدث كذلك للرواة في القرنين الثاني والثالث، الذين قد يبدلون الأشعار، ويغيرون في بعض الكلمات مما يروونه مفيداً للشعر، وإن كان هذا ليس لازماً، فكثير من الرواة موثوق بهم ويلتزمون بالرواية كما سمعوها، ولكن قد يكون للبيت أكثر من رواية بناء على ما ذكر أو أن الشاعر قد بدل في القصيدة وأنشدها في أماكن مختلفة.

جاء في العمدة لابن رشيق أن الأصمعي يقول: قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، فلما بلغت إلى قوله:

وليل كإبهام الحبارى محبب	إلي هواه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن	كمن نبلاه محرومة وحبائله
فيالك يوماً خيره قبل شره	تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف: ويحه، ما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء، قال: صدقت، وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح لألفاظه، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، قلت: فكيف يجب أن يكون، قال: الأجود أن يكون «خير دون شره» فاروه كذلك، وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الأوائل، فقلت: واللّه لا أرويه إلا كذا^(٥٤). وفي هذا نص صريح من الأصمعي بأن الرواة يصلحون الأشعار^(٥٥)، ولعل هذا ما جعل أحمد العمري يرى أن الرواية قد تكون مخترعة، ولا سند لها من الصحة، وأن العلماء يوجدون لها رأياً يناسبها^(٥٦).

وإذا اختلفت الرواة فإن هذا يؤذن باختلاف الرواية، والرواة ليس كلهم من العلماء وإنما كثير منهم، خاصة في العصر الجاهلي والقرن الأول، من الشعراء^(٥٧).

جاء في كتاب الكامل^(٥٨)، قال المبرد، حين أورد قول الأعشى في المعلق: نفى الذم عن رهط المعلق جفنة كخابية الشيخ العراقي تفهق

قال: المبرد: سمعت أعرابية تنشد: «كخابية السيح العراقي»، قال أبو الحسن: هي أم الهيثم الكلابية من ولد المعلق، وهي راوية أهل الكوفة.

فرواية أهل الكوفة تختلف عن رواية أهل البصرة بناء على الرواة الذين اعتمدوا عليهم في أخذ الرواية، وإذا كانت الشواهد تثبت أن الرواة يغيرون في الأبيات، فإن الشاهد الأخير يعني أن البيت يختلف روايته بناء على اختلاف راويه، ولكن ليس لأن الراوية بدله لأن الراوي أعرابي وليس من فئة الرواة العلماء.

واللافت للانتباه أن هذه الروايات أحياناً يصيبها تداخل مع بعض قصائد أخرى لشعراء آخرين، مما قد يدفع إلى الشك بأن القصائد تداخلت على الرواة الذين يجمعون الشعر، فأدخلوا أشعار الشعراء بعضها ببعض، كما في قصيدة الحطيئة رقم (٧) في رواية يعقوب بن السكيت:

تلاعب أثناء الزمام وتتقي مخافة ملوي من القد محصد
يروى: علالة، وعندها يصبح الشطر:
علالة ملوي من القد محصد^(٥٩)
وهذا شطر بيت لزهير بن أبي سلمى.
ومثل ذلك البيت المنسوب لأبي ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه:
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعع
فقد ذكر الأصمعي أن هذا البيت يخلط بقصيدة متمم أو مالك بن نويرة،
وذكر غيره أنهما تنازعا^(٦٠).
وتختلف الروايات كثيراً في الكلمات، فتختلف إحدى ألفاظ البيت في
الروايات المختلفة، ففي قول الحطيئة مثلاً:
عطفنا الجياد الجرد حول بيوتكم إذا الخيل مسفاها زباله أو يسر
فتروى: «عطفنا عتاق الجرد»، وتروى: «هي الخيل»^(٦١).
وربما كان اختلاف الرواية على حرف واحد كما في قول الحطيئة:
أنشأت تطلب ما تغى ر بعد ما نشب الأظافر
فكلمة «تغير»، رويت: «تغير».
وربما كانت الرواية في ضبط الكلمة؛ بحيث تكون الفرق في الحرف الأخير
من حروفها كما في قول الحطيئة:
فإذا الحزون وطئنه صل الفراسن والكرامر
ف «الحزون» تروى بالرفع وبالنصب، فمن «فبالهاء الراجعة على الحزون.
[يقصد أنها خبر لمبتدأ محذوف] والنصب الوجه ينصبه بالفعل»^(٦٢).

وقد يكون بضبط بنية الكلمة، وهو ما لا يغير المعنى الإعرابي، ولكن يغير الكلمة نفسها كما في قول الحطيئة:

ومنعنت أوفر جمعت فيه مزممة خناجر

فكلمة «جمعت»، بالبناء للفاعل، والإسناد لتاء التأنيث، وتروى بالبناء على المفعول: «جمعت»^(٦٣).

وقد يكون الخلاف بالروايات أكبر من ذلك مبنياً على جملة كاملة، يختلف فيها حرف النفي، والفعل، كما في قول الحطيئة:

فلقد صدقت فهل تخا ف بأن تدور بك الدوائر

فجملة: «فهل تخاف»، رويت: «وما خشيت»^(٦٤).

ومثل هذا أيضاً قوله:

هلا غضبت لرحل جا رك إذ تنبذه حضاجر

فتروى: «هلا غضبت لجار بيتك»^(٦٥).

على أن الروايات المختلفة لا تقتصر على الكلمات داخل الأبيات أو الجمل بل تتجاوز ذلك إلى إضافة أبيات كاملة في القصيدة، مما يعني أن القصيدة نفسها تأتي بروايات مختلفة، فيضاف إليها أبيات عند بعض الرواة لم تكن موجودة عند آخرين، دون ذكر سبب نقصانها عند بعض الرواة أو زيادتها عند آخرين، وعلى هذا تأتي القصيدة على أكثر من صورة، وقد يجمع هذه الروايات المختلفة راوية من الرواة، كما في قصيدة الحطيئة السينية التي مطلعها:

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً في آل لأي ابن شماس بأكياس

فقد اختلفت هذه القصيدة في رواية الأصمعي عن رواية أبي عمرو بن العلاء عن رواية خالد بن كلثوم، ورواية السكري، فنجد بعد البيت الأول يروي السكري:

علام كلفتني مجد ابن عمكم والعيس تخرج من أعلام أوطاس
 في حين تبدأ القصيدة عند الأصمعي:
 ما كان ذنب بغيض لا أبالكم في بائس جاء يحدو آخر الناس
 في حين تأتي الأبيات ٩، ١٠، ١١ في القصيدة من رواية خالد بن كلثوم دون
 رواية أبي عمرو بن العلاء^(٦٦).

ومثل ذلك في القصيدة التي مطلعها:
 ألا طرقتنا بعدما هجدوا هند وقد سرن غورًا واستبان لنا نجد
 فالقصيدة تبدأ عند أبي عمرو بن العلاء، ويعقوب من البيت الثالث، في حين
 أن السكري وابن الشجري يزيدان بيتًا آخر بعد البيت الأول:
 وهند أتى من دونها ذو غوارب يقمص بالبوصي معروف ورد^(٦٧)
 وهذا يعني أن عدد الأبيات تختلف من راوٍ إلى آخر، وهو ما سينبني عليه
 اختلاف ترتيب أبيات القصيدة، وترابطها.

وهذه الروايات تضيف ثراءً إلى الشعر، في معانيه؛ إذ إنها تجعل البيت
 يشرح على أكثر من وجه، وتعزز إمكانية استعمال البيت، والاستشهاد به سواء
 في المعاجم، أو في النحو والتصريف. ويمكن أن نضرب على ذلك مثلاً ببعض
 الشواهد السابقة، فحين ذكر شارح ديوان الحطيئة الروايات في «جمعت»، قال:
 «فمن روى جمعت [بالبناء على الفاعل] أراد جمعت المذمة في الأوفر اللبن،
 وهو السقاء الضخم، ومن روى: جمعت [بالبناء للمفعول]، أراد ألبان المذمة،
 والمذمة نعت للخناجر»^(٦٨).

أو في قول الشارح عند قول الحطيئة:
 ويمسي الغراب الأعور العين واقعا مع الذئب يعتسان ناري ومفأدي

«وروى الأصمعي: ومفأدي بفتح الميم، وقال: المفأ والمفتأ: الموضع الذي يختبئ فيه ويشتوى. والمفأ: العود الذي تحرك به النار، ويقال: فاءدت اللحم: إذا مللته في النار»^(٦٩).

فكل واحدة من وجوه الروايات هذه تحيل إلى معنى مختلف عن الآخر، وهو ما يكسب البيت ثراء، ويجعله قابلاً لتعدد المعاني، والتفسير بناء على الاختلافات التي تتيحها الروايات المختلفة.

وتظل الروايات قابلة للمعاني المتعددة، وحاملة للشرح بغض النظر عن عناية الشارح بها، ووقفه عندها، وإن كان الغالب أنه يقف عند معاني الألفاظ المفردة، وقد يشرح البيت بناء على التبدل في اللفظ إذا رأى الموقف يتطلب ذلك.

كما في شرح السكري لقول أبي ذؤيب:

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

«الشاحب»: المتغير المهزول، والاسم منه «الشحوب»، ثم يقول: ويروى: «ما لجسمك سائياً»، أي يسوء من نظر إليه»^(٧٠). فشرح كل لفظة على حدة بناء على قدرة القارئ على وضع كل شرح في الموضع الذي يناسبه.

ولا يكفي بإثراء البيت، وشرحه بذكر الروايات المختلفة والوقوف عندها، بل يتجاوز ذلك للاستشهاد على الرواية الأخرى ليؤكد صحتها لغوياً، وصحة استعمال الكلمة في موضعها، ثم يشرح الشاهد اللغوي؛ مما يكون سبباً في ثراء الشرح، كما نجد لدى السكري عند قول أبي ذؤيب:

وغادر في رئيس القوم أخرى مشلشلة كما نفذ الخسيف

قال أبو عمرو: «الخسيف» البئر المنقوبة، شبهها بالطعنة، لأن هذه لا تنزح، وتلك لا ترفأ، ويقال: «الخسيف» البئر التي نقر جبلها، وخسفت. الأخفش: «الحشيف» الثوب الخلق، وأنشد:

يدني الحشيف عليه كي يواريه

فأراد طعنة قد نفذت كما انخرق الثوب والخلق، فنفذ خرقة»^(٧١).

فـ «الحشيف» رواية من الروايات التي أوردها، ومع ذلك وقف عندها بالشرح، والاستشهاد كما شرح الرواية الأولى، وكأنها بيت مستقل، مما جعل البيت يحل محل ثلاثة أبيات.

وإذا كانت الروايات قد أصبحت جزءاً مكيناً من الشعر العربي القديم قبل الإسلام، حتى أصبح الرواة يتكثرون منها، وأصبح جماع الشعر يزينون بها رواياتهم، أو «يتشاغلون بها» على حد تعبير الأعلام الشنتمري السالف الذكر، فإن هذه الروايات أصبحت جزءاً أيضاً من الشروح، -كما ذكر من قبل- أن الشراح ينصون على أنهم يرغبون في أن يجمعوا ما قيل في هذا الشعر من روايات، وهو ما ألقى ليس بظلاله على الشروح وحسب وإنما على الشراح أيضاً؛ إذ نجدهم أحياناً يشرحون الأبيات بتأثير من روايات أخرى، فهي التي تدلهم على المعنى؛ لأن هذه الروايات جاءت عن طريق أعراب، أو أناس من قبيلة الشاعر وأصحابه. نجد هذا في شرح الأصمعي لقول الحطيئة:

لن يتركوا جار مولا هم بمتلفة غبراء ثمت يطووا دونه السببا

يقول الأصمعي: «لن يتركوا جار مولا هم في بئر هلاك، ثم يطوون دونه الحبل». فكلمة «بئر» ليست موجودة في البيت، ولا ما يدل عليها في أي مفردة من مفرداته، يؤكد هذا شرح البيت الآخر الذي أورده المؤلف، ولا يتحدث فيه كما تحدث الأصمعي عن البئر إذ يقول فيه: «متلفة: مفازة غبراء محل موحشة»، وهو هنا يقصد الصحراء، ويؤيده وصفها بأنها «غبراء»، وهو ما لا توصف به البئر التي في الغالب يكون ترابها ساكناً، ولا يثور إلا حين يطير منها طير أو يتحرك فيها شيء، وهو قليل، ثم يعود إلى طبيعته.

وهذا يعزز أن الأصمعي قد أخذ هذا المعنى من الرواية الأخرى التي يذكرها ابن السكيت، ويظهر أنها رواية ابن الشجري:

جارهم في قعر مظلمة^(٧٢)

وهنا واضح أن المقصود هو البئر؛ لأن الصحراء، وإن كانت مظلمة فلا قعر لها، فالأصمعي قد استعان بالمعنى في هذه الرواية على تفسير البيت. على أن هذه الرواية تشبه إلى حد كبير البيت المشهور الذي قاله الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب، وفيه يقول:

غبت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر^(٧٣)

وبهذا قد تكون رواية البيت الثانية غير أصيلة، ومتأثرة بهذا البيت.

وهذا يظهر أيضًا جلياً في قول الحطيئة:

ألم أك مسلماً فيكون بيني وبينكم المودة والإخاء

فالبیت يروى: «ألم أك محرماً»، ويشرحها يعقوب بقوله: أي بيني وبينكم حرمة لا ينبغي أن يساء إلي، في حين يشرحها غيره بأن «محرماً» هنا تعني «مسلماً» أي يقول: لم تكن بيني وبينكم حرب^(٧٤).

والشرح هنا متأثر بالرواية الأولى التي جاءت في الديوان.

الشواهد:

من المكونات التي كونت الشروح، والقضايا التي حرص الشراح عليها في صناعتهم لشروحهم، إيراد الشواهد الشعرية في تضاعيف كلامهم عن الأبيات. وقد نص بعض الشراح صراحةً على أن إيراد الشواهد هو هدف يرغبون القيام به، وهذا ما أشار إليه أبو الفتح ابن جني إذ ينص في مقدمة ديوانه لشرح المتنبي على أن طالب شرح المتنبي منه قد أراده أن يقيم الشاهد على غريبه^(٧٥)، في حين

يذكر ابن جني نفسه في شرح أرجوزة أبي نواس أن السائل للشرح أراد منه أن يفسر ما فيها من معنى، وإعراب، وأن يورد في ذلك النظائر^(٧٦). وواضح الفرق بين النظائر والشواهد، لأن الشاهد هو الذي يورد لتدعيم القول والاحتجاج به، في حين النظائر هي المماثلة له لمعنى آخر غير الاستشهاد والاحتجاج. كما أن الخطيب التبريزي قد ذكر في شرحه للقوائد العشر بأنه سيضمن جميع الاستشهادات التي أوردها الشراح من قبله في شرح المعلقات نظراً لأهميتها.

وسواء ذكر ذلك الشراح في مقدمة كتبهم أم لم يذكروه فإن الواقع أن هذه الشواهد قد مثلت جانباً مهماً كبيراً من الشروح، وأن الشروح قد امتلأت بالشواهد حتى لتجد الشارح يستشهد على البيت الواحد بالأبيات المتعددة، ويطيل في ذلك حتى لا مهم بعض الشراح اللاحقين على ذلك حين اعتبروه لوناً من التطويل كالواحد الذي يرى أن ابن جني قد حشا شرحه «بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة له إليها»^(٧٧)، وكما جاء في «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي»^(٧٨).

وتأتي الشواهد للاستشهاد على صحة اللفظة الواردة في الشعر المشروح كاستشهاد شارح قول أبي ذؤيب:

وكانهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

فقد شرح كلمة «يصدع» بأنها تعني يفرق، واستشهد على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٧٩).

ومثل ذلك أيضاً استشهاده على استعمال كلمة «الحجاب» بالمعنى الذي حدده في قول أبي ذؤيب:

فشرين ثم سمعن حساً دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع

وهو «مرتفع يكون في الحرة عند منقطعها»، إذ يورد مستشهداً على ذلك:

ألم تر أنا أهل سوداء جوبة وأهل حجاز ذي حجاب موقر^(٨٠)
ومثل استشهاد يعقوب بن السكيت على قول الحطيئة:
تفرق بالمدرى أثيثاً كأنه على واضح الذفرى أسيل المقلد
بقول امرئ القيس:

فأثت أعالیه وآدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمر^(٨١)
فالأثيث هو الشعر كثير الأصل، وفي قول امرئ القيس «أثت أعالیه» بمعنى
كثرت أعالیه، فالتكثير هو الأصل، على أنه من المحتمل أن الذي يكون استدعى
الاستشهاد بقول امرئ القيس هنا ليس موضع الاستشهاد منه، ولكنه ما ورد في
شرح «أسيل المقلد»، فقد ذكر الشارح أن «المقلد» مكان وضع القلادة، وهو مثل
المسور، والمخلخل مكان وضع الخلخال، وهذا يذكرنا بقول امرئ القيس:
مددت بغصني دومة فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل^(٨٢)

ولكنه عدل عن الاستشهاد بهذا البيت الذي لا يناسب شيئاً ورد في البيت،
وهو بمثابة الاستشهاد على الاستطراد، وهذا كثير سنتحدث عنه لاحقاً، إلى بيت
آخر لامرئ القيس يناسب المشروح، وما جاء فيه.

على أن راوي الشرح ينسب الاستشهاد ببيت امرئ القيس المذكور إلى غير
يعقوب، فيقول: «وأنشد غيره»، وكأن هذا الاستشهاد على بيت الحطيئة من غير
يعقوب، وإنما هو لراوٍ آخر، وهذا يبعد أثر ورود «المخلخل» في كلام يعقوب على
استدعاء بيت امرئ القيس، وإن كان لا ينفیه.

وقد يكون الاستشهاد على صحة معنى رواية لبيت كما جاء عند ابن السكيت
حين روى قول الحطيئة:

ألم أك مسلماً ويكون بيني

ألم أك «محرماً»، فقد شرح هذه الرواية بأن يكون بينه وبينهم حرمة، ثم استشهد على هذا المعنى بقول الشاعر:

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يتمتع بكفن

فكسرى لا يكون محرماً بالمعنى الذي يكون فيه الإنسان حاجاً أو معتمراً إلى البيت، وهو وثني، وهذا يعني أن هناك معنى آخر، وهذا المعنى لا يكون إلا كما شرحه يعقوب دون الشرح الآخر الذي يعني أنه مسلم، لأن كسرى أيضاً لم يكن مسلماً^(٨٣).

وكما في شرح أبي سعيد السكري لقول أبي ذؤيب:

وغادر في رئيس القوم أخرى مشلشلة كما نفذ الخ سيف

يقول: يروى «الحشيف»، ثم يقول: الأخفش: أي يقول الأخفش: الحشيف: الثوب الخلق، وأنشد:

يدني الحشيف عليه كي يواريه^(٨٤).

فالشاهد هنا جاء ليبين رواية الشرح.

وهذا الاستشهاد كثير، وقد لا يكون لتأكيد استعمال الكلمة، وإنما لبيان أن هذه الكلمة يكثر ورودها في الشعر بهذه الصورة أو للاستشهاد على نمط من التراكيب لا يدل ظاهره على ما يفهم منه كقول الشارح عند قول أبي ذؤيب:

متفلق أنساءها عن قانئ كالقرط صاو غبره لا يرضع

فحين يشرح قوله: «غبره لا يرضع»، يقول: إن الغبر وهو البقية من اللبن لا ترضع من الضرع، وليس ذلك لأنها تبقى، وإنما لأنها ليس فيها حليب، فهي لم تحمل وتلد، ثم يستشهد على سلامة هذا الأسلوب في الدلالة على المعنى الذي وقف عليه بالبيت المشهور لا مرئ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره

فقد أجمع الشراح على أن المقصود أن ليس لهذا اللاحب منار ليهتدى به. وليس المقصود أن هذا المنار لا يهتدى به.

فالاستشهاد هنا على أن أسلوب «غيره لا يرضع» يعني أن ليس فيه غير، وهذا خلاف ما يفهم من ظاهر الجملة. وقد استشهد على صحة هذا المذهب بعد بيت امرئ القيس بعدد من الشواهد التي يؤكد فيها رأيه.

وقد يكون الاستشهاد على المعنى تأكيداً أو نقضاً، كأن يصف الشاعر موصوفاً بوصف لا يوصف به عادة، ويريد الشارح أن يؤكد أن هذا القول خطأ فيورد أشعاراً أخرى تناقض قول الشاعر، كما في قول السكري عند شرح قول أبي ذؤيب:

قصر الصبوح لها فشرح لحمها بالني فهي تثوخ فيها الأصبع

يقول: شرح أي جعل فيها ضربان من شحم ولحم، أي خلط لحمها بالشحم. وقال: «وهذا من أخبت ما تنعت به الخيل». الأصمعي: لوعدت هذه ساعة لقامت من كثرة شحمها، وإنما توصف بصلابة اللحم، كما قال امرؤ القيس:

أترز الجري لحمها»^(٨٥)

فأبو ذؤيب يصف الفرس بأنها ممتلئة لحماً وشحمًا، وأن الإصبع يثوخ فيها لما اختلط فيها من الشحم واللحم، والسكري يرى أن هذا عيب في الخيل لأنه يمنعها من الجري كما جاء في قول الأصمعي، ولأنه لا تمدح به الخيل فهو وصف خاطئ بدليل قول امرئ القيس.

وهذا أيضاً مثل قول الشارح عند قول أبي ذؤيب:

وعليهما ما ذيتان قضاهما داوود أو صنع السوابغ تبع

ف «صنع» تعني الرجل الماهر، وقد جعل تبعًا وهو الملك رجلاً ماهراً يصنع الدروع، ولأنه قد سمع أن داوود عليه السلام كان يفعل ذلك، فقد جعل تبعًا مثله، وهو ليس كذلك، وإنما كان يأمر بها فتصنع، وهذا خطأ من الشاعر كما يقول الشارح، ثم يستشهد على هذه الأخطاء التي يقع بها الشعراء بقول الأعشى حين جعل قصياً بنى الكعبة، أو الشاعر الذي نسب إلى النصارى قتل المسيح، وزهير حين نسب الأحمر إلى عاد والصحيح إلى ثمود^(٨٦).

ومثل الاستشهاد لتأكيد صحة المعنى وسلامة مأخذه، استشهاد يعقوب بن السكيت على وصف الخصر بأنه يكاد ينقطع لدقته في قول الحطيئة:

إذا ارتفعت فوق الفراش حسبتها تخاف انبتات الخصر ما لم تشدد

بقول قيس بن الخطيم:

تنام عن كبر شأنها فإذا قامت لشيء تكاد تنغرف^(٨٧)

فالقول بأن الخصر يكاد ينقطع لدقته معنى طريف يحتاج أن يستشهد عليه من لدن الشعراء حتى لا يعد منكرًا مبالغاً فيه، وقد يعد هذا من المبالغة المقبولة لأن الشاعر لا يجزم بأنه سينقطع، أو أنه انقطع، وإنما يقرب المعنى بأنه «يكاد» أو «يخاف».

وكما قال عند قول الحطيئة:

يصب إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناء

فالمعتاد أن المرء يحب طول الحياة، ويكره الموت، وذكر العناء عند طول الحياة ليس متبادراً إلى الذهن، وهذا ما يجعل المعنى غريباً، وجعل ابن السكيت يتبعه بعدد من الشواهد التي تتضمن المعنى بمعنى ذكر الذين سبقوه إليه من مثل قول الشاعر:

إن طول الحياة غير سعاد
وضلال تأميل نيل الخلود
وقول المرقش:

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم^(٨٨)

على أن قول المرقش - كما يبدو لي - يختلف عن قول الحطيئة والشاعر الذي بعده، إذ المرقش يمدح الحياة، فيقول إن طول الحياة ليس عليها ندم، خاصة أن وراءه أي قدامه ما يعلم، وقد يكون الذي يعلم هو الآخرة والحساب والعقاب، وهنا يكون طول الحياة أمراً حميداً، وقد يكون وراءه الشيخوخة والهرم كما ذهب ابن السكيت؛ لأن الشاعر جاهلي لا يؤمن بيوم الحساب، وهنا يصبح المعنى في الشطر الثاني متفقاً مع ما ذهب إليه الشارح، وفيه موضع الاستشهاد، ويكون معنى الشطر الثاني أنه إذا لم يكن على طول الحياة ندم، فليس عليها أيضاً ما يفرح لأجله.

والمهم أن نلاحظ أن الشارح يستشهد بأبيات من الشعر لتأكيد ظواهر في أبيات مماثلة، فالأبيات التي يستشهد بها لا تختلف عن التي يستشهد عليها، سواء في الصحة، أم في قدرتها على تمثيل الظاهرة، وهو ما يدعو إلى التساؤل عن حقيقة هذا الاستشهاد، هل هو فعلاً استشهاد، وهو استشهاد على ماذا إذا كان الشاهد يساوي بنفس قوة الدلالة المستشهد عليه؟

كما أننا لا نستطيع أن نجزم بأن الشارح يراعي الترتيب التاريخي بين الشواهد والأبيات التي يشرحها، فكثير من الشواهد التي وقفت عندها، وأشرت إليها في الدراسة تعود إلى حقبة أقدم من الأبيات المشروحة كما في ديوان الحطيئة، أو شرح أشعار الهذليين، لكن هذا ليس هو الحال في شرح معلقة امرئ القيس لابن الأنباري الذي نجده يستعين على شرح امرئ القيس بأشعار متأخرة عنه، كما في شرحه للبيت السابق:

مددت بغصني دومة فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل^(٨٨)

إذ يستشهد على الرواية الأخرى: «إذا قلت هاتي نولينى تمايلت»، بعد أن يقول: «ومعنى نولينى» ليصيبني منك نوال، بقول الأحوص:

ولقد قلت يوم مكة سرًا قبل وشك من بينها نولينى

الذي يقول بعده: ويقال: «معنى قوله نولينى قبلينى».

ومعلوم أن الأحوص متأخر عن امرئ القيس، والاستشهاد هنا للتحقق من صحة المعنى، كما من معلوم أن امرأ القيس أرسخ قدمًا في هذا الفن، وهو مغازلة النساء من الأحوص، الذي يسير على نهج السابق فيه، هو ومن شاكلة من شعراء العصر الأموي.

ومثل ذلك سائر الشواهد التي أوردها في شرح البيت السابق، إذ يورد شاهدًا على ورود شجر الدوم في الشعر قول الشاعر:

أجدك تطوي الدوم ليلاً ولا ترى عليك لأهل الدوم أن تتكلما
وبالدوم ثاوٍ لو ثويت مكانه فمر بأهل الدوم عاج فسلما

دون أن يذكر اسم الشاعر، وأغلب الظن أنه بعد امرئ القيس، فهو من أوائل الشعراء، وأسبقهم إلى المعاني. وكذلك الشواهد التي أوردها في شرحه لقوله «هضيم الكشح»، فقد جاء بآية قرآنية، وقول الشاعر:

يديان بيضاوان عند محلم قد تمنعانك بينهم أن تهضما

وهو أيضاً لم يذكر قائله، وهو من شواهد النحويين التي تتردد في كتبهم^(٩٠).

ونجد هذه الظاهرة في البيت الذي يليه حين يستشهد بشعر أعشى باهلة على شعر امرئ القيس^(٩١).

على أن بعض هذه الشواهد هي من شواهد النحويين؛ بمعنى أنها يكثر دورانها في كتب النحو واللغة، فهي ليست من الشواهد الأصلية في شرح الأبيات، وإنما تتردد في مسائل لغوية معينة، تكون في الأبيات التي يتحدث عنها الشارح، وكثير من شواهد ابن الأنباري في شرحه لمعلقة امرئ القيس ليست مما يستجد من حيث اللغة، بدليل أن بعضها لا يعرف قائله، وإنما لما فيها من غريب، أو موافقة لموضع الاستشهاد، وهذا يعيد السؤال مرة أخرى عن قيمة الاستشهاد بهذه الشواهد، إذا كانت في فصاحتها أقل درجة من المستشهد عليه؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال يظهر سؤال آخر عن موضوع الاستشهاد في الشرح، هل هو الاستعمال أو التركيب اللغوي، أو المعنى أو الاستشهاد لتعزيز صحة الشرح، وما ذهب إليه الشارح في تحديد المعنى؟

يبدو في كثير من الحالات أن المعنى الآخر هو المقصود من الشواهد الشعرية، وكأنه يريد أن يقف على مواضع أخرى قيل فيها القول مثل ما قاله الشارح عن البيت الذي أمامه، فهو يريد أن يعزز موقعه، ورأيه العلمي بشروح أخرى لأبيات مناظرة للبيت الذي هو بصدده، أكثر من أنه يستشهد على استعمال الشاعر. يظهر هذا جلياً في قول أبي سعيد السكري في شرح قول أبي ذؤيب:

يضىء رباباً كدهم المخا ض جللن فوق الولايا الوليحا

يقول: «الرباب السحاب الذي تراه دون السحاب، كأنه علق، وأنشد:

كأن الرباب دوين السحاب نعام يعلق بالأرجل

فالبيت هنا يكاد يكون نظماً للمعنى الذي بينه في معنى كلمة «الرباب»، وهذا ما يؤكد أنه تعزيز للشرح، وتأكيد له، وليس للبيت المشروح أو استعمال الكلمة، بدليل أن البيت المشروح ولا الذي قبل يتطلب هذا المعنى اللغوي الدقيق للرباب إذ يقول:

رأيت وأهلي بوادي الرجيد ع في أرض قبله برقًا مليحاً^(٩٢)

فالبرق المليح الذي رآه الشاعر وأهله معه يضيء رباباً كدهم المخاض؛
بمعنى أنه يضيء سحاباً أسود، وهو ما لا يستدعي الشرح الدقيق والشاهد الذي
أورده، مما يؤكد أن الشاهد للشرح، وليس للاستعمال.

وهذه النماذج كثيرة كما نجد في قول يعقوب عند شرح قول الحطيئة:

فلما خشيت الهون والغير ممسك على رغمة ما أثبت الحبل حافره

وقوله: «ما أثبت الحبل حافره»، أبو عبيدة: هذا مقلوب، أراد ما أثبت الحبل
حافره، فقلب، فهذا الشرح المتضمن قلب المعنى يحتاج استشهاد عليه، وهو ما
دفع ابن السكيت إلى الاستشهاد عليه بقول القطامي:

فلما أن جرى سمن عليها كما بطنت بالفدن السباعا

فالمعنى كما بطنت السباعا بالفدن، ولا يبدو لي الفرق بين الاستعمالين
وإنما الصواب على قول ابن السكيت أن يقول: كما بطنت الفدن بالسباع، وليس
العكس، ثم يستشهد ببيت آخر:

أسلموها في دمشق كما أسلمت وحشية وهقا

فالمعنى كما يشرح ابن السكيت أن وهقا أسلمت وحشية^(٩٣).

على أن غيره يرى أن المعنى بأن الحبل لم يخرج من الحافر، فكأن الحافر
أثبتته كما نقل ذلك راوي الشرح.

والمعنى لدي على وجهين: أن الحافر يثبت الحبل فلا يجز، أو يسحب كما يثبت
الحبل الحافر، وهو يقصد الصورة التي يثبت فيها الحافر الحبل، وهذا يتناسب
مع الجزء الأول من الصورة بأن يكون العير ممسك (الحبل) على رغمة، فبالرغم
أن العير مربوط، وهو محبوس على غير رغبته، فهو في الوقت نفسه ممسك.

المعنى الثاني: أن القلب هنا ليس بالمعنى ولكن بضبط التركيب بالشكل، فقد جاء على رفع المفعول، ونصب الفاعل كما في الشواهد التي استشهد بها ابن السكيت، وقد ورد هذا في شواهد أخرى كقولهم: خرق الثوب المسمار، برفع الثوب، ونصب المسمار.

ومن الشواهد على أن الاستشهاد يكون للشرح وليس للمشروح ما قاله السكري في شرح قول أبي ذؤيب:

أعاذل أبقني للملامة حظها إذا راح عني بالجلية عائدي

فهو لم يشرح قصد أبي ذؤيب الهذلي «إذا راح عني بالجلية عائدي»، واستشهد على «عائدي» بقول الشاعر:

إذا كنت في دار وحاولت تركها فدعها، وفيها إن رجعت معاد

فهو يشبه قول أبي ذؤيب بقول الشاعر السابق، والشبه بينهما بالمعنى العام، وهو المحافظة على إمكانية الرجوع ما دامت فيها، وليس التشابه في استعمال «عائدي» في قول الهذلي و«معاد» في بيت الآخر، أو المعنى التفصيلي للشطر الثاني في بيت الهذلي، وهو ما يبدو أن الشارح استدعى البيت لأجله بما أنه قد أورده بعد أن شرح معنى «الجلية»، فيتبعها بشرح «عائدي».

والمعنى في بيت أبي ذؤيب، لا تسرفي في الملامة وأبقي منها قدراً ستعلمين قيمته، إذا رجع عائدي بالجلية، وهي الأمر البين، وذلك أنه سيسمع الناس يثنون عليه لما قام به من مكارم الأخلاق، وهم يعودونه لأنه مريض هرم، وعندها ستدرك أن لومها له على ما كان يفعله خطأ وهنا يدعوها لئلا تستعجل باللوم. فـ «العائد» هو الذي يعود المريض، في حين أن «معاد» في بيت الشاعر من العود، وهو مطلق الرجوع، ولا صلة له بمعنى «عائدي» في بيت الهذلي.

على أن الشواهد في أحيان كثيرة تستدعى للاستشهاد على بعض المسائل التي تعد استطراداً عن الشرح وما جاء فيه، كأن يكون استشهاداً على حكاية، أو مسألة لغوية، ونحوية، كما في الشاهد الذي أورده ابن السكيت في شرح الحطيئة:

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فالشاهد هنا نصب «الرقاب» على الرغم من أنه معرف بأل، وواقع خبر، ولكنه نصبه على نية أن يكون: ولا بفزارة الشعر رقابا، فيكون تمييز منصوب، وتكون «أل» التعريفية زائدة، وهو شاهد على نصب «العين» على الرغم من دخول «أل» عليها، وإمكانية إعرابها خبراً، إلا أنه نصبها فقال:

ويمسي الغراب الأعور العينَ واقعا^(٩٤)

فالتقدير على رأي ابن السكيت: الغراب الأعور عيناً على أنه تمييز.

وقد يكون الاستشهاد للصيغة كأن تكون جمعاً أو مشتقة كاستشهاد ابن الأنباري على صيغة جمع «ترائب» عند امرئ القيس بقول الشاعر:

والزعفران على ترائبها شرفاً به اللبات والنحر

واستشهاد على صيغة جمعها «تريب» بقول الشاعر:

ومن ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غصون

على الرغم من أن «تريب» لم ترد في البيت، وإنما التي وردت «ترائب»، وهي من قبيل الاستطراد بذكر صيغة أخرى تجمع عليها الكلمة، خارجة عن السياق^(٩٥).

ومن هذا الاستطراد التفصيل اللغوي في الاستشهاد على دلالة لفظة ما بذكر الشواهد المتتالية مما لا يستدعيه المقام، وكأن القارئ يطالع معجماً لغوياً، أو كتاباً في اللغة وليس شرحاً، كما في حديث السكري عن قول أبي ذؤيب:

وقد أرسلوا فرأطهم فتأثَّلُوا قَلِيْبًا سَفَاهَا كَالْإِمَاءِ الْقَوَاعِدِ

فكلمة «فراطهم» استدعت شرحاً أولياً موجزاً في أول الكلام إذ قال: «الفراط» القوم المتقدمون» ثم أورد بعد ذلك شواهد في شرح الكلمة» فقال: «قولهم: «اللهم اجعله لنا فرطاً»، أي خيراً متقدماً، وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أنا فرطكم على الحوض»، أي متقدمكم. قال الشاعر:

كما تقدم فراط لوراد^(٩٦)

فهذه الشواهد المتتابعة لشرح كلمة واحدة ليست من صميم الشرح، ولا صلة لها بالسياق خاصة أن دلالتها في هذه الشواهد المستدعاة مختلفة عن دلالتها في البيت المذكور، وعادة الشراح أن يستدعوا الشاهد الذي يماثل حضور اللفظة فيه حضورها في البيت المشروح، ففي البيت المذكور يقصد بهم «الذين يحفرون القبور» كما ذكر الشارح نفسه، في حين في هذه الشواهد لا يقصد بها هذا المعنى، وإنما يقصد به مطلق التقدم، كما جاء في الشرح نفسه، فاجعله فرطاً: يعني متقدماً، وأنا فرطكم أي متقدمكم، والفراط هم المتقدمون إلى الماء الذين يسبقون الوراد^(٩٧). وهذه المعاني تخالف المعنى الذي جاء في بيت أبي ذؤيب مما يعني أنها لا صلة لها به ولا تعد شرحاً أو توكيداً لاستعمال اللفظة في ذلك المعنى.

وقد لا يكون الاستطراد لشرح الكلمة أو بيان معانيها المحتملة وإنما لغرض آخر يقصد إليه الشارح كالحديث عن أسطورة من الأساطير التي كان العرب يتداولونها، تكون إشارة إليها وردت في البيت المشروح، كما في حكاية عبيدان في قول الحطيئة:

وهل كنت إلا نائياً إذ دعوتكم منادى عبيدان المحلا باقره^(٩٨)

فعبيدان من ولد عاد، وكان عزيزاً حتى جاء لقمان الحكيم، فكسر بعض عاداته، وهو شرح كان يكفي منه بيان الرجل وحكايته، لكن الشارح استطراد لتفصيل حكايته مع لقمان الحكيم حين رد بقره التي كانت ترد قبل الناس ولا يرد منها

شيء وحين جاء لقمان بنقض هذه العادة، وأورد أبياتاً تحكي القصة ونسبت إلى جزء بن قطن، وهي حكاية وأبيات مروية عن ابن الكلبي^(٩٩). هذه الأبيات تمثل شاهداً على صحة القصة التي رواها ابن السكيت، وفيها زيادة تفصيل عن موضع الاستشهاد من الحكاية الذي ذكره الشاعر الحطيئة حين ألمح إلماحاً يقوم على تشبيه حالته بحالة عبيدان.

وربما كان الاستشهاد في استطراد لبيان قصة مثل كضرب المثل بالحمار في الذل الذي ورد الإلماح له في قول الشاعر:

فلما خشيت الهون والعرير ممسك على رغمه ما أثبت الحبل حافره

فالتشبيه الضمني كما يقول البلاغيون لحالته في هذا الموقف بحالة العير الذي يضرب به المثل بالهوان. الأمر الذي يؤكد البيت المشهور المنسوب للمتلمس وهو من شواهد النحويين:

ولا يقيم على ذل يراد به إلا الأذلان عير الأهل والوتد^(١٠٠)

وهو استشهاد خارج عن السياق، وعن موضع الاستشهاد.

وقريب منه الأمثال العادات الاجتماعية التي قد تكون سائدة في عرف العرب، قبل الإسلام ويرد إلماح لها في الشعر، فيفصل الشارح ببيانها مما لا يتصل على وجه الحقيقة بوظيفة الشرح، ولا مما يتصل بما يتصل به، بل ربما كان هذا الشاهد دعماً لرأي قد يكون بعيداً عما يوحي به البيت مما نجد عند قول الحطيئة:

قد ناضلوك فسلوا من كنائهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

فالمجد التليد، المعروف أنه الفعل، والحسب العظيم، ويروي ابن السكيت أنه «النواصي»، ولبيان هذا المعنى يتحدث عن عادة العرب القديمة حين تنعم على بعض الأشراف بعد أسرهم بجز ناصيته، والمن عليه بحريته، وبهذا أصبح المجد

التلبد تعني الناصية السليمة من الجز، ثم يستشهد على ذلك بشاهد ليس على أن «المجد التلبد» هو الناصية، وإنما على أن العرب كانوا يجزون النواصي وقد يفخر فاخرهم بأن ناصيته لم تجز مما ليس له صلة حقيقة بالمعنى المشروح^(١٠١).

وكالعادة التي يفعلها العرب عندما يريدون نجابة الولد، فيأتون نساءهم كرهاً، وقد أشار إليها أبو كبير في وصفه لتأبط شراً دليلاً على نجابته، وشدة نباهته، فيقول:

ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فشب غير مهبل
حملت به في ليلة مزوودة كرها وعقد نطاقها لم يحل

وقد فصل القول المرزوقي في هذه العادة، وفي اعتقاد العرب في الابن الذي يحمل به في الحيض أو التي تحمل أمه وهي ترضعه، واستشهد عليها بقول الشاعر:

تسمنتها غضبي فجاء مسهداً وأنفع أولاد الرجال المسهد^(١٠٢)

وهذا إنما يكون في شروح الشعر القديم، مما يوصف بعصر الاحتجاج، وأما الاستشهاد في الشروح اللاحقة فلم نقف عنده بعد. وقد يجر الاستشهاد الحديث عن أيام العرب، وأنسابهم في الشروح مما يكون زيادة تفصيل حديث، وهو لا صلة له على وجه الحقيقة بالشرح بمفهومه الأولي.

الشواهد في شروح ما بعد القرن الثالث:

تحدثت في مقدمة القسم السابق عن عناصر الشرح التي كان الشراح يسيرون وفقها في كتاباتهم، وذكرت أنه في المرحلة الأولى كانت الشروح تعتمد على الروايات المختلفة، وتزيد منها، مما كان له انعكاس على الشرح نفسه وتعدد الرؤى، وكان الاستشهاد على دلالة الألفاظ، وصحة دلالة التركيب على معانيها جزءاً أيضاً مهماً من تلك الشروح، بالإضافة إلى بعض الاستطرادات العلمية،

واللغوية، والحديث عن بعض الأخبار وأيام العرب. وهي مسائل اختلف حالها في المرحلة التالية، إذا لم تعد الروايات تشغل حيزًا ذا بال، ولم ينشأ عنها تعدد في شرح البيت، كذلك الاستشهاد على دلالة الألفاظ وصحة التراكيب، وإن كان الاستشهاد على المعاني قد ظل موجودًا وإن بصورة أقل مما كانت عليه.

وذكرت أيضًا أن هناك من الشراح من تحدث عن ظاهرة عناية الشراح السابقين بالروايات، والشواهد، وابتعادهم عن المعاني التي يرون أنها هي لب الشرح، ولذا جاءت شروحاتهم خالية من الشواهد بصورة كبيرة، أو تكاد ويظهر هذا في شروح الأعلام الشنتمري، والتبريزي للمعلقات، وحماسة أبي تمام، وديوانه.

وقلت إن طبيعة الدواوين هي التي فرضت هذا التحول، وليست دليلاً على تطور مفهوم الشرح وحسب، حين تحول البحث عن المعنى أو الوقوف، وتقديمه للقارئ هو الهدف من الشرح، من هنا أصبح الجانب المهم فيها هو الشرح على الرغم من أننا نجد ابن جني في «الفسر» يبالغ في الشواهد حتى يؤخذ ذلك عليه، ونرى أيضًا قريباً من هذا عند أبي العلاء المعري في «اللامع العزيزي» الذي يشكل الاستشهاد ركناً ركيناً من شرحه.

ولأن بعض الشروح المتأخرة تتناول نصوصاً من غير عصر الاحتجاج، فإن موقع الشارح منها يختلف من موقعه من النصوص الأخرى الذي أسلفت الحديث عنه، ففي عصر الاحتجاج يكون المقصود تعلم اللغة والاستنباط منها أحكامها، وأحكام كلام العرب، في حين أن الشرح الأخير يعني أن الشارح يبين الغموض ووجه الصواب، أيضًا، وربما يكون ناقدًا وحكمًا على الشرح، فقد يكون الشارح أعلى من المشروح، وإن كان الشرح لا يكون إلا للنص الذي كثر تداوله، وتلقاه الناس بالقبول، فأصبح في منزلة عالية تسمح لأن يقوم أحد بشرحه، وتقريبه لشدة الأدب، وكأنه في منزلة عالية، وهذه مسألة تتصل

بالعلاقة بين النص والشارح أيهما أعلى درجة. وهذا ربما يعيدنا إلى القضية النقدية التي تحدث عنها القدماء في الصراع بين الجديد والقديم، وأن الجديد لا يدون لأنه مولد^(١٠٣)، ولأن القيمة فيه هي اللغة والصحة، ولذا اتجهت تلك الشروح إلى هذه الوجهة، لبيان صلة الشاعر بالشعراء من قبله، وقدرته على تمثيل معانيهم فهي وسيلة لإثبات قدرات الشاعر.

ولذا لن نقف في الحديث عن هذه الشروح عند العناصر السابقة التي وقفنا عندها من قبل لأن هذا سيصيب الحديث بشيء من التكرار خاصة مع عدم اختلاف الظاهرة، وإنما سنكتفي بالوقوف على عنصرين اثنين:

١ - الاستشهاد على المعاني.

٢- شرح البيت شرحاً إجمالياً أو ما ذكر من قبل تحت اسم «إبانة معانيه».

الاستشهاد على المعاني:

وهو أن يأتي الشارح بعد أن يورد البيت بما يشبهه من معنى في أبيات سابقة له، أو أن يورد المعنى نفسه في أشعار سابقين له، وهو ما قلنا من قبل أنه يحتمل أن يكون استشهاداً على الشرح، وليس على المعنى، فالشارح يريد أن يؤكد أن هناك من الشعراء من قالوا هذا المعنى بهذه الطريقة التي استعملها بها الشاعر، وهو ما يعزز فهمه، وهذا يتأكد في شرح المتنبي سواء في كتاب ابن معقل الأزدي الذي حين يختلف مع ابن جني في فهم بيت شعر يفرع إلى شعر المتنبي نفسه يبحث فيه عما يؤكد ما ذهب إليه كما في استشهاده في شرح قول المتنبي:

فتى يشتهي طول البلاد ووقته تضيق به أوقاته والمقاصد

بقوله:

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل^(١٠٤)

وكما في قوله حين عقب على ابن جني في حديثه عن بيت المتنبي:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

«لو أمن الناس الموت لما كان للشجاع فضل؛ لأنه قد أيقن بالخلود فلا خوف عليه، وكذلك الصابر والسخي»، يقول: «إن قوله في الشجاع صواب، وفي الصابر والسخي بما علل به أمر الشجاع، فيقال إن الشجاع لو لم يتخوف الموت، ويجوز وقوع الهلاك لما كان لإقدامه فضل. وكذلك الصابر؛ لأنه بمنزلة الشجاع لأن الصبر شجاعة، والشجاعة صبر»، ثم يردف الشرح بكلام مفاده أن الجواد، والمغامر لو وثقا بالخلف، والسلامة لما كان لما يقومون به معنى، ويستشهد على هذا المعنى بقول المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال^(١٠٥)
وهو ما يؤيد به شرحه للبيت الأول.

وعند صاحب «قشر الفسر» في ردوده على ابن جني، كما في التعليق على شرح قول المتنبي:

متفرق الطعمين مجتمع القوى فكأنه السراء والضراء

يقول بعد ما أورد حديث ابن جني: «في هذا الفصل من الفساد ما يعيي على التعداد»، ثم يفصل في وجوه الفساد التي يراها، والتي يعود بعضها إلى الشرح، وبعضها إلى شواهد ابن جني، ويختتم بقوله: «وقوله: فكأنه مخلوق من السراء والضراء لكثرة ما يعتادهما، ويأتيهما، فاسد، وأنهما شرح الطعمين، أي: كأنه السراء في الحلاوة، والضراء في المرارة»، ثم يستشهد على ذلك بقول المتنبي:

دانٍ بعيد محب مبغض بهج أغر حلوممرلين شرس

وقوله:

ممقر مر على أعدائه وعلى الأذنين حلوكالعسل^(١٠٦)

وفي تعليقه على شرح ابن جني لقول المتنبي:

احمد عفاتك لا فجعت بفقدهم فلترك ما لم يأخذوا إعطاء

يقول: «قوله: لما ذكر من انتفاعه، كلام مجهول غير معلوم، ولست أرى ذكرًا لانتفاعه بهم قبله، وبعده»، وحين يحكم بفساد هذا الرأي، ويقدم رأيه في البيت الذي يقوم على أن الفجعة عند الممدوح تتمثل بفقدته هؤلاء العفاة، وليست بفقد الأولاد، والأموال والأعزة وغير ذلك يستشهد على هذا الرأي ببيت آخر للمتنبي:

لا يعرف الرزء في مال ولا ولد إلا إذا حفز الضيفان ترحال^(١٠٧)

وإذا كان هذا الملمح وهو الاستشهاد على صحة الشرح ظاهر في كتاب «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي»، وكتاب «قشر الفسر» بوصف هذين الكتابين يقومان على الجدل حول آراء الشارحين في المعاني، والحاجة للاستدلال لتأكيد المعنى، فإن هذا أيضًا موجود كذلك في الشروح الأخرى كما سنضرب على ذلك مثلاً فيما بعد.

على أننا لا ننكر أن هذا الاستشهاد من شعر الشاعر على شعره يعزز وظيفة أخرى للاستشهاد، وهو البحث عن قصد الشاعر، واعتباره المستند الدقيق في تحديد معنى البيت، فصحة الشرح، أو المعنى الذي ذهب إليه الشارح يتحقق من معرفة قصد الشاعر الذي يتم عن طريق الموازنة بين المشروح، وأبيات أخرى مناظرة له، وهذا واضح في الشواهد التي عرضت، وفيها يستشهد الشارح بشعر الشاعر على شعره، إذ لا يمكن أن يكون الهدف بيان سرقاته، ولا سواها من الأغراض إلا التحقق من المعنى بالتحقق من القصد.

وهذه الظاهرة تكثر لدى شراح المتنبي خاصة ابن جني وابن معقل، وأبا سهل الزوزني، ولعل ذلك راجع إلى الجدل، والخصومات التي تدور حول شعره، وتحديد معناه، وإن كانت ظاهرة في غيره من الشروح كما في شرح التبريزي^(١٠٨) لأبي تمام عند قوله:

فإذا الري بعد محل وجرجا ن لديها يبرين أو ملحوب

بعد أن يورد شروح الشراح لهذه البيت شرح أبي العلاء المعري، الذي يرى أن مدينة الري وجرجان قد أدركهما المطر فأخصبتا، فكأنهما يبرين أو ملحوب، أو كأنهما هذان الموضعان، حين اجتمع الناس فيهما بعد الخصب، في حين أن الصولي يرى أنهما لشدة ما تتابع عليهما من القطر هلكتا فأصبحتا كهذين الموضعين القاحلين من بلاد العرب، ولأن هذين المعنيين متباينان تمام التباين فقد رأى الشارح الاستعانة بشعر الشاعر على تبين الصواب منهما، وترجيح أحدهما على الآخر، فقال: «ومثل هذا قوله أيضاً:

فأتت بمنفعة الرياض وضرها أهل المنازل ألسن الوصاف»^(١٠٩)

فالشارح يقول: إن النظر إلى ملمح الفساد والضر الذي يحدثه المطر، موجود عند الشاعر بدليل هذا البيت^(١١٠).

أيًا ما يكن، فإن الاستشهاد على المعنى، أو البحث عن شواهد شعرية أخرى جاء فيها المعنى أمر دارج في كتب القدماء سواء كانت شروحاً أو غيرها من المؤلفات، وفيه يعرض الشارح لمعنى البيت ثم يتلمس المعنى في آثار سابقة له سواء كانت شعراً أم نثراً، مما كان يسميه القدماء بالسرققات، ويعنون بجمعه وتتبعه. وهو في أساسه يسعى إلى ربط الشاعر بالشعراء الذين قبله، ويبين كيف أن العلاقة بين هذا الشاعر ومن قبله من الشعراء وشيجة جداً. الأمر الذي يعني تمكن الشاعر من علوم الأقدمين، وقدرته على السير على منوالهم، وأن شعره جزء من الشعراء الكبار قبله لا يقل عنهم بحال.

صحيح أن القدماء قد قسموا السرققات الأدبية أقساماً فجعلوا منها المذموم، والممدوح، ولكن هذا التقسيم النقدي يعد متأخراً عن شروح القرن الثاني والثالث، ويعد القول فيه مباحث نقدية تشكلت فيه السرققات الأدبية بصورة

مختلفة عما كانت عليه في القرنين الثاني والثالث حين كانت الآداب القديمة ذات قيمة كبيرة في نفوس المتلقين تفوق قيمة الآداب الجديدة، وكانت الرواية ربما تقدم على الإنشاء.

والخصومة بين القديم والجديد في القرنين الثاني والثالث تكشف هذه الحقيقة، وفي حديث المبرد المشار إليه سلفاً ما يبين أن السرقة لم تكن أمراً مذموماً بقدر ما كانت سمة فنية لدى الشعراء يميل النقاد إلى الوقوف عندها، إذ يقول عن أبي العتاهية: «وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار، فينظم ذلك الكلام المنثور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة»^(١١١).

وهذا ما يؤكد ما روي عن ابن ميادة أنه أنشد:

مفيد ومثلف إذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند

ف قيل له: إن هذا البيت للحطيئة، فقال: «الآن علمت أنني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمع»^(١١٢).

ومن هنا جهد الشراح في الكشف عن ملامح علائق المعاني بين الشاعر ومن سبقه، وكأنه درة تنظم في عقد الشعر. يقول ابن جني عند قول المتنبي:

من نفعه في أن يهاج وضره في تركه لم تطفن الأعداء

يقول: إذا هيج انتفع بذلك شوقاً إلى الكفاح ومقارعة الأعداء، وإذا ترك عن ذلك، ولم يوجد سبيل إليه استضر به، وهذا كقوله أيضاً:

ذراني والفلانة بلا دليل ووجهي والهجير بل لثام
فإنني أستريح بذا وهذا وأتعب بالإنابة والمقام

وكقوله أيضاً:

قح يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه مرحاً بالعز أو طربا

ويجوز أن يكون المعنى أنه إذا هيج استباح حريم أعدائه، وأخذ أموالهم، فانتفع به، وإذا ترك من ذلك قلت ذات يده، فاستنصر به، ويؤكد هذا أيضًا قوله:

ولا ملك سوى ملك الأعادي ولا ورثا سوى من يقتلان

وهذا كقول أخت الوليد بن طريف:

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف

يقول: فلو فطن بهذا أعداؤه منه لتركوه، فوصلوا بذلك إلى أذيته، ألا تراه قال

بعد هذا:

فالسلم يكسر من جناحي ماله بنواله ما تجبر الهيجاء^(١١٣)

فهذه الشواهد التي أوردها الشارح هي محاولة منه لتثبيت المعنى الذي ذهب إليه، بدليل أنه يستشهد على هذا المذهب بأقوال أخرى للمتنبى نفسه، وهو ما أشرت إليه من قبل، وكأنه يريد أن يقنع المتلقي بالمعنى الذي ذهب إليه، بدليل أن هذا المعنى المذكور معروف عند الشاعر، وقد ورد في مواضع أخرى.

وإذا كان هذا الاستشهاد من شعر الشاعر، فإن الأمر يكون كذلك حين يكون الاستشهاد من شعر شاعر آخر، كما في الاحتمال الآخر الذي قدمه الشارح، واستشهد عليه ببيت أخت الوليد بن طريف، وكأن ابن جني يريد أن يقول: إن هذا المعنى الذي أشير إليه معنى شعري أدبي، قد تداوله الشعراء من قبل، وليس بدعًا من القول أتى به.

ويؤكد هذا الشك في صحة الشرح ما أورده صاحب «قشر الفسر» من الجدل حول هذا البيت إذ يرى أن شرح ابن جني فاسد، ولا يصح لمخالفته واقع الحال فالهيج -في رأيه- لا يفيد في الشوق إلى الحرب، وغياب هذا الشوق لا يضره، فلا يمنعه من الحرب إلا إذا جاء سبب آخر معه، ثم يستشهد على صحة مذهبه في معنى البيت بقول الشاعر نفسه:

بضرب هام الكمأة تم له كسب الذي يكسبون بالملق
ويقوله:

حتى إذا فني التراث سوى العلا قصد العداة من القنا بطواله

ثم يقول معقبًا على ذلك «إذا هيح انتفع بأموال الأعداء، وازداد في الثراء، وإذا ترك استضر بتركه لخروجه بالعطاء عن ملكه»^(١١٤).

ويبدو أن اعتراض صاحب القشر على مسألة «الشوق للقتال»، وأما سائر المعنى فيبدو أنه لا يختلف كثيرًا عنه، ومع هذا فإن الذي يهمني هنا أن الشك والاعتراض يؤكد الرغبة في تأكيد المعنى في الشرح، وبذل الحجج العلمية لإثباته، وهو ما يؤكد أن الاستشهاد ليس للوقوف على السرقات وحسب، ولا لوضع الشاعر في موضعه من الشعراء الذي يستحقه بالموازنة بين معانيه، ومعانيهم، وإنما أيضًا لأجل أن يؤكد الشارح صحة ما ذهب إليه في مقابل آراء أخرى في شرح الشعر، وتحديد معانيه.

ومثل الاستشهاد على المعنى ما أورده ابن جني بعد قول المتنبي:

وقي الأمير هوى العيون فإنه ما لا يود بيأسه وسخائه

إذ يقول: يدعوله بالسلامة من الهوى، وهو قريب من قول جرير:

إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً^(١١٥)

فالرابط بين المعنيين أن العيون قد تكون سببًا للهلاك عن طريق الوقوع في الحب الذي لا يدفع، فهن سبب للهلاك، وهذا هو المعنى في بيت جرير.

وكذلك ما أورده الواحدي على قول المتنبي:

تفيت الليالي كل شيء أخذته وهن لما يأخذن منك غوارم

فقد ذكر أن المعنى هنا قريب مما جاء في قول الشاعر:

فما أدرك الساعون فينا بوترهم ولا فاتنا من سائر الناس واطر

وقول الطرماح:

إن نأخذ الناس لا تدرك أخذتنا أو نطلب نتعد الحق في الطلب^(١١٦)

فالمعنى واحد وهو أن ما يناله بالقوة هو ملك له، وما يناله أعداؤه، فإنهم يغرمونه.

وهو متقارب في طريقة الأخذ، فالعلاقة بين البيتين واضحة، وتدخل فيما يسمى بالسرققات خاصة وأن مفهوم السرققات مفهوم واسع، ولم يجعلوا السرققات مذمومة على الإطلاق، وقسموها على وجوه: هي النسخ، والسلخ، والمسح، وإذا كان النسخ مذموماً فإنه ليس كذلك في السلخ، والمسح الذي قد يكونان نوعاً من التصرف في المعنى، وفي هذا يقول الخطيب القزويني: «فإن كان الثاني أبلغ من الأول لا اختصاصه بفضيلة كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول»^(١١٧).

ومن أمثال الاستشهاد للوقوف على سرققات الشاعر، وإن لم ينص الشارح على ذلك، الأبيات التي يوازن ابن جني فيها بين أبي الطيب وأبي تمام، أو أبي نواس كقوله بعد شرح قول أبي الطيب:

لم تحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرخضاء

«يقول: لما نظرت السحاب إلى سعة عطائك حمت حسداً لك، فكأن ما ينصب منها إنما هو عرق حماها، وهذا أبلغ من بيت أبي نواس:

إن السحاب لتستحيي إذا نظرت إلى نداك فقاسته بما فيها

لأن الحمى أبلغ من الحياء، إلا أن بيت أبي نواس أعذب لفظاً»^(١١٨)

فكان ابن جني يريد أن يقول: إن المتنبي أخذه وأضاف إليه، وهذا ما يدخله ابن الأثير في السلخ^(١١٩).

وكالشواهد التي يتبعها ابن جني أبيات المتنبي، يستشهد بها على صحة معاني المتنبي، إذا يكون المعنى غريباً يدعو إلى الريبة، فيدعمه بقول من سبقه مما يشبهه، وفي هذا إشارة إلى سرقة المتنبي وتخلفه عن أخذ المعنى منه دون النص على ذلك، كما في قول ابن جني بعد أن أورد بيت المتنبي:

فإذا سئلت فلا لأنك محوج وإذا كتمت وشت بك الآلاء

يقول ابن جني: «يقول: إنما تسأل طرباً وتشرفاً من السائل بمسألتك، لا لأنك محوج إلى السؤال، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

ما زلت منتظراً أعجوبة زمناً حتى رأيت سؤالاً يجتني شرفاً

وإذا كتمت أي كتم محلك وفضلك، وسؤددك دلت عليك أياديك ونعمك المنبثة في الناس، وهذا نظير قول مسلم:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر^(١٢٠)

فالشارح يشعر بغرابة معنى المتنبي، وعدم وضوحه، فيستدل على الجزء الأول ببيت أبي تمام الذي أكثر منه بياناً لمعنى المدح، وعلى الجزء الثاني ببيت مسلم بن الوليد الذي يضارع بيت أبي تمام في بيان الصفة الجميلة التي يمدح بها، وإقناعها للمتلقي، وهو ما يؤكد القول بأن هناك إحياء ضمنياً بأن المتنبي أخذ المعنى من سابقه.

هذه الغرابة نجدها في شرح ابن جني لقول المتنبي:

فتبيت تسئد مسئداً في نيتها إسأدها في المهمة الإنضاء

فبعد أن يشرح الألفاظ، ويستشهد عليها يصير إلى شرح البيت، فيجهد في إيضاح معناه، وما يقصده المتنبي، وكيف جاء على هذه الصورة فيقول:

«ومعنى البيت: فتبیت هذه الناقة تسرع في السير كما يسرع تعبها بقطع هذه الأرض البعيدة السير في شحمها كما تسرع هي في قطع هذه الأرض» ثم يعيد الشرح بلفظ آخر، ويقول تأكيداً لصحة المعنى: «هكذا حصلتة على المتنبي وقت القراءة عليه، وهو صواب صحيح»^(١٢١)، دون أن يستشهد هذه المرة على هذا المعنى ببيت أبي تمام المشهور الذي يقول فيه:

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه^(١٢٢)

فبيت المتنبي إعادة لبيت أبي تمام، مع أن التقدم لبيت أبي تمام، في سهولة التركيب، وجمال اللفظ، وقرب المأخذ. وقد أشار محقق الديوان إلى هذه العلاقة في هامش الشرح، وذكر ما معناه أن في بعض النسخ إشارة إلى هذه العلاقة^(١٢٣).

وهذا الإيحاء نجده أظهر لدى أبي العلاء المعري في تعليقه على بيت المتنبي:

في الخد إن عزم الخليط رحيلاً مطر تزيد به الخدود محولا

قال المعري: «يقول: إذا عزم الخليط رحيلاً بكى المحب بكاء مثل المطر؛ إلا أنه ينبت العشب كغيره من الأمطار؛ فالخدود يزيد محلها به، وقد قال بعض الشعراء، ويقال إنه ليموت بن المزرع:

يا عين هذا هو الفظيع	كم زفرة وكم دموع
لكان في خدي الربيع	لو نبت العشب من دموع
بالله قل لي متى الرجوع» ^(١٢٤)	يا قمرًا غاب عن عياني

فقوله: «وقد قال بعض الشعراء»، يعني أن هذا المعنى المذكور يظهر في أبيات سابقة له، فكأن هذه الأبيات إيضاح لما جاء عند المتنبي، وتأكيد لشرحه، وفي هذه إشارة واضحة إلى أنه قد سبق إليه، وأنه موجود فيمن قبله من الشعراء.

أو قد ينص على الشبه بينه وبين بيت آخر مما يؤكد العلاقة دون قطع بالأخذ، كما عند التبريزي في شرح ديوان أبي تمام؛ إذ يقول بعد أن يشرح قول أبي تمام:

وما كان بين الهضب فرق وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يزل الهضب
«وهذا شبيهه بقول الآخر:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري مقيما وقد غالت يزيد غوائله»^(١٢٥)

فالشبه بين البيتين واضح من حيث إن المعنى واحد؛ الأثل والهضب وهي ظواهر طبيعية لم تزل في حين أن الذين يسكنونه في كلا البيتين قد زالوا، لكنه لم يقطع بأن الثاني مأخوذ من الأول، في حين أنه قد نص في موضع آخر على أن الشاعر قد أخذ المعنى ممن سبقه كما في قوله:

لست من العيس أو أكلفها وخداً يداوي المريض من صبه
على أنه قد أخذه من قول القطامي:

وسارت سيرة ترضيك منها يكاد وسيجها يشفي الصداعا^(١٢٦)

وكما وسع القدماء في السرقات العلاقة بين الأبيات حتى عدوا منها ما ليس بظاهر، فقال القزويني: «ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسبياً والآخر مديحاً أو هجاءً وافتخاراً أو غير ذلك، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس لينظمه تحيل في إخفائه، فغير لفظه، وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته»^(١٢٧)، فقد وسع الشراح العلاقة بين الأبيات التي يستشهد بها، ولم يكتفوا بالعلاقة الظاهرة في اللفظ والمعنى، وإنما اتبعوا مطلق العلاقة أو التي يأخذ فيها الشاعر جزءاً من المعنى أو يلحمه لمحا كما في النماذج السابقة، وكما يظهر في استشهد الواحدي ببيت الفرزدق:

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن فرقوا في الخلائق

على بيت المتنبي:

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد^(١٢٨)

فالسيف التي يقصدها المتنبي ليست الأسماء، وإنما السيوف الحقيقية، واستعماله «لسيف الدولة» هو من قبيل التورية، ومع ذلك رأى الواحدي أن المتنبي أخذه من الفرزدق بناء على المعنى العام الذي يربط بينهما، وهو أن التشابه في الظاهر لا يعني التماثل على وجه الحقيقة.

على أنه من الطريف أن القزويني لا يدخل في السرقة ما يكون فيه الشاعر غير عالم بالبيت السابق، فإذا قال شعراً وافق فيه غيره من غير معرفة بذلك فإنه لا يلام عليه، ولا يعد سارقاً^(١٢٩)، وهذا يوحي بأن السرقة هنا «سرقة» بالمعنى اللغوي، وليست سرقة بالمعنى الفني الذي يقوم على التشابه والتماثل، ذلك أن الشاعر قد يسمع القصيدة، ويختزن المعنى دون أن يحفظها، أو تبقى في ذهنه الأبيات، ومفهوم التأثر الفني يبقى واسعاً حتى لو لم يطلع الشاعر على من سبقه، أو لنقل إن السؤال عن الاطلاع من عدمه ليس وارداً.

وقد لا تبدو العلاقة بين المعنى المطروح، والشاهد قوية؛ مما يدفع بعض الشراح إلى ملاحظة هذا الفرق، كما في قول ابن معقل تعليقاً على إيراد ابن جني قول الشاعر:

ألفت ترحلي، وجعلت أرضي قتودي والغريري الجلالا

يقول: «ليس بين البيتين مشابهة»^(١٣٠) فالشاهد في رأي ابن معقل بعيد كل البعد عن بيت أبي الطيب الذي يقول فيه:

كن حيث شئت تسير ركابنا فالأرض واحدة، وأنت الأوحـد

ولكنه في رأي ابن جني ليس بعيداً؛ وذلك أنه -ابن جني- لم يستشهد بالبيت، لأنه يوافق البيت في الظاهر، والباطن، وإنما ليؤكد صحة المعنى الذي ذهب إليه، وأنه معنى صحيح، قد طرقة الشعراء قبله، ولذلك يقول:

«فالأرض واحدة»: أي ليس للسفر علينا مشقة لإلفنا إياه، وهذا كقوله^(١٣١) ثم يورد البيت السابق، فالاستشهاد ليس على البيت، ولكنه على الشرح، وهو الذي يرى ابن معقل أنه خطأ.

شرح البيت:

ينقسم شرح البيت إلى قسمين: قسم يعنى بشرح الألفاظ، وقسم آخر يعنى بشرح المعنى الإجمالي، ويسمى الشراح القسم الأول: بيان الغريب، في حين يعدون القسم الثاني: الوقوف على المعاني، والغالب في كتب الشرح أنها تبدأ بالقسم الأول، فتبين الغريب، وتشرح معانيه، ثم تنتقل إلى القسم الثاني، وقد يكتفي الشارح بالقسم الأول دون القسم الثاني كما نجد عند ابن السكيت^(١٣٢) في شرح ديوان الحطيئة، وكما في شرح ثعلب^(١٣٣) لديوان الخنساء، وقد يقف عند الثاني دون العناية بالألفاظ، وهذا غالب في شرح المتأخرين كشرح ديوان المتنبي للواحيدي، وكتاب المآخذ على شرح ديوان المتنبي.

شرح الألفاظ:

يقف الشراح عند بعض ألفاظ البيت خاصة الغريب منها، وتختلف طرائقهم في شرحها، فقد يشرح اللفظ، ويستشهد على معناه، وهذا كثير، كما مر في الشواهد السابقة حيث نجد الاستشهاد على معنى اللفظ كما في «الفسر الكبير» لابن جني، إذ نجد الاستشهاد على كثير من الألفاظ التي يوردها^(١٣٤)، وفي «اللامع العزيزي» لأبي العلاء المعري، وقد يقلب اللفظ على وجوهه المختلفة، ويبحث في استعمالاته المتنوعة مما يعطي الشرح ثراءً، وتنوعاً في المعنى، كما في شرح ثعلب قول الخنساء:

والحرب قد ركبت جرباء باقرة حلت على طبق من ظهرها عار

يقول: جرباء: أي عارية من وبرها، ويقول: الجرباء: الشديدة، وقال: الجرباء أشأم دابة في الأرض»^(١٣٥).

فهذه الشروح المختلفة مترابطة فيما بينها، وهو ما جعله يقول بعد ذلك: «فحلت، وركبت على طبق عار من وسط ظهرها، ليس عليه لحم ولا وبر، فركوبه أشد ما يكون»^(١٣٦).

أو قوله عند شرح قولها:

أبني سليم إن لقيتم فقعسًا في محبس ضنك إلى وعر

يقول: المحبس ها هنا الحرب، ولم يرد^(١٣٧) مكانًا ضيقًا، وقالوا: المحبس: السجن، والمحبس: القفل^(١٣٨).

وقد يكون شرحًا موجزًا، يتبعه بعض الحديث عن صيغة الكلمة، كقول ابن السكيت في شرح ديوان الحطيئة: «معطشين: أي إبلهم عطاش، يقال: رجل معطش: إذا عطشت إبله، ومنهل: شربت إبله أول شربة، ومخمس: شربت إبله الخمس، ومجرب: جربت إبله»^(١٣٩).

ويقول في موضع آخر: «والديم: جمع ديمة، وهي المطرة تدوم اليومين والثلاثة بسكون، ويقال: دامت السماء تديم دومًا، وتدوم لغة، وهي أرض مديمة. والوطف جمع أوطف ووطفاء، وهي سحابة وطفاء: إذا حمل من ريتها. والوطف في الأسفار: أن تطول ويكون فيها استرخاء»^(١٤٠). أو قد يكون أشد من ذلك إيجازًا كقوله:

«لحيتني: لمتني، بمن تغاور: بمن تغير بهم، وتستعين، ويروى بمن تكاثر: أي بمن تشرف بهم»^(١٤١).

وقد يفيض في الشرح، والتفصيل، والاستطراد، والاستشهاد على ذلك، كما في قول ثعلب عند قول الخنساء:

والواهب العيس العتا ق مع الخناذيل السوابح

فقد أفاض في شرح ألفاظ هذا البيت، وذكر المعاني المتعددة له، ثم استشهد على بعضها:

الخنازير: الطوال المشرفة من الخيل، وخنازير الجبل: شماريخه المشرفة الطول، وخنازير الرجال: أسودها وأعفارها، وكذلك خنازير الأسد والذئاب.

والسوابح: التي تدحو بأيديها دحوا. ولا تتلف، والتلف: أي يغتال الشحوة.

قال أبو عبيدة: السابح الذي يمد ضبعيه في العدو حتى لا يجد مزيداً.

قال: الهجان: الكرام من الإبل، وهي أدمها. وهجان اللون، وهجان كل شيء خياره، وأنشد:

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

والهجان للجمع والواحد، وقد يجمع فيقال: هجائن، ومنه قيل هجائن النعمان، وأنشد:

وإذا قيل من هجان قريش كنت أنت الفتى وكنت الهجان^(١٤٢)

أو قد يكون شرحاً يعتمد على آليات النحو، والصرف كما لدى أبي العلاء حين يشرح قول المتنبي:

أهل الحفيظة إلا أن تجربهم وفي التجارب بعد الغي ما يزع

أهل الحفيظة: خبر محذوف كأنه قال: هم أهل الحفيظة، والحفيظة: الغضب، وكأن أصلها من حفظ الشيء، فكأنهم يريدون أن الغضببان يحفظ الحقد في صدرهم أو يفتقر إلى أن يحفظ نفسه ممن أغضبه.

والتجربة: تحتل أن يكون أصلها مأخوذاً من جرب الإبل؛ لأن صاحبها إذا جربت لزمه أن يعرف أدواءها، فكأنهم قالوا: جربها إذا قام عليها في الجرب، كما قالوا: مرض العليل إذا ولي أمره في المرض والخدمة، ثم كثر ذلك حتى

قالوا: جرب الأمور؛ أي: عرف ما يحتاج إليه من الممارسة والمداواة، وقالوا: في المثل إذا وصفوا الرجل بالحكمة ومعرفة الأشياء: «عنيته تشفى من الجرب». والعنية: أشياء تخلط وتجعل فيها أبوال الإبل ويداوى بها الجربى»^(١٤٣).

وربما زيادة عليه عند ابن جني، وواضح من شرح الألفاظ عند ابن جني والمعري التأثير بما وصلت إليه الدراسات اللغوية من تطور بخلاف ما نجده عند ثعلب وابن السكيت.

والغالب أن الحديث عن الألفاظ يكون حديثاً معجمياً، وإن كان قد يخرج للبحث عن معاني أبعد من ذلك حين يسعى أن يركب المعنى الظاهر على معنى باطن كما في شرح ثعلب لقول الخنساء:

والحرب قد ركبت جرباء باقرة حلت على طبق من ظهرها عار

إن يقول: «الجرباء الشديدة، قال: الجرباء أشأم دابة في الأرض، وإنها تعدي كل شيء قاربت، فأخبرت أن هذه الحرب قد ركبت داهية جرباء، فقُبست فيمن أدركت؛ أشعلت فيهم الحرب كما تقبس الجرباء في الإبل»^(١٤٤) أو في شرح استعمالها لتركيب «الأيدي الطوال» إذ رأى أن المقصود النعم السابغة، واستشهد على ذلك بما نقله الأصمعي من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لنسائه: «أسرعكن بي لحاقاً أطولكن يداً»، وذكر أن المقصود هنا المعروف والإفضال^(١٤٥).

وإذا كنا قد قلنا من قبل: إن الاكتفاء بشرح الألفاظ من سمات شروح ما قبل القرن الثالث، فإننا نجد هذه الظاهرة لدى شراح متأخرين نسبياً كالشنتمري الذي يكثر لديه الاكتفاء بشرح ألفاظ البيت، وبعض تراكيبه، دون بيان ما يسمونه «المعنى»، وكأبي العلاء المعري -أيضاً- في «اللامع العزيزي» حين يورد الأبيات متحدثاً عن تركيبها، وبعض القضايا النحوية، واللغوية دون أن

يجمل معنى البيت، أو يظهره، وكأن الشراح يريدون أن يقدموا المادة الأولية للنص الأدبي، ويتركوا القول مفتوحاً أمام قارئ الشرح ليتركب المعنى دون الدخول في تفصيلاته الدقيقة، وقد يكون هذا ثقة بقدرة القارئ على ذلك، أو يكون شعوراً بإمكانية تعدد المعنى، وهو ما نراه أحياناً في بعض الشروح حين يذكر الشارح أكثر من وجه للبيت، وهو ما يدفعه إلى اختيار واحد منها، أو التطويل بتعدادها، وهو ما لا يريده.

شرح المعنى:

يمثل شرح المعنى جزءاً مهماً من شرح الشعر، بل يعده بعضهم الركن الأهم، وهو الأصل الذي تقوم عليه الشروح، كما ذكر من قبل، وأما ما يصاحبه من عناصر فهي مكملته له، فهو الذي يبين المعنى، ويحدد مراد الشاعر، ولذا نجد الشراح يسبقون الشرح بعبارة «يقول»، أو «يعني»، أو «أراد»، و«المعنى»، وهي كلها صيغ تفيد أن ما سيأتي من جمل هو ما يرى الشارح أنه معنى البيت، أو هو المعنى المحدد الذي يريد الشاعر أن يقوله.

وتختلف الجمل التي تلي هذه الكلمات طويلاً وقصراً، وإطناباً، واختصاراً، فبعضها يكاد يكون تلخيصاً لمعنى البيت كما في قول الواحدي عن بيت المتنبي:

يعز عليه أن يخل بعادة وتدعو لأمر وهو غير مجيب

«يقول: يعظم، ويشدد عليه أن يترك عادته في خدمتك، فتدعوه وهو لا يجيبك»^(١٤٦)، أو كقول ثعلب في شرح قول الخنساء:

حتى يصبح قومًا في ديارهم ويحتوي دون دار القوم أسلابا

«يقول: يحتوي؛ أي قبل أن يخالط دارهم يأخذ حاجته، وينصرف»^(١٤٧).

وقد يطول الشرح حتى يصبح تفصيلاً، وإيضاحاً كما في شرح المعري لقول المتنبي:

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه وأترك الغيث في غمدي وأنتجع

«والمعنى أن الشاعر أنكر على نفسه أن يطلب الشرف بغير الرمح وما جرى مجراه، وأن يحاول الرزق بغير السيف؛ فأخبر أن المجد على كتفه محمول؛ لأنه صاحب قناة، وأن الغيث في غمده، فكيف ينتجع في ملك يمينه»^(١٤٨).

فهذا الشرح يزيد على البيت بأن الشارح أخبر بمعنى مستنبط من البيت، وذلك أنه "أنكر على نفسه"، وهو معنى زائد ليس موجوداً في البيت نفسه، وقد أخذ الشارح من الاستفهام في أول البيت، وقدمه بصورة أخرى.

وأطول من هذا قول الواحدي عن قول المتنبي:

كأن الردى عاد على كل ماجد إذا لم يعوذ مجده بعيوب

«يقول: الماجد إذا لم يكن له عوذة من العيوب فكان الردى أسرع إليه، أي لبراءتك من العيوب يسرع الهلاك في أموالك، وهذا أظهر من أن يجعل الماجد هو المرثي، فيقال: إنما قصده الهلاك لبراءته من العيوب لأن الماجد هو الكامل الشرف، وسيف الدولة بهذا النعت أولى من عبده لاسيما وقد جعله لا عيب له ينصرف عنه العين، ويكون له كالعوذة»^(١٤٩).

فالشرح هنا متكون من عدة تركيبات، الأولى: الشرح المباشر الذي يتحدث فيه عن الماجد، ثم التركيبة الثانية التي يكشف فيها المعنى بالكلام، ويأتي بعد ذلك تفسير المعنى الذي أخرجه، وتعليقه، فيؤيد ما ذهب إليه بالحجج، فيذكر الوجه الذي جعله يذهب هذا المذهب.

وهنا نجد الشرح مركباً من ثلاثة تركيبات: المعنى الأولي، ثم المعنى الثاني، ثم تعليل هذا الشرح، وتوكيده، وهو تركيب غير لازم، فلا يلتزمه الشراح، ولا حتى الواحدي نفسه، إذ يختلف باختلاف البيت، وما يجدونه فيه من معان، إلا أنها تركيبة مشتهرة في شرح الأبيات.

وقد يكون الشرح حوارًا مع شرح آخر، يدخل في بنية تركيبه، ولا يأتي الشرح مستقلاً ثم يأتي الرد عليه كما في كتاب «ابن معقل»، وإنما يكون جزءاً من الشرح مع الإشارة إلى اسم صاحبه أحياناً، كما نجد قول الواحدي عن قول المتنبي:

لا يحزن الله الأمير فإنني لأخذ من حالاته بنصيب

«يقول: لا أحزنه الله، فإنه إذا أحزن حزنت ادعى لنفسه مشاركة معه، وغلط صاحب في هذا البيت، فظن أنه يقول: لا يحزن الله الأمير بالرفع على الخبر، فقال: لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق، فليس الأمر على ما توهم والنون مكسورة، وهو دعاء، يقول: لا أصابه الله بحزن، فإنني أحزن إذا حزن يعني أن حزنه حزني، فلا أصيب بحزن لئلا أحزن»^(١٥٠).

فالشرح مركب من عدة أجزاء، الأول: تلخيص البيت، ثم شرح لهذا التلخيص، وهو التركيب الثاني في الحديث الأول، ثم ذكر شرح آخر للبيت، ولكن بمعرض الرد، إذ ذكر صراحة بأنه غلط، وبين وجه الغلط والرد عليه؛ مما يعني أنه تأكيد للشرح الأول، فجاءت هذه بمتابة البنية الأخيرة للشرح.

هذا الحوار بين الشروح سمة واضحة فيها، حيث ينقل كل شرح الشروح السابقة، والأقوال التي قبله، وقد يعلق عليها، أو يذكرها كما هي، كما في شرح ابن السكيت، وثعلب، وشرح المرزوقي للحماسة، وشرح التبريزي لديوان أبي تمام الذي جمع فيه إلى شرحه شرحاً آخر أو أكثر بحسب المتوافر منها كشرح أبي العلاء المعري، والمرزوقي، والآمدي، والصولي وربما فاضل بين القولين، ورجح أحدهما على الآخر، وقد يورده في معرض الرد عليه كما في شرح الواحدي للمتنبي، وقد يطول القول، فيستقصي المؤلف الأقوال، فيتحول الحديث عن البيت الواحد إلى جدل علمي طويل، وقد ظهر هذا فيما نقله ابن المستوفي عن قول المتنبي:

لا تكثر الأموات كثرة قلة إلا إذا شقيت بك الأحياء

فقد ذهب الشراح في شرح هذا البيت كل مذهب حول معنى قوله «كثرة»، ومعنى قوله «شقيت بك الأحياء»، وأخذ كل واحد منهم بالرد على الآخر حتى إن الواحدي افتخر بقوله: «لم يفسر أحد هذا البيت كما فسرته»^(١٥١)، وبلغت فيه الآراء مبالغ كبيرة^(١٥٢).

وقد انعكس هذا بشكل كبير على شرح ابن جني إذ تحول إلى خطاطة علمية يعتمد عليها كل من جاء بعده في النقض أو الموافقة، أو الاستضاءة باعتباره أول من فطر معاني المتنبي، وعبر عن شعره خاصة أنه قد أخذ عنه، وقرأه عليه، وعرض عليه شرحه؛ مما جعل العلماء اللاحقين يعدونه المقياس الذي يقيسون عليه فهمهم، وينطلقون بالتأييد أو المخالفة^(١٥٣).

قد يكون الحوار، وجمع الآراء المختلفة الأساس في بناء الكتاب نفسه كما في كتاب «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي» حيث قام المؤلف باختيار عدد من الشروح يراها ذات أهمية، وقام بالتعليق على كل شرح على حدة، ومناقشته، وأحياناً يستدعي شرحاً آخر لجعله الشرح المعتمد في الرؤية إلى البيت، والكشف عن المعنى، فإذا تكلم على شرح ابن جني اعتمد على قول الواحدي، وفي أغلب الأحيان يكون له هو الرأي الخاص بذلك.

ومثل شرح الزوزني المسمى بـ «قشر الفسر» الذي كتبه على فسر ابن جني، يحصي المآخذ عليه، ويناقشها ثم يرد عليها، وهو وإن كان يبدو أنه يعترض على «الفسر»، ويخالف ما فيه من آراء، إلا أنه قد كتب عليه، فالفسر هو المتن، في حين يأتي القشر بوصفها قشراً، يحاور ابن جني، ويخالفه، ويبني رأيه عليه.

وقد مر تركيب الشرح بعدة مراحل، فحين نعود إلى شروح القرن الثاني والثالث لا نجد الشراح يلتزمون في شروحهم، إذ قد يكتفي -كما بينا- الشارح بشرح الكلمات، وبيان الروايات، ويغلب عليه بيان المعنى الأولي بصورة غير معقدة^(١٥٤)، وهذا جلي في شرح يعقوب بن السكيت لديوان الحطيئة، وتلعب

لديوان الخنساء إذ نجد الأبيات المتتالية دون بيان لمعنى البيت^(١٥٥)، والنماذج الأولى للشرح تبين كيف اختلط بيان المعنى ببيان اللفظ، يقول يعقوب في شرح قول الحطيئة:

فلقد سبقتهم إلي فقد نزعت وأنت آخر

«يقول: لقيتني قبلهم، فقد نزعت: أي كفت: أي كنت أولهم، فعجزت عن الإحسان، وكفت فأكرمني هؤلاء»^(١٥٦).
ويقول في شرح قوله:

وبرز النجب الجيا د وبلد الكذب المحامر

«النجب: الكرام، والكذب: البطاء التي لا تصدق. والمحامر: جمع محمر: وهو الذي ليس بمحض من الخيل فيه إقراف.

غيره: برز: سبق. والمعنى: سبقت الخيل الجياد، وبقيت الكذب: يعني الزبرقان، وقومه، والمحامر: شبه الخيل بالحمير البطاء، الواحد محمر»^(١٥٧).

فصياغة الشرح لم تكن ذات قيمة في بنائه، وكل ما يدور في نفس الشارح هو أن يبين المعنى، أو أن يكشفه، ومن هنا قد تأتي مختصرة موجزة، كما في قول يعقوب شرحاً لقول الحطيئة:

فقد صدقت فهل تخا ف بأن تدور بك الدوائر

«يقول: صدقت: عندك لبن وتمر، ولكنك تخاف الفقر»^(١٥٨).

وهذه الصياغة هي التي دفعت الشراح للوقوف عند ابن جني، والاعتراض عليه، إذ نجد أن الفروق بينها لا تعود إلى المعنى نفسه، بقدر ما تعود إلى صياغة الشرح، وتركيبه، فيعيبون شرحه ثم يعيدون المعنى بصياغة أخرى.

يظهر هذا جلياً في الموازنة بين شرح ابن جني، وما اقترحه ابن معقل في المآخذ، إذ نراه يرد عليه في أحيان كثيرة ويرفض شرحه، ثم يقدم شرحاً لا يختلف كثيراً في المعنى إلا بزيادة تفصيل، أو إعادة صياغة، إذ يعلق على قول ابن جني حول بيت المتنبي:

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

«من وقف مثل موقفي في الحرب، ولم يكن شجاعاً جلدًا هلك»، يقول: «لم يفهم المعنى، وهو: أني أورد نفسي موارد من الحرب لا ينجي فيها الفرار؛ لشدتها وضيقها، وصعوبتها، ولا ينجي فيها إلا الجلال»^(١٥٩).

وقد يكون معنى ابن معقل أجود، لكن ما قاله ابن جني لا يختلف عن بيت المتنبي كثيراً، إذ لم يرد فيه هل المقصود أن الفرار لا ينجي، أو أنه مقتول لا محالة، وهذه الإضافة التي أضافها ابن معقل على قول المتنبي، مثل الإضافة التي أضافها ابن جني من قبل:

فتى يشتهي طول البلاد ووقته تضيق به أوقاته والمقاصد

يقول بعد أن أورد قول ابن جني: «يشتهي طول البلاد ووقته، والزمان يظهر ما عنده من الفضل والكمال، ومع ذلك تضيق مقاصده»: «ليس في اللفظ ما يدل على ما ذكره من إظهار الزمان ما عنده من الفضل والكمال»^(١٦٠).

وكذلك الشأن في شرح ابن معقل، فلم يرد «في اللفظ ما يدل على الفرار»، ويظهر أن تأثره بمقولة المهلب التي أوردها عند الشرح أكثر من تأثر أبي الطيب بها.

ويورد ابن معقل قول ابن جني: «ما يغبهم إلا لجمود الماء»، ويعترض عليها بأنها كلمة عامة، فقد يفيد جمود الماء إمكانية انتقالهم عبره، وغزوهم، فيرى أن الصواب القول: «ما يغبهم إلا لشدة البرد بهجوم الشتاء»، وواضح أن المعنى

واحد، ولكن عبارة ابن معقل أدق في التعبير عن المعنى، وهما يعبران عن ظاهر النص^(١٦١).

وهذا يعني أن الصياغة قد دخلت في صلب الشرح، وأصبحت جزءاً منه، على الرغم من أننا نجد تفاوتاً فيها عند الشارح الواحد. وإذا كانت النماذج التي وقفنا عندها عند يعقوب، وثعلب تعد متقدمة، فإن الواحدي، وهو في مرحلة متأخرة من الشرح، لا يلتزم حالة واحدة في صياغة شرحه، والتعبير عن المعنى، فنجد أنه يشرح البيت شرحاً مختلطاً بشرح الألفاظ، كقوله: «يريد بآتم الطير عمراً النور، وقد فسره بالمصراع الثاني، والقشع المسم من النور، يعني أن النور تقول لأسلحته: فدينك بأنفسنا؛ لأنها كفتها التعب في طلب الأوقات»^(١٦٢).

كما يقول في شرح البيت الذي بعده: «ما ضر الأحداث من النور، يعني الفراخ، والقشاعم، وهي المسنة التي ضعفت عن طلب الرزق، وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب القوت، يقول: فليس يضرها أن لا مخالبا لها قوية مفترسة بعد أن خلقت أسيافه، فإنها تقوم بكفاية قوتها، ويجوز أن يكون المعنى: ما ضرها لو خلقت بغير مخالبا كما تقول: ما ضر النهار ظلمته مع حضورك، وليس النهار بمظلم، ولكنك تريد ما ضره لو خلق مظلماً»^(١٦٣).

فهذا الشرح يحوي أكثر من مستوى، فهو يشرح الألفاظ الغامضة، والتعليل الجمالي لمكونات البيت، ثم الشرح الإجمالي للبيت، وتفسير بعض أجزائه، ثم ذكر وجه آخر، وهو ما يعني أن الشارح لم يول الصياغة أهمية، وأنه حشد المعلومات بوصفها هي الهدف.

في حين نجد نماذج أخرى عند الواحدي يأتي فيها الشرح بوصفه شرحاً أدبياً، أقرب إلى ما يسمى بحل النظم، يشعر القارئ بأنه إعادة إنتاج للبيت، كما في قوله في شرح قول المتنبي:

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد

«هؤلاء الذين ذكرتهم كانوا للخلافة بمنزلة الناب، بهم تمتنع الخلافة امتناع السبع بنابه، وسائر الملوك لا حاجة بالخلافة إليهم»^(١٦٤)، أو كقوله في شرح قول المتنبي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

«يقول: هكذا عادة الأيام سرور قوم مساءة آخرين، وما حدث في الدنيا حدث إلا سر به قوم وسيء به آخرون»، فالشرح نثر للبيت، ولم يزد عليه الشارح بتعليل، أو تفسير له.

كما نجد نماذج أخرى تظهر فيها الإحالات المتكررة للبيت، والشاعر، مع محافظتها على مستوى جيد من الصياغة، كقول الواحدي بعد قول المتنبي:

نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهْنَنْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

«هذا أحسن ما مدح به ملك، وهو مديح موجه ذو وجهين؛ وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة، وكثرة قتل الأعداء، فقال: نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لو عشته لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالداً، وهذا هو الوجه الثاني من المدح أنه جعله جمالاً للدنيا تهناً للدنيا ببقائه فيها، ولو قال: ما لو عشته لبقيت خالداً لم يكن المدح موجهاً»^(١٦٥).

وهذا شرح إجمالي، لكنه خالص في الشرح، وليس فيه حديث عن الألفاظ، كما ليس فيه شرح للشرح، أو تأكيد للمعنى كما في النماذج السابقة، مع ظهور الإشارات إلى المتحدث، وإلى القول الأصلي المشروح، والوقوف عند المعنى الأدبي في قوله: «ولو قال: ما لو عشته لبقيت...»، فإن هذا فيه تمييز بين الفروق الدقيقة للصياغة، وهو ما لم نجده في النموذج السابق.

ويمكن أن نعيد هذا الاختلاف في الشروح، القائمة على الصياغة إلى العلاقة بين المفسر والمفسر؛ إذ يرى عبد القاهر أن التفسير لا يمكن أن يتطابق مع المفسر أبداً، وأن النص الأصلي يظل يحتفظ في داخله بطاقة لا تأتي في التفسير، فصياغة لفظتين متطابقتين من حيث المعنى - في رأيه - يكاد يكون مستحيلاً. يقول:

«لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصية صفته بعبارة أخرى، حتى يكون المفهوم من هذا هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور»^(١٦٦).

ويضرب على ذلك مثلاً بالفرق بين قول الله - عز وجل -: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، وقول من قال: «قتل البعض إحياء للجميع»^(١٦٧)، فالآية تتحمل من المعاني ما لا تتحملة الكلمة الأخرى التي تمثل شرحاً لها.

ويرد عبد القاهر هذا الاختلاف إلى أن دلالة إحدى الجملتين دلالة حرفية، في حين أن دلالة الأخرى مجازية^(١٦٨)؛ بمعنى أن إحدى الجملتين لا تدل على المعنى إلا بما تدل عليه بمستواها المباشر، دون الاعتبار للمعاني الأخرى التي تنتجها الجملة خارج المعنى المباشر، في حين أن الثانية تنظر بكل معطياتها الدلالية باعتبارها أساساً في تكوين المعنى، وهو ما يبني الفرق بين النص الأصلي المفسر، والتفسير.

وحين ننظر في الجملة الأولى إلى كل المعطيات الباثية للمعنى ينتج الاختلاف الذي يتحدث عنه عبد القاهر الجرجاني، ويبدو الفرق بين المفسر والتفسير، وهنا تتعدد الشروح بناء على شعور القارئ بأن النص الأصلي يتضمن معاني أخرى لم يتضمنها التفسير.

ويذكر محمد الولي أن الفرق بين المفسر والتفسير يكمن في البعد المجازي للفظ الأصلي؛ ففي الوقت الذي نجد الدلالة في التفسير هي دلالة اللفظ على

المعنى، وتنتهي عند هذا الحد، فإنها في المفسر (النص) لا تقف عند هذا الحد، وإنما تستدعي معنى المعنى^(١٦٩)، فالفرق -كما يرى- في معنى المعنى.

بيد أن الولي يقف عند معاني الألفاظ وحدها، في حين أن عبد القاهر يخرج من معنى الألفاظ المفردة إلى التراكيب، التي هي المعتمد في الحكم، إذ يقول: «ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو قعد وجلس، ولكن فيما فهم من مجموع كلام وآخر»^(١٧٠).

وهذا النص الكلام لعبد القاهر يخرج ربط العناصر الدالة في النص بالمجاز، وربط المعاني الموجودة، في النص الأصلي بمعنى المعنى، كما يعرفه عبد القاهر، وشرحه «الولي»، بقوله: «ونستطيع أن نقول معيدين صياغة عبارة الجرجاني: إن الدلالة في التفسير هي دلالة اللفظ على المعنى، وفي المفسر هي دلالة المعنى على معنى»^(١٧١).

وعلى الرغم من أهمية دلالة المعنى على المعنى في المفسر، فإن الألفاظ نفسها تدل على أكثر من معنى، كما تدل على معنى هامشي ومركزي، هذه الدلالات ليست من معنى المعنى، ولكنها من الدلالة المباشرة للفظ، وهو ما يجعل القول (النص) يحتاج إلى شرح آخر يبين هذه المعاني.

والتركيز على معنى من هذه المعاني يختلف من فرد إلى آخر، ومن طبقة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن نفسية إلى أخرى، يستوي بذلك مع معنى المعنى^(١٧٢)؛ مما يدفع الشارح أحياناً إلى شرح شرحه ظناً منه أن الشرح الأول لم يف الغرض بإيصال المعنى كقول الواحد على قول المتنبي:

أينكر ريح الليث حتى يذوقه وقد عرفت ريح الليث البهائم

«يذوقه معناه يجربه، ويختبره، والضمير لليث يقال ذق ما عند فلان أي جربه، وفي هذا إشارة إلى أنه أجهل من البهائم؛ لأنها إذا شممت ريح الأسد،

وقفت، ولم تتقدم، وهذا على طريق التمثيل، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة، فتأتيه مقاتلاً ثم يهزم، ولو انهزم من غير قتال كان أجزم له»^(١٧٣).

فالشرح يتكون من عدد من الأجزاء، يتصل الأول بشرح المفردات، وبيان معانيها، ثم ينتقل إلى المعنى العميق اللازم للمعنى الأول، وهو ما يمكن أن يكون من معنى المعنى، وهو أنه أجهل من البهائم على الرغم من أنه لم يقل هذا، ولكنه معنى مستفاد من المعنى الأصلي، ثم يبين أن الأمر ليس على الحقيقة، فهو نوع من التمثيل، وهو ما يسميه البلاغيون بالتشبيه الضمني لكنه لم يسمه كما يسمونه، ثم شرح المعنى الثالث الذي يرى أنه هو المعنى الحقيقي إذ يقول: "والمعنى"، وكأنه تلخيص لما يرى الشارح أن الشاعر يريد أن يقوله، فهو إعادة صياغة للبيت بذكر المحذوف وهو سيف الدولة، وإبعاد المذكور وهو البهائم، وإحلاله محلها، كما إحلال سيف الدولة محل الأسد.

وهذه الإضافة الأخيرة تمثل «معنى المعنى»، كما في مفهوم الجرجاني السابق؛ فبعد أن شرح البيت، زاد عليه إيضاح الشرح، وبيان ما يظنه المعنى العميق للبيت، كقول الواحدي بعد قول المتنبي:

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد

«يقول كل أحد يرى طريق النجدة، والجودة؛ لأنه لا خفاء بهما، ولكن إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليه، والمعنى أنك مطبوع عليهما، ونفسك تقودك إليهما»^(١٧٤).

فالمعنى الظاهر أنه يتحدث عن قاعدة عامة، وكأنه لا يقصد المخاطب، وهذا ما أفاده معنى المعنى، وزيادة الإيضاح الذي أبانه الشارح بقوله: «والمعنى»، كأنه لا يكتفي بالشرح حتى يصل إلى أن المعنى المراد هو هذا القول.

وهي ظاهرة تتكرر عند الواحدي، فنجد في موضع آخر يقول بعد أن أورد قول المتنبي:

وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد

«ذاك الحب لظهور فضلك على غيرك، لا لطيب العيش عندك، يعني أن العيش قد يطيب عند غيرك، ولكن لا يظهر فضله ظهور فضلك، فلا يستحق الحب»^(١٧٥).

فالجملّة الأولى لم تكن كافية لإيضاح المعنى؛ لأنها شرح مباشر للنص، في حين أن الجملّة الأخرى إعادة صياغة لبيان المعنى؛ العميق، وهو جعل "الحب" قيمة، لا يستحقها إلا من كملت صفاته الخلقية، حتى ولو كانت معيشتة أقل، وهذا معنى عميق دقيق لا يظهر في الجملّة الأولى.

وهذا المعنى الإضافي ليس ثابتاً؛ فقد يختلف من شارح إلى آخر، وينطبق عليه ما يقوله عنه «الولي» من أنه «يختلف من فرد إلى آخر، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن حالة نفسية إلى أخرى»^(١٧٦)، إذ يتصل بما يستنبطه الشارح من المعنى الأولي للأبيات، يبدو هذا في الآراء التي نقرأها حول قول المتنبي:

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فالفضل فيمن له الشكر

فالمعنى الأولي الظاهر كما يشرحه الواحدي: «إذا لم يرفعك فضلك عن الانبساط إلى اللئيم، فقد ألزمتك الأخذ منه شكره، وإذا صار مشكوراً، فإن الفضل له»^(١٧٧). وهو المعنى الظاهر، لكن تحديد صاحب الفضل ليس متفقاً عليه لدى الشراح؛ فابن جني كما يورده الواحدي يرى أن الاضطرار لشكر أصاغر الناس لا يجعل الفضل لهم، وإنما يعني أن الفضل في الشاكر، في حين يميل الواحدي إلى رأي أبي فضل العروضي، وهو الرأي أيضاً الذي يميل إليه ابن فورجة، بمعنى أن الفضل للمشكور، في حين رأى ابن جني أن الفضل للذي له الشكر؛ أي الذي قدم الشكر وبذله.

هذه كلها تدور حول المعنى الأول أما المعنى الثاني أو معنى المعنى، فهو ما ذكره ابن فورجة بعد ذلك كما نقله الواحدي: من إن الغنى خير من الأدب إذا كان الأدب محتاجاً إلى الغنى. وهو ما لم يبد الواحدي منه موقفاً؛ لأن البيت -كما يقول- ليس فيه ذكر للغنى، ولا الحاجة، ومع ذلك فإنه لا يمتنع من تقديم رأي آخر حول البيت لا يرتبط بألفاظه، فيرى أن جمل قول المتنبي أنه يحث على ترك الانبساط إلى اللئيم الناقص حتى لا تحتاج إلى أن تشكره، فيكون له الفضل.

وإذا كان بيت أبي الطيب لا يتضمن ذكر الغنى، فإنه أيضاً لا يتضمن ذكر الانبساط، والتحذير منه، وإن كان ذلك قد يفهم من البيت اللاحق له، والأغلب أنه يدل على أن الإنسان يكسب الحمد، والمجد بالفعال لا بالسؤال، والمدائح، وهو -على كل- خلاف مذهب أبي الطيب.

والفرق بين معنى ابن فورجة، والواحدي هو الذي يكشف اختلاف الثقافة، والطبقة الاجتماعية، فابن فورجة أديب، في حين أن الواحدي فقيه مفسر في الدرجة الأولى، وهذا الفرق بينهما جعل الحكم بالمعنى مختلفاً.

وإذا كان الجرجاني -كما أشرنا من قبل- ذكر أن العلاقة بين المفسر والتفسير علاقة متباينة، وأن التفسير لا يمكن أن يكون كالمفسر بناء على أن النص الأصلي ينظر فيه إلى اللفظ والمعنى، في حين أن التفسير لا ينظر فيه إلا إلى المعنى الأولي وحسب، فإن هذا الاختلاف بينهما يجعل التفسير ليس لازماً للمفسر؛ بمعنى أن الفارق بينهما الذي يجعل اللفظ يدل على المعنى، والمعنى يدل على معنى آخر هو من محمولات اللفظ ولو لم يكن من منطوقه، فإن هذا يعني أن اختلاف السياق حول اللفظ يعطيه إمكانية فهمه بصورة أخرى؛ الأمر الذي يؤسس لفكرة تغير المعنى مع تغير الزمن والمتلقين له.

قصد الشاعر:

وقد مثل قصد الشاعر قضية مركزية في الشروح؛ فكثير من الشراح يسعون للبحث عن قصد الشارح، أو يعدونه المعتمد في تحديد معنى البيت، ولذا نجد الشراح يستعملون كلمة: «يريد» قبل شرح البيت؛ تأكيداً منهم أن ما يقصده هو المراد.

وبهذا يتطابقون مع «هيرش» في تكوين المعنى الذي يرى أن المقصد قضية مهمة في تكوين المعنى، ويرى أن التزام قصد الشاعر هو السبيل الصحيح لكشف المعنى الواضح، والبين للنص^(١٧٨).

وقد سلك الشراح لتحقيق هذه الغاية كثيراً من الجهود، منها ما أشير إليه قبل، وهو الرجوع إلى شعر الشاعر، والاستعانة به على تأكيد أن هذا المعنى هو مراد الشاعر بدليل أنه قد جاء في مواضع أخرى أوضح من هذا الموضع. كما في شرح الواحدي لقول المتنبي:

تظن فراخ الفتخ أنك زرتها بأماتها وهي العتاق الصلادم

يقول بعد أن شرح البيت: «كما قال:

نظروا إلى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان

يريد الخيل»^(١٧٩).

فالمعنى مكرر في القصيدتين، فالأولى فراخ الفتخ حسبت الخيول أمهاتها، وفي الثاني حينما نظروا إلى الحديد ظنوا أنها على العقبان التي تشبه الخيول.

كما يبدو هذا عند ابن جني في الاستشهاد على شعره من شعره الذي مر شيء منه من قبل، وكقوله بعد أن يذكر معنى البيت في رأيه، وهذا كقوله:

خليك أنت لا من قلت خلي وإن كثر التجميل والكلام^(١٨٠)

فالمعنى السابق الذي أورده يتشابه مع معنى هذا البيت؛ مما يدل على أنه هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يقوله، وقصد إليه.

ونجد نماذج لذلك في شروح ديوان أبي تمام التي أوردها التبريزي حين يتحدث عن قول الشاعر:

فإذا الري بعد محل وجرجا ن لديها يبرين أو ملحوب

يورد شرح المعري، ثم شرح الصولي، الذي أكد شرحه للمعنى المخالف للمعري، يقوله: «وهذا مثل قوله أيضًا:

فأتت بمنفعة الرياض وضرها أهل المنازل، ألسن الوصاف

فهو يؤكد شرحه، بأن الشاعر قد قصد إليه بدليل أن هذا المعنى يوجد بشكل أظهر في البيت الذي أورده^(١٨٨).

وقد يكون سؤال الشاعر أو قريب منه عن المراد في الشعر، كما جاء في فهرست ابن النديم، حين قبل أبو محمد الثوري رأي عمار بن عقيل في معنى قول جده جرير:

أما الفؤاد فلا يزال موكلًا بهوى حمامة أو بريا العامر

وقدمه على رأي أبي عبيدة، وقال لأبي محمد بن يزيد حين تردد في قبول رأي عمار إجلاً لرأي أبي عبيدة، فقال الثوري لمحمد بن يزيد: «اكتب، فإن أبا عبيدة لو حضر لأخذ هذا الضرب عنه. هذا بيت الرجل»^(١٨٩)، وهو يقصد: أن رأيه مقدم على النظر؛ لأنه يعرف بيت جرير، وما قيل فيه الشعر.

على أن شرح أبي عبيدة لبيت جرير هو الموجود في شرح محمد بن حبيب لديوان جرير إذ يرى أنهما امرأتان.

وكذلك الحكاية التي أشار إليها ابن جني حين شرح بيتاً للمتنبّي مختلفاً عليه، ثم ذكر بأنه قد قرأه على المتنبّي بهذه الصورة، وعرض عليه المعنى، إذ يقول بعد أن شرح البيت: «هكذا حصلته على المتنبّي وقت القراءة عليه، وهو صواب صحيح»^(١٨٣).

ومع هذا فإن مفهوم «القصد» غير واضح؛ ففي الوقت الذي يتخذون «قصد الشاعر» الحكم في تحيد المعنى - كما سلف - فإنهم يقفون على المعنى من خلال الوقوف على معاني الألفاظ، والتركيب - كما مر - أي كما يريد مصطفى ناصف أن هيرش يرى معنى القصد هو تولد المعنى من خلال اللغة، أي ما كان يسميه القدماء بالدراية. هذه الدراية تتكون عن طريق معرفة معاني الألفاظ، وطرائق استعمالها، ثم العلاقات بين التراكيب كما تفرضها قواعد اللغة.

وقد ظهر هذا جلياً في شروحات الشراح عند صوغ المعنى، فيذكرون الوجوه المتعددة للبيت الواحد؛ أي الاحتمالات التي يمكن أن يفهم المعنى عليها، فيقول الواحددي عند شرح قول المتنبّي:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

«يقول: لولا الموت لم يكن لهذه المعاني فضل؛ وذلك لأن الناس لو أمّنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن بالخلود، فلا خوف عليه ولا حمد له على شجاعته، وكذلك الصابر على مكروهه، والسخي لأن في الخلود، وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر، ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس، ويسهل البؤس».

ثم يقول في الحديث عن الوجه الآخر: «ويجوز أن يكون المعنى أن الإنسان إنما يشجع ليدفع الموت عن نفسه، ويجوز أيضاً لذلك، ويصبر في الحرب لدفع الموت أيضاً، فلو لم يكن في الدنيا موت لم يكن لهذه الأشياء فضل»^(١٨٤).

وهذه المعاني متقاربة، وإن كان المدخل إلى قيمة هذه الأشياء مختلفاً، لكن هناك مواضع أخرى لا يبدو فيها هذا التشابه، بل نجد اختلاف المعنى ناتجاً من اختلاف تأويل الأداة اللغوية؛ حيث يصبح المعنى مصنوعاً من خلال الأداة اللغوية، كما في قول الواحدي في شرح قول المتنبي:

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرها وقلوب

«يقول: من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء بكاؤه الذين كان يسرهم، فكأنه يبكي بعيونهم، ويحزن بقلوبهم لما يصيبهم من الأسى، والجزع لبكاء هذا الذي سرهم، والمعنى أنك إذا بكيت بكى جميع الناس لبكائك، وحزنوا لحزنك، ويمكن أن يجعل «الباء» في «بعيون» للتعدية أي أبكاها، والمعنى أنهم يساعدونه على البكاء جزاء لسرورهم به»^(١٨٥).

والبحث عن وجوه المعنى المختلفة موجود لدى ابن جني أيضاً، والمعري، فمن الوقوف عند المعاني المتعددة عند ابن جني قوله عند شرح قول المتنبي:

ما الخل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه

يقول: «ومعنى البيت: ليس لك خل غير نفسك، فلا تلتفت إلى قول أحد قال: إني خليل لك» ثم يقول: «ويجوز أن يكون المعنى ما الخل إلا من لا فرق بيني وبينه، فإذا وددت، فكأنني بقلبه أود، وإذا رأيت، فكأنني بطرفه أرى، أي: إنما يستحق أن يسمى خلاً من كان منك بهذه المثابة»^(١٨٦).

والمعري يقف عند التبدلات الدقيقة في المعنى التي يفرضها التفسير المختلف للأداة (اللغة)، كما في قوله عند شرح قول المتنبي:

شيم الليالي أن تشك ناقتي صدري بها أفضي أم البدياء

يقول المعري: «كأنه قال: أكذبت عينك، وقوله: أفضي: يحتمل أن يكون اسماً، وفعلًا: وإذا كان اسماً، فهو على معنى التفضيل، كأنه قال: أصدرني أشد سعة

أم البیداء؟ وإذا كان فعلاً فهو من أفضى إلى الشيء يفضي، كأنه قال: أصدرى يفضي بهذه الناقة أي يصيرها في الفضاء أم البیداء»^(١٨٧).

وهنا نصل إلى القضية التي تحدث عنها مصطفى ناصف من «أن الشرح يعتمد على الأدوات، ولكن اختيار الأدوات في نفسه يعتبر عملاً من أعمال التأويل»^(١٨٨).

هذا الاختيار يغير قراءة البيت، ومفهومه المصنوع، كما في تفسير أبي العلاء السابق، وكما في قول ابن جني عن بيت المتنبي:

إن المعين على الصبابة بالأسى أولى برحمة ربها وإخائه

إذ نراه يقف على العناصر اللغوية في النص التي يستطيع من خلالها استنباط المعنى، ويحمل كل أداة على أكثر من وجه مما يعني أن المعنى والتأويل يتعدد:

قوله: «على الصبابة»؛ أي: على ذي صبابة، أي صاحب الصبابة، فكأنه قال: إن المعين على الصب بالأسى، وهو الحزن أولى بأن يرحمه، ويكون أخاه إما لأنه هو الذي جنى عليه ما جنى، وإما لأنه أعرف الناس بدوائه وأطبهم بدائه، ويجوز أن يكون قوله: «على الصبابة»؛ أي مع ما أنا فيه من الصبابة كما قال الأعشى:

وأصفدني على الزمانة قائداً

أي: أعطاني مع ما كنت أقاسيه [من] الزمانة قائداً. وهذا القول كأنه أكشف من الأول، ويكون المعين في هذا، أي لا معونة عنده لي إلا إيراد على الأسى والحزن، فيجري مجرى قولهم: «عتابك السيف، وحديثك الصمم»، أي: لا عتاب عندك لكن السيف، ولا حديث عندك لكن الصمم، وكقول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع^(١٨٩)

فهذا التقلب للوجوه التي يمكن أن تقرأ عليها أدوات النص «على الصباغة»، ولدت أكثر من معنى، وقد خص ابن جني «على الصباغة» بالبحث عن الوجوه المختلفة، ولو وقف عند كل لفظة من ألفاظ البيت لاستنبط معاني أخرى كثيرة، وهذه ظاهرة بشكل بين في الشروح التي تجمع أكثر من شرح للنص الواحد؛ إذ نجد كل شارح يقف على مقتطف من النص لا يقف عنده الشارح الآخر، وذلك يبدو في «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي» الذي جمع فيه الشارح عددًا من الشروح، وأضاف إليها بعد ذلك شيئًا من قوله، كما عند قول الشاعر:

فإذا الري بعد محل وجرجا ن لديها يبرين أو ملحوب

يقول المعري: يريد أن الجذب أصاب الري، وجرجان، ثم جاءهما المطر، فأخصبتا، فكأنهما يبرين وملحوب، وهما موضعان من أرض العرب، ويحتمل أن يريد اجتماع الوفود إليهما في الخصب، فكأنهما لكثرة من ينزلهما من العرب هذان الموضعان. ويقول الصولي: من شدة هذه الديمة ودوامها صارت البلدان صحاري مما هدمتها، وهذا مثل قوله أيضا:

فأتت بمنفعة الرياض وضرها أهل المنازل، ألسن الوصاف^(١٩٠)

فالمعري في شرحه يركز على «المحل» الذي في الغالب صفة «يبرين»، و«ملحوب»، وأنه أصاب الري، ولكنها أعشبت، واخضرت، في حين يركز الصولي على حقيقة «الري»، وهي الخضرة الدائمة، والذي جعلها مثل المحال العرب الصحراوية هو شدة المطر، فهو في الري كان ضارًا في حين أنه في محال العرب كان نافعًا.

وهذا اختلاف بين في الأداة التي يعتمد عليها الشارح عند التفسير، ومن خلال هذا الاختلاف يختلف الملمح الذي يستخرج منه المعنى.

وهذه القضية ظاهرة في معاني الألفاظ التي سبق أن تحدثنا عنها، وفي

الروايات المختلفة المتعددة للبيت التي تعطي معاني متعددة للبيت الواحد حتى تجد له أكثر من معنى.

كما في شرح ابن السكيت لقول الحطيئة:

فمنها أن يقاد به بعير ذلول حين يهترش الضراء

رواها أبو عمرو: نفور. قال الأصمعي: يصير من الضعف والكبر إلى أن يحمل على بعير ذلول لا ينفر إذا هترشت الكلاب ولا يقدر هو أن يضبطه ويروضه. ومن قال: «نفور»، فمعناه أن يحمل على بعير نفور لأن أهله لا يبالون به.

غيره يقول: «فمن هذه الخصال التي ذكر: أنه إذا صار شيخاً احتاج أن يقاد بعيره الذي يركبه إذا كان نفوراً لئلا يسقط منه إذا سمع بعيره هرش الضراء»^(١٩١).

فاختلاف الرواية قلب معنى البيت، صحيح أن المعنى واحد، وهو أن الرجل الكبير ضعيف، يحتاج أن يقاد بعيره في الحالتين؛ الأولى: البعير ذلول لا يدفع عن نفسه الكلاب، والثانية: «نفور» يحتاج من يقوده حذر السقوط منه، والهلاك.

وبناء على هذه الوجوه المختلفة قامت فكرة تعدد الشروح، فنجد كل عالم يرى في الشعر ما لا يجده من سبقه، فيطفق على الكشف عن مبررات هذه الرؤية. وهي موجودة منذ الشعر القديم كما في بيت امرئ القيس، إذ يقول:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

فالأصمعي يقول: لم يعف رسمها، أي لم يدرس لما نسجته من الجنوب والشمال، فهو باق، ونحن نحزن، لو عفا لاسترحنا.

في حين يرى غيره أن المعنى: لم يعف رسمها للريح وحدها، وإنما عفا للمطر والريح وغير ذلك، وقيل إن رسمها لم يعف من قلوبنا، أما هو في نفسه فهو دارس^(١٩٢).

وهذه الآراء متباينة حد التناقض، والشارح ينقلها جميعاً مع علمه بهذا، ومع أن حرصه على نقل المعنى، وروايته عن سبقه، كما في شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت، وديوان الخنساء لثعلب، يوحي بأنه يرى أن المعنى ثابت، وأنه يروى كما يروى النص عن سبقه، إلا أن جمعه للشروح المختلفة، وإيرادها متتابعة بغض النظر عن التناقض بينها يمنح انطباعاً بأنه يدرك أن الحصول على المعنى يتم عن طريق التأمل في اللغة بما تمنحه دلالة الألفاظ، وعلاقات التراكيب، الأمر الذي يختلف من قارئ إلى آخر، خاصة إذا أدركنا أن راوي القصيدة لا يمكن أن ينقل المعنى مع القصيدة من مصدرها الأصلي. وهذا يعني أن إسناده رواية المعنى إلى من سبقه كالأصمعي، أو ابن الأعرابي، أو أبي عبيدة أو غيرهم إنما يعني اعترافه بأهمية تلك القراءات التي صدرت عن علماء، وهذا ما يتحقق في «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي» حين ينقل الشروح السابقة عليه، وقد يضيف إليها بعض التعليقات والمعاني.

على الرغم من اعترافهم بأن «قصد الشاعر» هو المحك في تحديد معنى البيت خاصة حين يكون هناك خلاف كبير حوله، كما في أبيات فند الزماني في «ديوان الحماسة» المشهورة، والتي يبدأ:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من زهل بن شيبانا

حيث نجد المرزوقي يبحث عن «قصد الشاعر»، ويعول عليه في صحة دلالة البيت، ويستشهد على ذلك بشواهد أخرى تؤكد ما ذهب إليه، فيقول: «وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه، ومهتضميه، وتهيجهم، وهزهم، لا ذهم. وكيف يذمهم ووبال الذم راجع إليه؟! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كبشة أخت عمرو بن معد يكرب في قولها:

ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجو أخاها عمراً أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثأر أخيه»^(١٩٣)؛ فمراد الشاعر في رأي المرزوقي هو الحجة التي احتج بها في رد الآراء الأخرى في تفسير البيت القائلة إنه يهجو قومه، والشاهد الذي أورده ليس دليلاً على ما ذهب إليه في تحليل المعنى، بقدر ما هو تأكيد على أن هذا هو «مراد الشاعر»، مستخدماً حجة عقلية، مفادها أن أخت الشاعر لا يمكن أن تهجوه بالعجز، والضعف، وهو الذي يعد بألف فارس، فإذا صح هذا - كما يرى المرزوقي - فلا يصح أن يكون العنبري أيضاً يهجو قومه. فـ«القصْد» سواء في بيت العنبري أو في شعر أخت عمرو بن معد يكرب هو مدار البحث، والمعول عليه في معرفة معنى البيت، والوصول الصحيح إلى دلالاته.

ولو ذهبنا إلى القول بأن الرواة كانوا يخترعون الرواية، كما يرى أحمد العمري، فإن هذا يعني أنهم كانوا يتجاوزون الاحتمالات التي يحتملها المعنى في تركيب البيت إلى البدائل التي يمكن أن يحتملها اللفظ، أو التي يشعر بها الراوي حال قراءة البيت، وهذا يذكرنا بما كان يفعله النحويون حينما يبحثون في الوجوه النحوية للآية؛ بحيث ينظرون إلى الوجوه التي يمكن أن تقرأ عليها الآية، لغة وإن كانت لم ترو عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وهذا نوع من قراءة المضمّر في النص الذي يتردد صداه في نفس القارئ، وهو نوع من التأويل، فالقارئ (الشارح) يجد أن هذه الألفاظ غير موجودة في النص ذات حضور في وجدانه، فيجلبها، ويبحث في معناها سواء كان هذا الجلب عن طريق اختراع رواية جديدة لبيت شعر، أو لتأكيد وجوه تحتمل للتركيب اللغوي في نص مقدس لا يقرأ إلا وفق الرواية، وهو مثل البحث في وجوه المعنى الذي يحتملها التركيب كما لدى ابن جني وأبي العلاء وسواهم، الذي تحدثنا عنه سلفاً.

وحين نتأمل هذه الحالة التي وصلت إليها شروح الشعر في القديم، ونعود إلى بدايته التي ذكرنا أنها قد بدأت أول ما بدأت في مجالس الخلفاء الذين

كانوا يستقبلون الشعراء، والإخباريين، والأدباء^(١٩٤)، ويتبادلون معهم أحاديث الشعر وأخباره، ويسألون عن معانيها، ثم تطور الأمر حتى أصبح عمل علماء نذروا أنفسهم له، وتخصصوا فيه، يحفظون الأشعار، ويضمون إليها ما روه من أخبار، وغريب معان.

وأصبحت الرواية لا تقتصر على الأشعار، بل لا بد أن ينضم إليها معارف كثيرة، وعلوم مختلفة منها أخبار الشعراء، وغريب اللغة، ومناسبة القصائد، وما يمكن أن يقال عن معناه الإجمالي، وأصبح بعد ذلك جمع هذه الأخبار، وأقوال العلماء فيها، وضمها إلى الشعر عملاً معروفاً، ويسمى شرحاً، وانتشرت هذه الطريقة في تقديم الأشعار القديمة حتى أصبحت هذه المعارف، والأخبار لا تقل أهمية عن الشعر بل هي جزء لا يتجزأ منه.

وكانت الشروح في بدايتها تكتب تعليقات تلحق بالقصائد، كأنها تعليقات عامة، فيما يتوافر لدى جامع الشعر مما يمكن قوله عن هذه الأشعار حتى جاء الأخفش فكان أول من «فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبل، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها»^(١٩٥). فلم يكن هناك منهج متبع، وإنما كانوا يقفون على ما يسألون عنه، أو يرونه يستحق التفسير. يقول ابن أبي إسحاق: «إنما نفتي فيما استتر من معاني الشعر، وأشكل من غريبه، وإعرابه، بفتوى سمعناها من غيرنا: أو اجتهدنا فيها آراءنا»^(١٩٦).

والذي يهمني هنا أن هذه الشروح أصبحت أمراً ملازماً للشعر، أو كادت، وأصبح العلماء في اللغة والشعر يتكثرون من القول فيها، بناء على ما لديهم من علوم تتصل بها، وأنهم أيضاً لم يكونوا يفرقون في الشروح بين الموضوعات التي يقولونها عن الأبيات المشروحة، ولذا رأينا ابن الأثير يلوم الشراح على أنهم لم يتناولوا المعاني البلاغية، والقضايا النقدية في الشرح، ورأينا ابن أبي الحديد يدافع عن موقف الشراح هذا، ويرى أن هدف الشراح هو الوقوف على

مراد الشاعر، وما جاء من العلوم مما يعين على تحقيق ذلك الهدف، ولذلك لم يقفوا على العروض والقوافي.

وعلى الرغم أن كلام ابن أبي الحديد ليس دقيقاً فمن الشراح كأبي العلاء المعري، والتبريزي من وقف عند العروض والقوافي، وقد يعنون بالتصريف كما يفعل أبو الفتح ابن جنبي، وهذا يعني أن هذه الشروح قد انفتحت على جميع علوم العرب، والعربية بغير استثناء، وإن كنا قد وجدنا أن العلماء في تطويرهم لفن الشرح قد دعوا إلى التركيز على المعنى (الشرح الإجمالي)، والتخلص من سائر العناصر كما تقدم الحديث من عن هذا من قبل.

على أن د. أحمد الودرني يرى أن الشراح قد وقفوا على الجوانب البلاغية، وقد عرض لجوانب كثيرة من هذه الملامح عند أبي عبيدة في النقائض، حيث إنه يرد الكلمات عند بينها إلى غالب استعمالها، ويبين ما فيها من تشبيه أو استعارة، فيقول عند إيراد قول الفرزدق:

لا قوم أكرم من تميم إذ غدت عوذ النساء يسقن كالآجال

«قوله عوذ النساء هن اللاتي معهن أولادهن والأصل في عوذ في الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء، وهذا من المستعار، وقد تفعل العرب ذلك كثيراً. قال: والآجال الفرق من البقر والظباء واحدها إجل»^(١٩٧). وهذا يعني أن كلام ابن الأثير ليس دقيقاً، وأن مباحث البلاغة تأتي في خضم الشرح، فهي تنضج كما تنضج سائر علوم العربية بالاستنباط والتحليل، وهذا ما يبدو في شرح المرزوقي والصولي اللاحقة.

وهذا التوسع في الشرح تارة، والتخصص الدقيق تارة أخرى، أسهم في تغير وظيفة الشرح، فعوضاً عن أن يكون وسيلة لبيان الشعر، وكشف غموضه كما ذكر عيسى بن عمر أصبح أمراً مقصوداً لذاته، يطمح القارئ أن يبحث عنه

لينظر ما قاله الشراح حول هذا البيت أو سواه، وهذا يعني أنه تحول إلى مادة أدبية وعلمية قائمة بذاتها مستقلة عن النص الأصلي، وإن كانت تدور في فلكها، يطمح الشراح أن يقدموا فيها ما يريدون قوله في قضايا الأدب، وشؤون المعرفة العلمية، والنقدية، واللغوية، وهذا ما جعل بعض الشروح تتخصص فيما بعد لتقتصر على الإعراب، وتخرج من دائرة الشروح التقليدية، وجعل العلماء يتنافسون في تقديم شروح متعددة لنص واحد، يسعى كل واحد منهم أن يضيف إلى ما سبقه، أو أن يقول شيئاً لم يقله.

ويؤيد هذا طلب وجهاء ذلك الزمن من العلماء أن يقوموا بالشرح، نجد ذلك في حديث ابن جني، والتبريزي، والمعري؛ حيث كان عملهم ذلك إجابة لطلب عزيز لا يقدر على رده. هذا الطلب يبين أهمية الشرح بوصفه عملاً علمياً مستقلاً عن النص كما سبق القول، لا يمكن أن يقرأ النص من دونه وذلك لما يتضمنه من معارف غزيرة جمعها هؤلاء العلماء بالشعر والعربية، وهو الذي يجعلهم في منزلة لا تقل عن الشعراء، ويجعل كلامهم ذا قيمة لا يقل عن الشعر أيضاً، فهم يملكون مفاتيحه، وأسراره.

يمارسون من خلاله سلطة على النص الشعري بالحكم عليه، أو بيان معانيه، ومعرفة قيمته. هذه السلطة تتم من خلال استعمال الأدوات المعرفية التي أنتجها اللغويون والنحاة والنقاد، وتخضع الشعر لها، فتفسره من خلالها، وتثبتها من خلاله. وهذا يعني أن الشراح في تعاملهم مع النصوص كانوا يسعون لتطبيق نظرياتهم اللغوية، ومعارفهم الجديدة، فهم يبحثون عن مساحات يطبقون فيها تلك النظرية الجديدة التي بدأت بالتشكل منذ منتصف القرن الأول، ولذا وجدنا هذه الشروح تتطور أدواتها المعرفية بتطور النظرية اللغوية، والنقدية. فشروح أبي عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة، والأصمعي تختلف كثيراً عن شروح ابن جني، والمعري، وابن الأنباري، والمرزوقي، ذلك أن الأجيال المتأخرة كانت تعتمد

على النحو والتصريف، وبعض أدوات البلاغة في فهم المعنى، وتقليبه على وجوهه. ما جعل الشرح يتحول من إيضاح المعنى، وقصد الشاعر إلى إنتاج له، ليصير مجالاً فسيحاً لمعرفة تلك العلوم، وبه تحولت النصوص إلى أمثلة تطبيقية على ما كان يقوله العلماء من قواعد ونظريات، وفقدت جزءاً كبيراً من قيمتها بوصفها مركزاً إلى أن تكون هامشاً بوصفها داعمة لتلك القواعد، ولأن القواعد أصبحت هي الأساس في معرفة شعر العرب.

مما جعل القول في الشعر (الشرح) ليس مفتوحاً لكل أحد، وإنما حكر على فئة معينة من الناس هضموا تلك العلوم، وعرفوا الأشعار، وصاروا يقدمونها بالطريقة التي يرونه فيها صحيحاً، حتى صار ما يكتبونه من شرح، وتحديد للمعنى يرتبط بالشعار ارتباطاً لازماً يرجع إليه الناس في الرغبة بمعرفة معنى الشعر؛ مما أدى إلى ثبات معنى النص وفق رؤية معينة، وفي زمن معين، كيلا يتبدل مع تبدل الثقافة، وكأن هؤلاء الشراح يقدمون النصوص ومعناها في وقت واحد؛ الأمر الذي جعل بعض العلماء القدماء يشن هجوماً على الشراح، ويصفهم بالتقصير، كالجرجاني الذي يقف على آراء بعض المفسرين، لكنه لا يقتصر على مفسري القرآن إذ نراه يربط حديثه ذلك بحمل المجاز على ظاهره فيقول:

«ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً في الألفاظ الموضوعية على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى»، ثم يقول عنهم حين يسعون في تقليب الكلام على وجوهه: «وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثررون في غير طائل! هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به»^(١٩٨).

فالجرجاني يرى أن سبب مشكلة الذين يتعاطون التفسير هو عدم المعرفة بقضايا البلاغة، ودلالاتها المتصلة بالحقيقة والمجاز، وحملهم الألفاظ على

ظواهرها، وحديثه هذا ينطبق على اللغويين، وهو يتفق مع موقف ابن الأثير السابق الذكر حين لام الشراح على عدم عنايتهم بقضايا البلاغة.

وهو موقف يتصل بالدرجة الأولى بسلطة الشراح على الشعر، والنصوص الأدبية؛ فالذي يبدو أنهم يرفضون سلطة هؤلاء الشراح على الشعر، وعلى إنتاج المعنى من جهة، والقوة التي يكتسبونها في بناء النظرية حين يتحولون إلى الجهة المفعلة لتلك النظريات، التي تستعملها في محل التطبيق، من جهة أخرى.

ولم يقتصر الأمر على الشروح فقط بل أصبحت محرضة على كتابة شروح أخرى جديدة؛ فتجد أن الشروح تكتب على الشروح، وهذا ما أنتج الحواشي بالثقافة العربية، وإذا لم يكن هذا مشتهراً بالنسبة للشعر بقدر ما اشتهر بكتب النحو والفقه ونحوها، فإن جمع الشروح، والتعليق عليها الذي أشرنا إلى أمثلة منه عند التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام وابن معقل الأزدي في مأخذه على شراح المتنبي، وصاحب قشر الفسر، هي بمثابة شروح للشروح. خاصة إذا عرفنا أن الشرح لا يعني تفسير النص الأصلي وإنما يعني أنه باب من أبواب القول يسلكه المؤلف ليربط كلامه بنص سابق يرى أنه يستحق أن يرتبط به لشهرته، ومكانته في العلم. وهنا يتحول الشرح إلى نص، وهو ما قلنا من قبل أن قيمته لا تقل عن قيمة النص الأصلي المكتوب حوله، وهو ما كنا أشرنا إليه من قبل حين كان الوجهاء يطلبون من العلماء شروحا على نصوص معينة، الأمر الذي جعل الشراح يقفون حائلاً وسطاً بين القراء والنصوص الأصلية مما منحهم سلطة تفسير الشعر وبيان القول فيه التي أشرنا إليها من قبل.

هذه السلطة حافظت على المعنى، وربطته بزمن محدد، فنحن لا نزال نقر لها بها، ونعود إليها عند الاختلاف على تحديد المعنى، وفهم الشعر، ما يعني أنها أكسبت المعنى التاريخي ثباتاً جعلته يتجاوز مرحلته الأولى ليظل مرتبطاً بها، على الرغم من أننا نلاحظ أن الشعر نص لغوي، وأن معناه قد يختلف

باختلاف الزمن التاريخي، الذي قيل فيه، والذي أنشئ فيه الشرح. وإذا كان الشراح يعطون أنفسهم الحق في تجاوز قصد الشاعر، والبحث في تضاعيف تركيبه اللغوي، عن معان أخرى لم يقصد إليها، فإنهم بهذا يعطون سواه من القراء الحق في تجاوز الظروف التاريخية التي أنشئ فيها النص، ودفعهم إلى ذلك المعنى إلى إيجاد ظروف تاريخية جديدة يسقط فيها المعنى ويقرأ من خلالها بعيداً عن مواضع الواقع^(١٩٩).

الشرح والسياق^(٢٠٠):

هذه السلطة التي يمارسها الشراح على الشعر، وفي بناء معناه، والتصرف به، يمكن القول إنها تمثلت بما يمكن أن نسميه ببناء «سياق» للمادة المشروحة (الشعر). هذا السياق هو الذي يتحكم في تكوين المعنى من جهة، ويسوغ الاتجاه الذي يذهب إليه هؤلاء الشراح من جهة أخرى.

وتنوع السياق الذي بناه الشراح في عدة أنواع:

السياق اللغوي:

قيلت الأشعار في عصر قديم؛ حيث متلق عالم بالشعر، وبألفاظه، ومعانيه، ثم تقرأ في بيئة أخرى. هذه البيئة لها مواضعها العلمية والمعرفية، ولذا فإن الشراح قد جهدوا في خلق سياق علمي لغوي يضعون فيه أبيات الشعر التي يشرحونها، ويعد هذا السياق جزءاً لا يتجزأ من تكوين الشرح.

فالشرح - كما سبق الحديث - لا يقتصر على إيراد المعنى مستقلاً، وإنما يقفون فيه على عدد من العلوم والمعارف التي تتصل بالبيت المشروح، ومن هذه العلوم علوم لغوية تسهم في توجيه إدراك المتلقي لمعنى البيت، أو تحدد الزاوية التي يدور فيها المعنى، وهو السياق اللغوي.

يبدو هذا واضحاً حين نقف عند بيت من أبيات معلقة عمرو بن كلثوم، كما جاء في شرح ابن الأنباري لقوله:

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتيننا

يقول ابن الأنباري: وأعرضت اليمامة معناه ظهرت، وبدت، أي لمع بها السراب. يقال: أَعْرَضَ لك الطَّيْبُ فارمه. أي أمكنك من نفسه. ويقال أَعْرَضَ: أمكنك من عُرْضِهِ، أي من ناحيته. وبعضهم يقول: عَرَضَ لك الشيء، والأكثر في كلامهم أَعْرَضَ بالألف، ويقال: عَرَضْتُ الكتاب والجند عَرَضًا، وأَعْرَضْتُ عن الشيء إِعْرَاضًا، وأَعْرَضَ لك الشيء إذا بدا، وعَرَضْتُ الجارية على البيع عَرَضًا، وعَرَضْتُ الرجل عَرَضًا. ويقال: ما يَعْرِضُكَ لهذا الأمر. والعَرَضُ: خلاف الطول. والعَرَضُ: طمع الدنيا وما يَعْرِضُ منها، والعود معروض على الإناء، وكذلك السيف معروض على فخذه. والعَرَضُ: ريح الرجل الطيبة أو الخبيثة. والعَرَضُ: موضع المدح والذم من الإنسان. يقال: إنه لنقي العَرَضُ، أي بريء من أن يشتم أو يعاب. والعَرَضُ ناحية الوادي. وأنشد الفراء:

لَعَرَضُ من الأعراضِ يمسي حمامه ويضحى على أفنانهِ الغينِ يَهْتَفُ

و«اشمخرت» معناه ارتفعت، وطالت. قوله: «كأسياف بأيدي مصلتيننا» معناه بأيدي قوم مصلتين. يقال: «أصلت سيفه، إذا سلّه من غمده وشهره»^(٢٠١).

وحين نتأمل شرح الألفاظ الذي يمثل نوعاً من السياق اللغوي الذي يسعى الشارح لأن يوضع البيت فيه، بناءً على أن المتلقي الأصلي لا يحظى بهذا التفصيل اللفظي، ولا الوقف عندها عند سماع البيت، فهو يعتمد على معرفته السابقة في اللغة، فإن شرح الألفاظ هنا يتمحور حول الظهور الكامل، والتمكن من هذا الذي ظهر كما تتمكن من الطيبة التي أعرضت فيمكن رميها، واصطيادها، وهو أيضاً يتبع التمكن من العرض، وهو معنى يدل على التمكن

من ناحية، والدخول في عمق الآخر حيث عرضه. ولا يبدو أن المؤلف يفرق بين الصياغة بالألف، وغيرها، لأنه يقول إن الأغلب في كلامهم بالألف.

والمعاني التي يوردها بعد ذلك للعرض تتردد بين ما له قيمة في الدنيا، والعود معروض، والسيف أيضاً معروض، ثم رائحة الرجل طيبة كانت أم خبيثة، ثم موضع المدح والذم منه، وكأن العلاقة بينها وبين الريح كعلاقة الحسي بالمعنوي، وهي معانٍ تدور حول حقيقة واحدة، هي أن المدينة قد بدت، وتكشفت حقيقتها، لكن هذا المعنى يختلف عن المعنى الآخر الذي تفيد كلمة «اشمخرت»، وهو الإباء والامتناع، الذي يفيد التشبيه بالسيف المشهر بأيدي المحارب في آخر الشطر الثاني: كأسياف بأيدي مصلتينا.

فالسباق اللغوي الذي يصنعه الشارح للبيت يفيد أن اليمامة قد مكنت من نفسها، وهي دلالات للجذر «عرض» تتظافر في هذا السياق. الأمر الذي يختلف عما يفيد تشبيهها بالسيوف المشهورة من معنى، إلا أن هذا قد يدل على أنها، على الرغم من هذا الاشمخار، ومناصبتهاء العداء بكونها كالسيوف المشهورة، قد مكنت من نفسها.

وهو معنى لهذه الألفاظ مركب من ثقافة الشارح، ومعلوماته عن هذه الألفاظ، وليس بناءً على ما استقر في نفسه حين سمع البيت من الشاعر بناءً على الفاصل الزمني بين قول البيت وهو زمن عمرو بن كلثوم، وزمن الشرح (التلقي) وهو العصر العباسي. وفي هذا الزمن الفاصل جدت معارف أثرت المحيط الدلالي للكلمة، وجعلت المعنى الواقع في نفس المتلقي في زمن الشاعر الذي تحيل إليه كلمة الشاعر ليس واضحاً تمام الوضوح، فيفزع الشارح إلى معانٍ أخرى يرى أنها مناسبة، ويستعين بماجد لديه من معارف، وظهرت فيه اللفظة من استعمالات، الأمر الذي يعني أن هذه المعاني المركبة تجعل اللغة تتحول من لغة طبيعية ترتبط معانيها بما يقع في نفس السامع مباشرة على

وجه الطبيعة إلى معانٍ أخرى من صنع الشارح والمتلقي، بناءً على تركيبة تأويلية، قريبة مما يسميه فان دايك باللغة الصورية، وهي لغة اصطناعية تقوم فيها البدائل المختلفة لصياغة معاني متنوعة للبيت الشعري، قد لا تكون تدل عليه في مقام القول، ولا في زمانه^(٢٠٢).

وحين نوازن هذا الشرح بشرح آخر للبيت نفسه، نجد سياقاً لغوياً آخر، ربما يكشف عن معنى آخر للبيت. يقول التبريزي في شرح البيت: «أعرضت معناه ظهرت وبدت، ويقال: أعرض وعرض إذا بدا. قال ابن كيسان: أحسن ما في هذا أن يكون أعرض بمعنى بدا بعضه كأنه بدا عرضه أي ناحيته وعرض إذا بدا كله، واشمخرت طالت، والمعنى بدت مستطيلة... والمصلت الشاهر سيفه. والمعنى أن اليمامة ظهرت فتبينتها كما تتبين السيوف إذا أشهرت فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذي تصير إليه، وكان ذلك أشد لولهي»^(٢٠٣).

هنا نجد المعنى مختلفاً، ففي الوقت الذي يقول الشارح الأول أن «أعرضت» تدل على الاكتمال، والتمكن، تظهر هنا بمعنى «بعض»، وليس «كل»، فليس فيه تمكّن أو اكتمال، فقد ظهر جانبها، وفي حين تدل كلمة «اشمخرت» على الارتفاع، والطول لا تدل هنا إلا على الطول، وتشبيهها بالسيوف لا يفيد إلا معنى الوضوح، وإن كان هذا المعنى يتناقض مع ما حدده ابن كيسان من أن «أحسن ما في هذا أن يكون أعرض بمعنى بدا بعضه كأنه بدا عرضه»، فإذا كان البادي بعضه فإن الوضوح يكون ناقصاً.

وهذا يوصلنا إلى القول: إن صلة الشاعر باليمامة غير واضحة تمام الوضوح، فهل هو مشتاق لها؛ لأنها مكانه الذي يصير إليه، أم أنها بلد المحبوب، فهو يتشوق إليها كما يتشوق إلى محبوبه على طريقة البكاء على الإطلال خاصة أنه أورد هذا البيت بعد حديثه عن الطعائن في قوله:

تذكرت الصبا، واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حيننا

أم أنهما على حرب بالرغم مما بينه وبينها من وجد ومحبة، على طريقة عنتره:

علقتها عرضاً وأقتل قومها زعمًا لعمر وأبيك ليس بمزعم

وعدم معرفة صلة الشاعر باليمامة يماثله عدم معرفة صلة محبوبته بها، فليس هناك إشارة للصلة بهما إلا أن حديثه عن اليمامة جاء بعد حديثه عن الطعائن، فكأنها قد رحلت عن اليمامة التي كانت مدار أحداث خلت، أو في مكان قريب منها جعله يتذكر أيام الصبا، ثم يرى اليمامة التي زادت من ولله وشوقه كما يقول التبريزي، سواء كانت العلاقة ضدية أم انتماء إلى اليمامة، فإن إثارة مشاعره حيال أيام الصبا، والأحداث التي دارت فيها تظل قائمة.

وإن كان الذي يوحى به حديث التبريزي هو قوة صلة الشاعر باليمامة، وانتمائه إليها، فظهورها كالسيوف حال جيدة، جعل "ولله" يزيد إليها، -كما يقول- نظرًا لما تصير إليه، وهو ما لا نجده في شرح ابن الأنباري الذي يشبه لمعان المدينة بالسرب، فكأن ظهورها كالسيوف المشهورة بأيدي المصلتين بسبب السراب الذي يلمع فيها كأنه سيوف، مع أن هذا المعنى يخالف الوضوح الذي أشار إليه التبريزي، وهذا يعني أنه يرى أن موقع المدينة من الشاعر موقعًا ضديًا، فهو لا يفصل القول في تشبيهها بالسيف، ولا في معنى ظهورها بأيدي المصلتين، بقدر ما يستدعي مرة صورة السراب التي تعني الكذب، والخديعة، وهذا حالها مع هذه السيوف المشهورة، ويستدعي الظبي الذي أمكن الصياد منه بحيث صار جاهزًا للصيد والاقتران، فكأن العلاقة ضدية، ولكن اليمامة قد أسمحت بما فيها مع ما نجده من سيوف مشهورة هي كلمع السراب.

وهنا نجدنا أمام سياقين لغويين متباينين للبيت، كل واحد منهما يؤسس معنى مختلفا للبيت، يجعل الدلالة تتكون في إطار اجتماعي وتاريخي مباين للآخر، تدل عليه اختيارات دلالات الألفاظ التي يقف عندها كل شارح.

ومما يلفت الانتباه أن الشارحين معاً قد أغفلا دلالة «أعرضت»^(٢٠٤) التي تدل على الصدود، والانصراف، وهو معنى مشتهر لهذه الكلمة بهذه الصيغة. جاء في الكتاب: «أعرض ونأى بجانبه»^(٢٠٥)، والفعل «نأى» يبين معنى الفعل «أعرض». هذا المعنى يتوافق مع معنى فعل: «اشمخرت»، فهي صدت، ورفعت رأسها كبراً، وهو ما يحدد الصلة بين الشاعر، والمدينة التي تقوم على العداء، والخصومة، كما يتناسب مع صورة السيوف المصلتة، ويجعلها في سياق واحد.

وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن معنى «اليمامة» في البيت، أهى الموضع المعروف في نجد، أم يقصد بها الطائر المعروف، يكنى بها عن المرأة^(٢٠٦) التي يتحدث عنها لاسيما أن هذا البيت جاء في معرض حديثه عن المرأة وذكر أوصافها سواء السابق له أم اللاحق. خاصة أن الصدود هو من أخلاق المحبين أحياناً؟

وحين نأخذ هذا المعنى لفعل «أعرض» نجد أن سياق البيت يختلف تماماً عما كان عليه من قبل، فاليمامة هنا ليست موضعاً، ولكنها محبوبته، وهذا يعزز معنى رحلة الطعائن، فارتحالها أصيلاً هو الإعراض التي يتحدث عنه في البيت الذي سبقه، وكأن ارتحالها عنه إعراض واشمخار، وهذا الفعل يشبه السيف الذي يشهره صاحبه، وهو ما يؤسس معنى للبيت مخالفاً كل المخالفة للمعاني السابقة.

يؤيد هذا أن منازل الشاعر بعيدة عن اليمامة في نجد، فتغلب تنزل في أطراف الشام أو في الجزيرة الفراتية، ما يعني أن صلته بهذه المحال قليلة، لا تظافر أن يكون له صلة بها، أو لمحبوبته كذلك.

ويبدو هذا أيضاً في قول عنتره:

بركت على ماء الرداك كأنما بركت على قصب أجش مهضم

يقول ابن الأنباري: «كأنما بركت على زمر. والمعنى أنها بركت فحنت. فشبه صوت حنينها بصوت المزامير، أي كأن صوتها مزامير. و«الأجش» الذي فيه بحوحة، يقال: رعى جشاء وغيث أجش، إذا كان في صوته بحوحة.

وقال أبو جعفر: الجشة: غلظ حسب، ولو كان أبخ لم يسمع صوته، و«المهضم»: الذي قد غمز حتى انفضح، وهو النرمناي. والنرمناي ضرب من آلات الزمر. وإنما قيل له مهضم لأنه يكسر ويضم طرفه. وقال أبو عبيدة: إنما أراد القصب المحرق الذي يزمر به الزامر. فشبه صوت حنينها بصوت المزمار. وقال: ابن الأعرابي: أراد أنها بركت على موضع قد نضب ماؤه وجف أعلاه وصار له قش رقيق، فإذا بركت عليه سمعت له صوتاً لأنه ينكسر تحتها»^(٢٠٧).

فالسباق اللغوي الذي صنعه ابن الأنباري من خلال هذه الألفاظ يتناسب مع المعنى الذي صار إليه، وهو أن الناقة حين بركت على الماء حنت كحنين المزمار، وقد استشهد على هذا المعنى ببيت من الشعر يقول فيه قائله: إن التي غنت كأنها قد وضعت مزامير في جوفها، ثم بدأ يشرح الألفاظ في وصف القصب، فيفسر الأجش بالغليظ حتى لو لم تكن تسمعه لشدة بخته، والمهضم هو الذي غمز حتى انفضح، ويروي بعد ذلك مقولات لأبي عبيدة تذكر أنه أراد القصب المحرق الذي يزمر به، وهي مقولات تكون السياق الذي استنبط منه المعنى، وهي أنها حنت حيناً يشبه صوت المزمار.

وهنا يظهر أن ابن الأنباري يختار كلمة «محرق» شرحاً للفظ «المهضم»، لأنها تناسب المعنى الذي ذهب إليه، في حين أن التبريزي ينص على أن هناك من قال بأنه «المكسر»^(٢٠٨)، وهذا يتناسب مع ما ذهب إليه ابن الأعرابي الذي لا يرى أنها حنت، وإنما يرى أن الصوت الظاهر منها هو صوت تكسر القش حين بركت عليه.

وحين ننظر في شرح الأعلام الشنتمري نجده يقف عند المعاني السابقة، ويضيف إليها معاني أخرى، فيرى أن بروكها على ماء الرضاع يدل على طول ظمئها، ويشرح الرضاع بأنه القصب، أو أنه ماء بعينه، وحين يجعل ابن الأنباري الأَجَش الغلظة وحسب، أو هو الصوت الأَبَح حتى ولو لم يكن له صوت يسمع، يجعله الشنتمري الصوت الجهير. وهذا يجعل الشنتمري يستنبط معنى آخر للبيت وهو أن هذا الصوت أَجَش جهير، يجعلها لا تستقر على حال فكأن في آذانها زميراً من صوت القصب، غير أن المعنى الذي يميل إليه هو أن طول ظمئها جعلها تصدر صوتاً عندما تمص الماء وتجرحه يشبه صوت المزامير^(٢٠٩).

وبين هذين المعنيين نجد التبريزي يفضل المعنى الأول على الآخر، فيرى أنه أجود، ويدعم هذا الرأي بأن الاختيار قائم على السياق الاجتماعي حيث «إن القصب الأَجَش معروف أنه من قصب الزمر»^(٢١٠)، وهنا لا يكتفي التبريزي بالقول: إن «الأَجَش» هو وصف للقصب، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك، إلى أن نوع القصب هو القصب الأَجَش، وهذا يعزز المعنى الذي ذهب إليه ابن الأنباري، ويبدو أن السبب الذي دفع التبريزي إلى هذا الاختيار هو سبب فني، فتصوير الناقة بأنها تحن وتشبيه حنينها بصوت المزامير تصوير عميق.

والخلاف بين المعنيين يعود إلى تصور السياق اللغوي العام للمشهد، عندما بركت على ماء الرضاع، أكان القصب الأَجَش المهضم المشبه به داخل المشهد بمعنى أنه في الماء الضحل الذي بركت فيه، فكأنها لم تبرك على ماء بل بركت على قش وقصب أم أن القصب خارج المشهد وهي تشبه الصوت الذي صدر منها عند بروكها سواء كان هذا الصوت من حنينها، أو صوت شربها الماء؟ فعلاقة القصب الأَجَش بالماء والناقة غير واضحة تمام الوضوح في البيت الذي أنتج هذا الخلاف في التفسير.

بيد أن هناك معنى آخر يبدو في البيت أيضاً من تركيبه اللغوي لكنه يتطلب سياقاً آخر لم يقف عنده الشراح، وهو أنه يصف الناقة بالبيت السابق بالجهد في السفر، والتعب فيه، وهو ما جعلها كالمبنى الكبير، ودعائمه كأنها دعائم الخيمة، بيد أن هذا الحجم لا يمنع أن يكون قد زال ما عليها من لحم وشحم، وبقي فيها الجلد والعظم، وهذه طبيعة وصف الشعراء لنوقهم حيث يصفونها بالهزال، وذهاب الاكتناز كما قال أبو تمام:

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه^(٢١١)

ولأن هذه حالتها فحين بركت على الماء كأن ما بركت عليه من جلد وعظم قد بلغ شدة تقشفه ويبسه حتى صار كأنه هشيم قصب أجش أصدر صوتاً، فهي بما بركت عليه من أعضائها كأنما بركت على قصب أجش مهضم، وهذا على طريقة التجريد أن يجرد من ناقته شيئاً آخر فيصفه بهذه الصفة وهو منها^(٢١٢). وهذا سياق لغوي من صورة الناقة بالبيت الذي قبله، والعادة التي يسلكها الشعراء بتصوير رواحلهم عندما تكون بهذه الحالة وهو سياق تاريخي.

ونستطيع أن نجد هذه الفروقات التي تصنع سياقات مختلفة في شروح أخرى، تناولت شعر شاعر واحد كما في شروح قول أبي الطيب المتنبّي:

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت فإذا نطقت فإنني الجوزاء

يقول ابن جني في شرح البيت: «جعل نفسه صخرة الوادي؛ لأن الصخرة إذا كانت في المقر من الماء كان أثبت لها وأصلب من أن تكون على مزلة أو سفح ولذلك قالت الخنساء:

وناجية كأتان الثمي ل غادرت بالخل أوصالها

تعني بأتان الثميل الصخرة في الماء. وقال علقمة بن عبدة:

هل تلحقني بأولى القوم إذ شخطوا جلذية كأتان الضحل علكوم

يقول: أنا في الشدة كهذه الصخرة، وفي المنطق كالجوزاء أي قد جمعت
الأمرين، وهذا قريب من قول الشاعر:

إلى دوحة فرعها في السماء ومغرسها سرّة الأبطح»^(٢١٣)

صخرة الوادي هي صخرة بعينها عند ابن جني، كما أن الجوزاء نجم بعينه،
تتسم صخرة الوادي بأنها صلبة، ويضرب بها المثل الشعراء من قبله كالخنساء
وعلقمة الفحل، وهذا يعني أن السياق اللغوي الذي يسير فيه ابن جني سياق
معرفي بالدرجة الأولى، يتوخى ربط بيت الشعر بالشعراء قبله، وهذه الثقافة
العلمية لدى ابن جني، والمتنبي من قبله هي التي يرى أهميتها بالنسبة لتكوين
البيت، وهي التي تعطيه أهميته، والمعنى قيمته.

وهذا قريب من السياق الذي يصنعه أبو العلاء المعري في شرح البيت، إذ
يقول: «يعني التي تسمى أتان الضحل، وهي صخرة تكون في الوادي، فإذا مر
بها السيل بقيت منه بقية قليلة هي الضحل، فيقال: إنها تكون من أشد الصخر
صلابة» ثم يستشهد بقول علقمة الأنف الذكر، ويقول بعده:

جلذية: صخرة صلبة شبه الناقة بها.

والجوزاء: نجم يزعم المنجمون أنه نجم منطيق»^(٢١٤).

وبالإضافة إلى ما ذكره الشراح عن معنى الصخرة، هناك المعنى العام
للصخرة: أي الأصل الذي يكون الوادي منه، فليس تحته شيء يمكن أن يصير
إليه الماء، أو تنزل إليه القدم، وهذا معنى واضح من جهة، ويفيد ما يريد أن يشير
إليه الشراح من الثبات وعدم الحركة، وهذا شبيه بقولهم «بيضة البلد» وتعني
أنه حقيقة الشيء، وأنفس ما فيه. وهذا المعنى قريب مما مال إليه الواحدي^(٢١٥)
حين لم يقف عند هذا المعنى الخاص لصخرة الوادي، بقدر ما عني بالمعنى
العام لها الذي يعني الثبات، دون أن يعلق على ما ذكره سواه من الشراح

عن أنها صخرة بعينها، وهو ما يعني أنه لا يرى أهمية هذا التحديد بالنسبة لمعنى البيت. بيد أن هذا المعنى المحدد الذي مال إليه ابن جني والمعري يؤسس للسياق المعرفي الذي يرى أهميته هؤلاء العلماء، ويجدونه ميزة للبيت دفعهم إلى استدعاء الشواهد الشعرية عليه من بطون الكتب حتى لو لم تكن مطابقة له تمام المطابقة.

ومما يدخل في السياق اللغوي وقوف الشراح عند مواقع الألفاظ النحوية، ووظائف بعض الحروف، مما يسهم في صياغة البيت، وإعادة العلاقة بين أجزاء التركيب، والعلاقات النحوية شبيهة بالروابط التي وقف عند دلالاتها فان داك في دراسة السياق^(٢١٦)، فالوظائف النحوية تبني العلاقة بين الكلمة والأخرى حتى تكون فاعلاً مرة، وخبراً أخرى، وفي كل واحدة تستجيب لرابط معنوي دقيق في ذهن المتلقي، يختلف هذا الرابط المعنوي باختلاف الوجه الإعرابي الذي مال إليه المتلقي، وهي وظيفة تداولية بامتياز.

يظهر هذا لدى الشراح الذين يعنون بالمواقع الإعرابية، ويقفون عندها في استنباط المعنى من مثل أبي الفتح ابن جني الذي يلقي الإعراب، وأحواله عناية خاصة، كما في قوله في شرح قول المتنبي:

لا تكثر الأموات كثرة قلة إلا إذا شقيت بك الأحياء

«قوله: «شقيت بك» يريد شقيت بفقدك، «فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه»^(٢١٧)، فتقدير المضاف هنا جعل المعنى على فقدان الممدوح، وتأثير ذلك على الأحياء، في حين أن هذا التقدير ليس لازماً، فالباء يمكن أن تكون سببية، أو للتعدية، فيكون المعنى على ما نقله ابن المستوفي عن المخزومي، وهو «إذا حاربك الأحياء شقوا بك حتى يكثر عدد الأموات»^(٢١٨)، فهذا التقدير للعلاقات بين الكلمات بنى السياق اللغوي وغير المعنى.

وكذلك في قوله عند شرح قول المتنبي:

ولجبت حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ومن السرور بكاء

يقول: «المنتهى؛ أي من أجل المنتهى»^(٢١٩) وهنا تصبح اللام تعليلية، في حين أنها يمكن أن تكون لانتهاء الغاية بمعنى إلى المنتهى، وإذا كانت «حائلاً» بمعنى «راجع»، فإن هذا يعني أنه يقول: «راجع إلى المنتهى باعتباره المنتهى هو البداية»، مع أنني أرى أن في البيت تقديمًا وتأخيرًا، فالجار والمجرور متعلقات بالفعل «جدت»، وحائلاً حال.

ويبدو أيضًا عند أبي العلاء المعري كما في قوله عند شرح قول المتنبي:

وما أنا إلا عاشق كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه

يقول: «ولو استقام له إدخال الواو على قوله: كل عاشق لكان ذلك أبين؛ لأن السامع ربما ظن أن قوله: كل عاشق متعلق بعاشق الأول»^(٢٢٠)، يقصد أنها مفعول به، وهذا يعني أن العلاقة بينهما منقطعة بناء على أن «كل» مبتدأ وليست مفعولاً به لعاشق.

ويقول أيضا عند قول المتنبي:

قفي تغرم الأولى من اللظ مهجتي بثانية والمتلف الشيء غارمه

يقول: «الأولى رفع بفعلها، ومهجتي نصب لأن الغرامة واقعة عليها»^(٢٢١) ثم يشرح البيت بناء على هذه العلاقة بين مفردات البيت الذي أوضحها الإعراب، فيقول: إن اللحظة الأولى قد أتلفته، ويجب عليها أن تغرمه بلحظة ثانية.

وتختلف المعاني باختلاف الوجوه الإعرابية كما هو معروف، وهي نوع من التلقي بحسب السياقات المختلفة الذي تختلف فيه الشروط التداولية.

السياق الدلالي:

السياق الدلالي يأتي من الألفاظ التي يشرحها الشارح، ويمهد فيها للمعنى الموجود في البيت، كما يأتي بصورة أكثر من خلال الشواهد التي تتشارك مع البيت المشروح في المعنى أو بعض أجزائه؛ مما يعني أن الشارح يسعى لصنع السياق الذي جاء به المعنى، وإذا تجاوزنا الحديث عن أثر الألفاظ في تكوين السياق الدلالي الذي وقفنا عنده في الفقرة السابقة، فإن الحديث عن أثر الشواهد في ذلك كبير.

قيلت الأشعار في الغالب في عصور مغايرة للعصور التي شرحت فيها خاصة فيما يتصل بشعر ما قبل الإسلام أو في العصر الأموي، في حين أن الشروح قد جاءت بعدها بعشرات السنين، وقد اختلفت طبيعة الناس، وما يعرفونه خاصة أن هؤلاء الشراح كانوا يعيشون في الحواضر، ولا صلة لهم كبيرة في حياة البادية التي قيلت فيها تلك الأشعار.

وإن كان مجهود القدماء هنا في الحديث عن معنى البيت يتصل في الغالب في الحديث عن الألفاظ وتقريبها للقارئ بالشرح، والتفصيل، وهو ما سبق الحديث عنه في الفقرة السابقة، بيد أن الشواهد على وجودها ليست معدومة في هذا الشعر، ومن ذلك ما قاله المرزوقي عند شرح بيت الحماسي:

إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام القوم فاسقيناً

«يقول: إنا مسلمون عليك أيتها المرأة، فقابلينا بمثله، وإن خدمت الكرام وسقيتهم، فأجرينا مجراهم فإننا منهم. والأصل في التحية أن يقال حياك الله ثم استعمل في غيره من الدعاء عند اللقاء»^(٢٢٢).

هذا الوجه الأول للبيت، وهو وجه واضح لا يستحق التوضيح، أو التهيئة، لكن الوجه الآخر ليس واضحاً كالوجه الأول، وهو ما استدعى تهيئة للسياق الدلالي الذي يجعل المعنى مقبولاً صحيحاً، إذ قال بعد ذلك: وأما قوله:

ولكل ما نال الفتى قد نلتَه إلا التحية

فالمراد تحية الملوك خاصة، وهو قولهم: أبیت اللعن! وقيل في سقيت إن معناه: إن دعوت لأماثل الناس بالسقيا فادعي لنا أيضاً. والأشهر في الدعاء أن يقال فيه سقيت فلاناً فيثقل، والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب:

سقيت به دارها إذ نأت وصدقت الخال فيه الأنوحا^(٢٢٣)

فالوجه الآخر أن السقيا ليست بالمعنى الظاهر، ولذلك احتاج أن يصنع سياقاً دلاليًا، جاءت هذه الألفاظ بهذا المعنى، عرض فيه شاهداً شعرياً، ولم يكتف بهذا بل تجاوزه إلى التفكيك الصرفي للصيغة (سقيت)، والفرق بينها وبين الصيغة الأخرى (أسقيت) التي تعني جعلت له سقياً يفعل بها ما يشاء، في حين أن الأولى تعني أعطيته ماءً ليشربه، ثم يبين أن هذا التفريق ليس متفقاً عليه بدليل قول لبيد:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال^(٢٢٤)

وبهذا يصبح السياق الدلالي الذي جاء فيه الوجه الآخر محكماً، واضحاً.

وقد لا يكون الفاصل الزمني بين الأشعار وشرحها طويلاً، بل ربما يكون الشارح معاصراً للشاعر، بيد أن غرابة المعنى، يدفع الشارح لبناء سياق دلالي يجعل المعنى المذكور في البيت (الشرح) مقبولاً عند المتلقي.

يظهر هذا في شروح ديوان أبي تمام، والمتنبي التي كتب بعضها معاصرون له، فالصولي شارح ديوان أبي تمام كان معاصراً له، وكذلك ابن جني في كتابه الفسر، ومع ذلك فإن إغراب هؤلاء بالمعاني جذب القراء لها، وجعلها مجال بحث وجدل، مما دفع الشراح بناء سياق دلالي يقرب تلك المعاني إلى القراء، ويجعلها مقبولة لهم.

من ذلك ما جاء في شرح التبريزي عند قول أبي تمام:
وله إذا خلق التخلق أو نبا خلق كروض الحزن أو هو أخصب

«خلق» من الخلقة. [ع] و «الحزن» ها هنا موضع بعينه في نواحي نجد،
وقيل بل كل حزن كذلك؛ لأن الروضة إذا كانت في موضع عال كانت أحسن.
وقيل إنما ذكر روضة الحزن؛ لأنه أبعد من وطء الراعية إذ كان السهل أيسر
عليها. قال كثير:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعراها

وقال القطامي:

فما ريح روض ذي أقاح وحنوة وذي نفل من قلة الحزن عازب^(٢٢٥)

فالمعنى الغريب هنا تشبيه خلق الممدوح بروض الحزن، وهو معنى دقيق،
يدعو إلى السؤال عن سبب هذا التخصيص^(٢٢٦)؛ الأمر الذي دفع الشارح لأن
يظهر السياق الدلالي الذي ينتمي إليه المعنى، وهو سياق متداول عند الشعراء
قبله استعمله الشعراء في أشعارهم كما في الشواهد السابقة؛ الأمر الذي يؤكد
صحة معنى أبي تمام.

والذي يدل على حاجة هذا المعنى إلى سياق دلالي ينتمي إليه الخلاف في
تحديد روضة الحزن أولاً - كما في الشرح - ثم في سبب كون روضة الحزن
أجود من غيرها، وهو ما تناقش حوله الشراح وأخذ بعضهم على بعض فيه^(٢٢٧)؛
الأمر الذي يجعل الحاجة إلى سياق دلالي قائمة.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في الحديث عن قول أبي تمام:

ورأيت ضيف الهم لا يرضى قرى إلا مداخلة الفقار دلاثا

إذ يقول الشراح: «ضيف الهم» ما طرق منه، شبه بالضيف من بني آدم.

و«الفقار» خرز الظهر، و«الدلائل» الناقة الجريئة على السير، وهذا معنى يتكرر في أشعار العرب، يجعلون للههم قري، قال الشاعر:

وأقري الهموم الطارقات حزامه إذا كثرت للطارقات الوسواس

وقال آخر:

وإني لأقري ضيف همي جسرة بدأيتها والقصرين غلوب^(٢٢٨)

فالقضية التي تحتاج إلى النظر في رأي الشارح هنا هي «ضيف الهم»، وعلى الرغم من أنه يرى أن المعنى يتكرر في الشعر فإنه لم يجد بأساً في الاستشهاد عليه بشاهدين، الأمر الذي يعني أنه يبني سياقاً دلاليًا ينتمي إليه البيت يؤكد صحة المعنى، المتمثل بأن يجعلوا الهم ضيفاً والترحل على ظهر الناقة قري له، وهو صورة كلية غير كثيرة في الشعر القديم، ومع أن الشارح يؤكد هذا المعنى فإن للبيت وجهًا آخر بعيداً كل البعد عن السياق الدلالي الذي وضع فيه، وهو كأنه يصف حالة ذي الفقر المدقع عند استقبال ضيف من الضيوف، إذ يصيبه الهم ولذا أضافه إليه، وهو لا يرضى إلا بناقة قوية^(٢٢٩).

وعلى الرغم من أن هذا المعنى لا يتناسب مع السياق الكلي للأبيات السابقة له واللاحقة، فإنه يثبت أن للمعنى سياقاً دلاليًا ينتسب إليه، يختلف من موضع إلى آخر، وأن هذا السياق يقدم معنى على آخر، ويحدد معنى البيت.

كما يبدو -أيضاً- في حديث ابن جني عند شرح قول أبي الطيب:

إن المعين على الصبابة بالأسى أولى برحمة ربها وإخائه

«وقوله: «على الصبابة»؛ أي: على ذي الصبابة، [أي: صاحب الصبابة]، فكأنه قال: إن المعين على الصب بالأسى، [وهو المحزن] أولى بأن يرحمه، ويكون أخاه، إما لأنه هو الذي جنى عليه ما جنى، وإما لأنه أعرف الناس

بدوائه وأطبهم بدائه، ويجوز أن يكون قوله أيضًا على الصبابة أي مع ما أنا فيه من الصبابة كما قال الأعشى:

وأصفدني على الزمانة قائدًا

أي أعطاني مع ما كنت أقاسيه من الزمانة قائدًا. وهذا القول كأنه أكشف من الأول. ويكون المعين في هذا، أي: لا معونة عنده لي إلا إيراده على الأسى والحنن، فيجري مجرى قولهم: «عتابك السيف وحديثك الصمم» أي لا عتاب عندك لكن السيف، ولا حديث عندك لكن الصمم، وكقول عمرو بن معدي كرب: وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع»^(٢٣٠)

فالشارح بعد أن بين معنى البيت كما يظهر له من الوهلة الأولى، وهو معنيان، سار لأن يبين معنى ثالثًا. هذا المعنى لا يبدو واضحًا في البيت، وقد يكون غريبًا، ولذا استعان على تبينه بإيراد عدد من الشواهد التي تبني سياقًا دلاليًا يجعل المعنى سائغًا. فهو أولًا بين الملمح الذي رآه في «على الصبابة» وهو أي على ما أنا فيه من الصبابة، واستشهد على هذا المعنى بقول الأعشى، ثم بينه باستدعاء المثل، وبيت عمرو بن معدي كرب، والغرابة هي القول بأن الشاعر يقول: ليس لديه لي إلا هذا الأسى على الرغم مما هو فيه من صبابة.

والذي دفعه إلى التركيب السياقي شعوره بغرابة المعنى، الذي قال فيه ما أحال إليه محقق الفسر: «ما رأيت من ضل في هذا المعنى القريب هذا الضلال»^(٢٣١).

والسبب الذي أدى إلى اللبس في معنى البيت عدة ملامح:

- ١ - استخدام كلمة «المعين» في أول البيت، فلم يبد المعنى هل يقصد «لمعين» على وجه الحقيقة أم يقصد العاذل، فاستعمل «الإعانة» نوعًا من السخرية، وإلا فهو في الحقيقة ليس معينًا، بدليل أنه قال في البيت الذي

يليه: «مهلاً فإن العذل من أسقامه». هذا التعبير عن «العاذل» بـ«المعين»
قربه إليه وأبعد كلمة «الأسى» عن «اللوم» وقربها إلى «الحنن».

٢ - استعمال كلمة «الأسى» في محل «اللوم»، وهي وإن كانت تتصل بها
باعتبار أن الأسى نتيجة اللوم، فكأنها يزيد به مع أن الأولى إبعاده،
وهذا ما أشار إليه الشاعر في الشطر الثاني حين قال «أولى برحمة ربها
وإخائه»؛ أي أن هذا الذي جعل إعانته على ما فيه من الحب زيادة الحزن
باللوم أولى له أن يرحمه من هذا اللوم، وأن يصاحبه على ما هو فيه.

كما يظهر هذا في قول الواحدي عند قول المتنبي:

تفيت الليالي كل شيء أخذنه وهن لما يأخذن منك غوارم

يقول الواحدي: «الليالي إذا أخذت شيئاً ذهبت به، فإن أخذت منك غرمت
لأنك تلزمها الغرامة. ويجوز أن تكون تفيت مخاطبة، وعلى هذا روي أخذته
بالتاء يقول: إذا سلبت الليالي شيئاً أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك،
وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمته.

ثم يقول: «وهذا من قول بعضهم:

فما أدرك الساعون فينا بوثرهم ولا فاتناً من سائر الناس واطر

وقال الطرماح:

إن نأخذ الناس لا تدرك أخذتنا أو نطلب نتعد بالحق في الطلب» (٢٣٢)

فمعنى الرواية الأولى أن الليالي مع سيف الدولة تخالف ما اعتادت فعله،
فالشطر الأول قاعدة عامة استثنى منها ما جاء في الشطر الثاني، في حين أن
المعنى الثاني يدل على أن معنى الرواية الثانية يقوم على مخالفة فعل سيف
الدولة بفعل الليالي، فهن يفتن له كل ما يأخذه منهن في حين أنهن يغرمن ما
أخذه منهن، فالرواية الثانية فيها زيادة بالمعنى.

وهذا المعنى واضح، ولكنه مستحيل، فالليالي لا تغرم شيئاً لأحد، وهذه الغرابة تبدو في تعليق الواحدي عند شرحه للبيت بقوله: «يعني أنت أقوى من الدهر»^(٢٣٣)، وإذا كانت هذه الخلاصة عند الواحدي، فإن الطرف الآخر من المعنى وهو الذي بنيت عليه فكرة البيت قد جاء عند غيره؛ أي ينتمي إلى سياق دلالي معروف ظهرت في الشواهد التي استدعاها الشارح؛ مما يجعله يسوغ الغرابة الموجودة في البيت، ويجعل المعنى بوجه عام مقبولاً على الرغم من استحالة وقوعه، وتصوره أيضاً.

السياق التاريخي والاجتماعي:

يساند السياقات السابقة، في تكوين المعنى بالشرح السياق التاريخي، والاجتماعي، وهي ما يذكره الشراح عند الحديث عن البيت من معلومات تتصل بمناسبة القصيدة، أو البيت، أو حكاية تتصل به، أو قول عن أيام العرب، وأنسابهم، وبعض معارفهم التي جاءت فيه أو طرفاً منها، وتمثل سياقاً تاريخياً له.

وهذه النماذج كثيرة في الشروح، وإن لم تكن بكثرة السياقات السابقة، فالأبيات لا تتصل كثير منها بهذه القضايا أولاً، والشراح لم يعتبروها ركناً ركيناً من الشروح مثل بيان معنى الغريب، والوقوف على سرقات الشعراء.

وهي مواقف تؤثر تأثيراً كبيراً في تحديد معنى البيت، وتوجيه شرحه أحياناً، أو توكيد المعنى الذي ذهب إليه:

ومن ذلك ما أورده ابن الأنباري عند قول الحارث بن حلزة:

أتلهى بها الهواجر إذ كل ل ابن هم بلية عمياء

فقد جاء في معنى «البلية» أنها الناقة تربط عند رأس صاحبها في القبر، ويعكس رأسها إلى جهة ذنبها، وتترك بلا أكل أو ماء حتى تموت، وكانوا يقولون إنها تترك عند قبره حتى إذا قام من قبره للبعث ركبها.

وهي -إن صحت- من عادات العرب القديمة، وهذه العادة جعلت وسيلة لتفسير البيت، وتحديد معنى «بلية عمياء»، وهذا الربط بينهما انعكس على ما قبله، فالشارح عندما تحدث عن «ابن الهم» الذي يعني -كما ذكر- صاحب الهم، استشهد على أثر الهم على الإنسان بشواهد تسميه «أخا الموت»، لأنه يكون سبباً فيه. هذه السببية التي بدت بالشواهد أكدت ربط «البلية العمياء» بالناقاة المذكورة سلفاً، فإذا كان الهم أخا الموت، فكل من أصيب به سيكون مصيره مصير تلك الناقاة.^(٢٣٤)

في حين أن معنى «البلية» المصيبة العظيمة، ووصفها بأنها عمياء يعني شدتها، وانصرف الشارح عن هذا المعنى المباشر إلى المعنى الخاص في فهم البيت، معتمداً على السياق الاجتماعي لمعناها، وهو ما جعله يعززه ببناء سياق دلالي سابق يجعل الهم أخا الموت. فالحرص على ربط البيت بالسياق الاجتماعي هو الذي دفع الشارح للحرص على هذه الدلالة دون الأخرى، وهذا ليس بسبب أن البيت يتطلبه ولكن لأنه يكسب الشرح قيمة وثراء علمياً.

ومثل هذا الشرح المعتمد على السياق الاجتماعي ما ذكره المرزوقي في الحديث على أبيات أبي كبير وهو يمدح تأبط شراً إذ يقول:

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء معضل
ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فشب غير مهبل^(٢٣٥)

فالببيت الأول يحيل أيضاً إلى ما كان يقوله العرب من أن المرأة إذا حملت بالابن وفيها بقية حيض، أو وهي مرضع فإن داءً يصيبه مما في بطنها ولا يفارقه أبداً، وقد فصل الشارح في هذا واستدعى ما روي عن أم تأبط شراً أنها قالت: «ما وضعته بتناً، ولا أرضعته غيلاً، ولا أبتة مثقاً، ولا رأيت بنفسي دماً»^(٢٣٦).

والحال نفسه في البيت الثاني إذ يذكر أن أم تأبط شرًا قد حملت به وهي على غير استعداد للمواقعة، مما جاء في تنمة حديثها السابق، وهو بهذا يشير إلى ما تقوله العرب في الجاهلية من أن المرأة إذا كانت قد أخذت على غير رغبتها، ومذعورة فإن ابنها يأتي منجبًا، ومن ذلك قولهم في المثل: «أنجب الأبناء ولد الفارك»، وهذه العادة هي التي اعتمد عليها المرزوقي في شرح البيت كأنها الإيضاح الذي لا يخالجه الشك في معنى البيت.

وبصرف النظر عن كون هذه الأبيات إشارة إلى ذلك الاعتقاد، فإن استدعاءها في شرح الأبيات، يجعل الشارح يختار أن يكون شرحه تبعًا للحكاية الموروثة عن أم تأبط شرًا، ويعطيها الهيمنة في الكشف عن المعنى، ويلغي وجود البناء التركيبي للأبيات في حضور السياق الاجتماعي، فكأن الأبيات لا تعدو أن تكون نظامًا لهذه العادة وتقييدًا لها، وقد أشار التبريزي إلى أن هذه الأخبار «تذكر على معنى التعجب منها»^(٢٣٧)، الأمر الذي يعني أن الشراح لا يؤمنون بها، ولا يعتمدونها لتحديد معاني الأبيات.

يظهر هذا الفرق بين الاعتماد على السياق الاجتماعي أو عدم الاعتماد حين يذكر الشارح الحكاية التي تؤسس هذا السياق ثم لا يلتزم بها بالشرح، فيورد ما ينقضها، وهنا يبدو الفرق بين المعنيين. نجد ذلك في شرح ابن الأنباري لقول زهير:

تداركتما عبسًا وذبيان بعدما تفانوا وبَقُوا بينهم عطر منشم

يقول في شرح البيت: «قال الأصمعي في عطر منشم: زعموا امرأة عطارة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا». ثم يتبعه بقول أبي عمرو بن العلاء في شرح «عطر منشم»، فيقول: «إنما هو من التنشيم في الشر»، ومنه قولهم: «لما نشم الناس في عثمان، رضي الله سبحانه عنه». ومنه قول علقمة:

خضر المزداد ولحم فيه تنشيم

وفي حين أن أبا عمرو بن العلاء يرى أنها مادة لغوية، يزيد أبو عبيدة أن «منشم» اسم وضع لشدة الحرب، وليس ثم امرأة.

وأما الذين يرون أنها امرأة فقد اختلفوا هل هي من خزاعة كانت تبيع عطراً في مكة، وكانوا يشترون منها كافوراً لموتاهم كما في رأي أبي عمرو الشيباني، أم أنها امرأة الوجيه الحميري على قول ابن الكلبي^(٢٣٨).

هذا الاختلاف في المرأة، وفيما تفعله، وفي سبب التسمية يوسع دائرة السياق الاجتماعي الذي تنتمي إليه الحكاية، فبدلاً من أن يكون في مكة، وهي قريبة من البيئة التي تتحدث عنها الأبيات، إضافة إلى قربها من المكان الذي أقسم به الشاعر، يدخل في هذا السياق اليمن، وهي بعيدة نسبياً عن تلك البيئة. هذه السعة تعني أن المرجع الاجتماعي الذي يعرف هذا المثل الذي استعمله الشاعر أوسع من البيئة الأولى، وهو ما يعطيه سنداً دلالياً أوسع مما كان عليه من قبل، ويوسع دائرة الفعل الاجتماعي في الموقف من الحرب التي يذمها، باعتبار أن المجتمع قد أجمعوا على ذم الحرب حين جعلوها مربوطة بهذه المرأة المشنومة، الأمر الذي يعني أنه لا يأتي منها إلا الدمار.

على أن حديث أبي عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة الذي ينفي أن تكون منشم امرأة، يبعد السياق الاجتماعي من المعنى، ويركزه في النص، ويجعل الاستعمال لـ «عطر منشم» استعمالاً لغوياً صرفاً، يدخل في باب الاستعارة حين جعل للشعر عطراً، عوضاً عن أن تكون في باب الكناية كما في التفسير الأول. وهو وإن كان يفصلها عن السياق الاجتماعي الذي قيلت فيه القصيدة فهو يشبه ما قلناه عن «البلية العمياء»، من أنه يفتح النص للتفسير اللغوي المطلق.

وقد يتسع القول في هذا السياق لأن يصبح أكثر ما يعتمد عليه الشرح بأن يكون هو المرجع الوحيد الذي يحيل إليه الشرح، وذلك في كتب النقائض حيث يكثر الحديث عن أنساب العرب، وأيامهم، فيقع كل شاعر في الآخر يعرض للمثالب وما قيل فيها. كما في نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي نجد فيه الشرح يتمثل ببعض الوقوف عند المفردات في حين أن أغلب التعليقات تتصل بما ذكر من قبل^(٢٣٩)، وهو ما يعني أن القيمة العلمية لهذه الشروح تتمثل بهذه السياقات، وكذلك الأشعار عند جامعها.

نجد هذا في بداية ديوان النقائض حيث يفتح الكتابة بحكاية يقص فيها بداية النقائض بين جرير والفرزدق، ثم يسترسل بالحكاية التاريخية إلى أن يذكر استغاثة بني سليط بحكيم بن معية، وما تلاها حتى يشعر القارئ أن الحكايات هي الأصل، وأن الشعر إنما جاء به شواهد على تلك الحكايات، فالمؤلف يربط القصائد بعضها ببعض من خلال السبب الذي قيلت فيها كل قصيدة بوصفها استجابة لدافع سابق، ورداً على قصيدة قيلت في التيار الذي ينتمي إليه، ومن هنا تتربط القصائد والمقطعات في حكاية واحدة اسمها النقائض، وفي هذه النقائض يتحدث عما ورد فيها من أخبار، يستطرد بعدها إلى ما حدث من أيام؛ مما يمثل مجتمعاً سياقاً تاريخياً للقصائد التي قيلت، وللنقائض بوجه عام بوصفها قد نتجت عنها أو أدت إليها، وبوصفها -النقائض- مكوناً قد تكون من هذه المعلومات بالإضافة إلى القصائد بناء على أن المعلومات هي جزء منها لا يقل أهمية عن الشعر، وهو ما يجعل السياق الاجتماعي جزءاً مكيناً من النقائض بمعنى الكتاب المؤلف أو ما سماه الناشر بـ «ديوان النقائض».

كما نجد ذلك في شرح محمد بن حبيب لديوان جرير حيث نجده يفصل في الحديث عما يرد في الشعر من معارك، أو ثارات. ففي قول جرير:

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقبه عليك وبالا
 حملت عليك حماة قيس خيلها شعثا عوابس تحمل الأبطالا
 ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكرر عليكم ورجالا
 زفر الرئيس أبو الهذيل أباركم فسبى النساء وأحرز الأموال^(٢٤٠)

يتحدث عن يوم «الكحيل» بالتفصيل، وأسبابه، ومن كان أطرافه، ثم من انتصر فيه، ومن لم ينتصر، ومن قتل أو فر، وهي معلومات دقيقة عن هذا اليوم، لا يستدعيها شرح البيت، وبيان معناه بقدر ما يتطلبها إنشاء سياق تاريخي/اجتماعي يركز عليها البيت، ويمثل فضاءً نصياً يعود إليه، وهو ما نجده في كثير من تفصيلات الشارح عند الحديث عن إشارات جرير إلى الأيام التي دارت رحاها بين القبائل^(٢٤١).

ويظل تأثير هذه الحكايات والأخبار المتصلة بالأبيات قائماً في الشرح حتى فيما سمي بالشروح الفنية من مثل شرح المرزوقي والتبريزي، وربما كان هو الأصل في الشرح حتى يشعر المتلقي بأن الشارح قد حول البيت إلى إعادة صياغة للحادثة التاريخية.

كما في شرح المرزوقي لأبيات الحماسة السابقة، وكما في شرح التبريزي لقول أبي تمام:

حتى إذا أخذ الفراق بقسطه منهم وشط بهم عن الأحباب
 ورأوا بلاد الله قد لفظتهم أكنافها رجعوا إلى جواب

فكلام التبريزي تفصيل للحادثة التي يشير إليها البيت، وإيضاح لها، بوصفها المرجع التاريخي الذي يحيل إليه أبو تمام دون أن تتضمن الأبيات قيمة أخرى.

يقول المرزوقي: «يعني بني جعفر بن كلاب، كان قد وقع بينهم وبين قومهم، بسبب أن غنيًا قتلت رجلًا منهم، فقعد بنو أبي بكر بن كلاب عن نصرتهم، بل أعانوا عليهم. فيقول: لا تفعل أنت بقومك ما فعله أولئك بهم، فارتحلوا عن بلادهم وجاوروا في بني الحارث بن كعب، فلم يحمدا جوارهم، وتهضموهم في بعض الأشياء، فظعن عنهم وهم لا يعلمون، وسارت بنو الحارث في إثرهم فلحقوهم في الموضع الذي يقال له فيف الريح، وهو اليوم الذي فقتت فيه عين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، فرجعت بنو جعفر إلى جواب الكلابي وكان أسود- ويقال له جواب لأنه لا يحفر بئرًا إلا خرقتها عن الماء كأنه يجوبها عنه، وإياه عنت القائلة:

لحا الإله أبا سلمى بفرته يوم النصار وقنب العير جوابا

شبهته بقنب العير لسواده- فلما رجعت إليه بنو جعفر وجدوا عنده ما يحبون، ولما حكموه حمل الدماء وأصلح بينهم. وفي ذلك يقول لبيد:

أبني كلاب كيف تنفى جعفر وبنو ضبينة حاضرو الأجاب
قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونه حتى نحاكمهم إلى جواب»^(٢٤٢)

وإذا نظرنا إلى موقع الحادثة من قصيدة أبي تمام نجده قد جاء بها لحن الممدوح على الصفح، والعفو عن قومه من بني تغلب، مشبهًا له بالجواب الكلابي، حين عاد إليه بنو جعفر بن كلاب بعد ارتحالهم من القبيلة، فأبو تمام يجعل الجواب السيد على بني جعفر، ويجعل بني جعفر قد رحلوا عن القبيلة بطوعهم، وعلى هذا جاءت الحكاية التي سردها التبريزي.

وعلى الرغم من الاختلاف حتى في رواية أبي تمام للحكاية فإنها لا تشبه الواقعة التي يريد أن يوظفها له، فعمل أبي تمام قد يدخل في إطار التوظيف الفني للتاريخ، والاستفادة من رموزه التاريخية، ومرجعياته الواقعية، بيد أن

التزام التبريزي بالحكاية كما جاءت في رواية الشاعر يعد خللاً في الشرح، والاعتماد على السياق التاريخي، حيث نجد في بعض المصادر أن بني جعفر أجبروا على الارتحال ولم يخرجوا بطوعهم، كما نجد أيضاً أنهم قد بغى عليهم بقتل أحد رجالهم من قبل بني ضبينة، ولما أرادت بنو جعفر الثأر تركهم وحدهم بنو كلاب ثم أجبروا أيضاً على الارتحال، وهذا ما أشار إليه لبيد بن ربيعة في الشاهد السابق الذي استشهد به التبريزي.

والأمر اللافت للانتباه أنه في حين يرى أبو تمام في بيت لاحق أنهم عادوا إليه، وأكرم وفادتهم وسعى بالصلح، يرى شارح ديوان لبيد أن لبيداً يهزأ بالجواب حين حكموه، وكأنه أحد الملوك.^(٢٤٣)

وهنا نجد أن الاستناد على السياق التاريخي لا يعني إحضار هذا السياق أو المرجع التاريخي، بوصفه حقيقة واقعة أو مرجعاً تاريخياً، وإنما يحضر ليعزز السلطة التي سعى البيت لينهض بها، وهي إقناع الممدوح فيما يحثه الشاعر إلى الإقدام عليه، وإن كان ظاهره تفصيل الخبر الوارد في البيت، فهو الحقيقة ليس كذلك بدليل الاختلاف المشار إليه، وهذا يدفعنا إلى السؤال لماذا اكتفى الشاعر بالاعتماد على السياق التاريخي إذا كان لن يلتزم به في الشرح؟ فقد كان الأولى أن يركز في الشرح على عناصر أخرى كما فعل عند قول أبي تمام:

فأتوا كريم الخيم مثلك صافحاً عن ذكر أحقاد مضت وضباب^(٢٤٤)

على أن هذه السياقات تتداخل فيما بينها، فالسياق اللغوي يتداخل مع السياق الدلالي، باعتبار أن اللغوي شرح للكلمات، كما أنه يحتوي عدداً من الشواهد الشعرية على صحة معنى اللفظة، وهو ما يؤكد تلك الدلالة، في الوقت الذي يكون السياق الدلالي اجتماعياً لأنه يربط البيت ببيت آخر له مناسبة خاصة، وسياق مختلف.

بيد أنني قد اخترت أن أجعل شرح الألفاظ والحديث عنها خاصاً بالسياق اللغوي، وأجعل الربط بين المعاني، والأبيات التي وردت فيها سياقاً دلاليّاً لأنها تربطه بمعنى متكامل، على خلاف شرح الألفاظ الذي كان يعنى بالمعنى الجزئي للفظة، فهي مادة خام تحتاج من يركبها مع الألفاظ الأخرى، وهو ما لا يتوافر بالمعاني التي قد صيغت وكونت من لدن الشاعر ثم الشارح.

في حين اعتبرت الأخبار والمعارف المتصلة بالقبائل وأيام العرب، أو في مناسبات القصائد، والأجواء التي قيلت بها من السياق التاريخي لأنها ليست دلالة متصلة بالأبيات بقدر ما هي متصلة بحادثة تاريخية يتحدث عنها البيت أو يشير إليها، والوقوف عندها لا يتصل بفهم البيت وإدراك معناه، بقدر ما يتصل برغبة القارئ على معرفة جزء من تاريخ العرب الذين ينتسب إليهم الشعر، وقد يكمل المعنى، والفهم دون الحديث عن هذه الأخبار والمعارف، أو التفصيل فيها.

الشرح والاحتجاج:

يقوم الشرح على افتراض أنه يبين معنى المادة المشروحة، ويسعى لإثبات هذا المعنى، وتأكيد صحته من خلال البحث في الحجج التي تؤكد ذلك، إضافة إلى أن الشارح أحياناً يسعى لإثبات صحة المعنى الذي ذهب إليه الشاعر، وهو ما يعني الاحتجاج له، مما أكدّه أبو هلال العسكري عند تعليقه على أحد أبيات أبي نواس بقوله: «ومثل هذا الكلام مردود، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له، والتحسين لأمره، وهو بترك التداول أولى، إلا على وجه التعجب منه ومن قائله»^(٢٤٥).

في هذا النص يبين العسكري أن الشراح، والنقاد يحتجون عن الشعراء، ويسعون إلى تسويغ المعنى وتأكيدّه، وهذا يعني أن الاحتجاج في الشرح يأتي على وجهين:

الاحتجاج لصحة المعنى الذي يقوله الشاعر وبيان قيمته:

يشرح الشراح البيت، فيعيدون صياغته، وهذا يجعلهم في صف واحد مع الشعراء الذين ابتكروا المعاني، حيث يمثلون وسيطاً بينهم وبين القراء، وهو ما يحملهم مسؤولية القيام بهذه الوساطة، كما يحملهم مسؤولية قبول المعنى الذي اقترحوه أو رفضه، لاسيما، وأنهم من اختار النص المشروح، مما يعني أنه يستحق القراءة والدراسة، وأن ما يتضمنه من معان ذات قيمة كبيرة. وهو ما يجعل شرحهم متضمنا الاحتجاج لمعاني الشاعر، وتأكيدها بما يحقق ذلك.

الاحتجاج لتأكيد صحة الشرح، والمعنى الذي يقترحه الشارح:

يقدم الشارح شرحه للبيت من خلال مكوناته اللغوية. الأمر الذي يجعله صانعا للمعنى، ومستخرجا له بعيدا عن الاعتماد على قول الشاعر، أو رواية عن عالم سابق، وهو ما يجعله المصدر الأول في تحديد المعنى، والحكم عليه. وهذا يجعله يحتاج إلى ما يسند به هذا الرأي، أو الفهم للبيت خاصة حينما يكون معنى البيت غريبا غير واضح، ليس مما طرقه الشعراء قبله، واعتادوا أن يقولوه، أو يكون هناك خلاف في تحديد المعنى مما يسمى بالمعاني المشكلة^(٢٤٦)، الأمر الذي يجعل الاحتجاج أمرا لازما، ويجعل الحجج في تحديد المعنى تتقابل، وهو ما يعني أن هذه الحجج لا بد أن تكون قوية دامغة حتى تثبت صحة ما ذهب إليه الشارح في مقابل آراء الشراح الآخرين خاصة في القصائد، والدواوين التي يكثر شراحها، وتختلف حولها آراء.

أنواع الحجج:

اعتمد الشراح أدوات لتأكيد رأيهم في المعنى، وللاحتجاج على صحته، يمكن أن نعدّها أنواعا من الحجج، وحضورا للاحتجاج في كتاباتهم. وهذه الحجج تقسم على النحو التالي:

الاحتجاج بالرواية:

يذهب كثير من الشراح إلى الاعتماد على الرواية عن سبقه من العلماء لتأكيد ما ذهب إليه من القول، فالاستناد على الأقوال السابقة، وآراء العلماء السابقة تعد لدى الشراح حجة قوية يصح الاعتماد عليها في سند الرأي، بناء على أن هذا القول يستمد قوته من الشخص المعتبر الذي قاله.

وقد أشار أرسطو في معرض حديثه إلى أن اعتماد الخطيب على الآراء المنقولة من الذين لهم قبول لدى الناس يقوي حججهم، ويقنع السامعين أكثر من غيرهم، ولذا نصح الخطباء أن تكون الآراء المنقولة مأخوذة عن «أولئك الذين يحكمون أو من أولئك الذين يقبلون سلطتهم»^(٢٤٧)، وهو يعني أن تضمين الكاتب لأقوال غيره هو نوع من الاستفادة من سلطته في النفوس أو في المجتمع لدعم ما ذهب إليه وتوكيده.

يقول ابن الأنباري في شرح كلمة «خلفة» الواردة في بيت زهير بن أبي سلمى: «قال يعقوب في قوله «خلفة»: معناه إذا مضى فوج جاء فوج آخر»^(٢٤٨)، فالمعتمد في شرح الكلمة هو قول يعقوب، والمؤلف يرى أن هذا كاف لإثبات صحة المعنى. وهو ما يتكرر في الشرح كثيراً، كما في شرحه لقول عنتره الذي مر ذكره في الحديث عن السياق، وفيه يشرح ابن الأنباري البيت بقوله: «كأنما بركت على زمر. والمعنى أنها بركت فحنت، فشبه صوت حنينها بصوت المزامير». هذا القول مروى عن سبقه بدليل أنه يورد بعد ذلك شرحاً آخر ينسبه لابن الأعرابي: «أراد أنها بركت على موضع قد نضب ماؤه وجف أعلاه وصار له قشر رقيق، فإذا بركت عليه سمعت له صوتاً لأنه ينكسر تحتها».

هذان قولان مختلفان بشرح بيت واحد، غير أن ابن الأنباري يميل إلى الأول، وهذا واضح من أنه أورده في بداية الشرح كونه المعنى المختار، في حين آخر هذا المعنى إلى آخر الشرح، وهو ما يؤكد احتجاجة على صحة هذا المعنى.

بالقول: إن أبا جعفر يقول بالقول الأول، وينكر الثاني، ويقول: «لا أعرفه في قول ابن الأعرابي»^(٢٤٩). فالاعتماد على رواية أبي جعفر، ونفي الرواية الأخرى المنسوبة إلى ابن الأعرابي هي الحجة التي يعتمد عليها الشارح في إثبات المعنى، وفي ترجيح واحدة على الأخرى بوصف هذا كافياً في إقناع المتلقي بصحة المعنى، وهذا يعود إلى ما أشرت إليه من قبل أن الشراح القدماء اعتبروا أن المعنى مروى كما هو النصوص نفسها.

وقد تكون الرواية عن عالم سابق، أو عن الشاعر نفسه، بأن يحيل الشارح على قوله، أو على رأيه باعتباره هو الفصل في ذلك كما نجد في إحالات ابن جني على المتنبي حين يقول: «هكذا حصلته على المتنبي، وهو صواب صحيح»^(٢٥٠). وتكون هذه الروايات عن الشعراء أو من يقترب منهم ذات قيمة كبيرة في إثبات المعنى وإقناع المتلقي كما في الحكاية التي رواها صاحب الفهرست في شرح أبيات لجريز، وفيها أن المبرد كان يقرأ أبيات جريز على عمارة بن عقيل بن بلال بن جريز، فسأل عمارة عن قول أبي عبيدة في شرح البيت، فضحك حين سمع الشرح، وأنكره. فقال الثوري للمبرد: أكتب ما قال، وحين تردد المبرد إجلالاً لأبي عبيدة وعلمه بناء على أنه هو الذي شرح الشعر، فقال الثوري: «اكتب، فإن أبا عبيدة لو حضر لأخذ هذا الضرب عنه. هذا بيت الرجل»^(٢٥١).

فمصدر قوة رواية بلال بن عقيل أنه من بيت الرجل، وهذا يعطيه الحجة القاطعة في معرفة معاني الشاعر أكثر من غيره من الرواة والنقاد، عند الثوري، وهو ما يقنع المتلقي، ويقطع شكوكه حول صحة المعنى، وكأنها هي القول الفصل في المسألة. كما يؤكد ما قيل أيضاً عن أن الرواية هي المستند الأول في إثبات المعنى، وتأكيده، وقطع شكوك القارئ، وحججه حول معنى آخر.

ولأن الشراح يشعرون بقوة هذه الحجة في إثبات المعنى، فإنهم يعمدون أحياناً إلى الرد عليها، من خلال إنكار صحتها، والطعن في ثبوتها، بناء على

أن هذه هي الحيلة الوحيدة التي تمكنهم من رفض ما فيها من معنى، كما في الحكاية المنسوبة لابن فورجة حين قرأ كلاماً لابن جني عن قول المتنبي:

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحد فوقني ولا أحد مثلي

ونسب ابن جني هذا القول إلى المتنبي، إلا أن ابن فورجة الذي لم يعجبه كلام ابن جني عن البيت لم يكن منه إلا أن قال: «أحلف بالله العلي إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت فأجاب هذا الجواب الذي حكاه ابن جني وإن كان إلا متزيدياً مبطلاً في ما يدعيه، عفا الله عنه وغفر له، فالجهل والإقرار به أحسن من هذا»^(٢٥٢).

فابن فورجة يرفض الرأي الذي ذكره ابن جني، ومع رفضه ذلك، فإنه يرى أن نسبة مثل هذا الرأي إلى المتنبي ضرب من المحال، وهذا المحال لأنه لا يوافق عليه، ونظراً لأنه من الصعب أن يتهم المتنبي بعدم الفهم، أو أن يظهر للقارئ أنه يخالفه بعد أن استند عليه ابن جني في شرحه بوصفه الحجة الدامغة فإنه ينسب ابن جني إلى الكذب والادعاء ما لا يصح لجهله بالشعر.

الاحتجاج بالشواهد:

مثلت الشواهد ظاهرة واضحة في الشروح، حتى أصبحت جزءاً مما يحرص الشراح عليه في بناء شروحهم، وقد سبق وأن تحدثت من قبل عن الشواهد في الشروح، وذكرت اختلاف الشراح في موقفهم منه، إلا أن الأمر الأكيد الذي لا يمكن أن نتجاهله هو أن الاستشهاد كان جزءاً من الاحتجاج على صحة ما ذهبوا إليه سواء في تحديد معنى البيت، أو ترجيح الاختيار الذي اختاروه، وبناء على تقسيم أرسطو للحجج يمكن اعتبارها من الحجج الغير صناعية، التي تدل على صدقية القضية دون جهد من المتحدث أو إعمال عقل^(٢٥٣).

ومهما يمكن من قول، فإن الاعتماد على الشاهد بالاحتجاج هو نوع من استدعاء القول السابق ليضمنه قوله اللاحق، فهو نوع من التوظيف، والاستعمال في بناء القول الجديد، أو نوع من التملك للقول السابق المستشهد به^(٢٥٤)، لتقديمه وفق سياق أدبي وعلمي مختلف، يصبح جزءاً منه، يسهم في بناء السياق الجديد، ويتحمل من خلاله معنى وقيمة جديدة. وهذا يعني أن الحجة هنا تتضمن وجهين: الوجه الأول: الشاهد بوصفه حجة على القضية السابقة، والثاني: أن القول السابق أجمع، وصاحبه بما يمثل من سياق وثقافة كاملة، تكون حاضرة في تكوين الخطاب الجديد، فتزيدها إقناعاً وأهمية لدى المتلقي بوصفها قد أصبحت جزءاً منه بما تمثله من قيمة في ذهنه، وكأنها شهادة على صحة القول الوارد هنا بناء على تضمنه هذه المعاني سواء كان مستشهداً بها، أو يرودها للمناقشة والاختلاف، فإن اطلاع الكاتب على من سبق من أقوال، ومحاورته العلماء أو الشعراء السابقين تجعله في مصافهم، واحداً منهم، وهو ما يزيد ثقة المتلقي به، وقبولاً لرأيه، الأمر الذي يؤكد ما أشير إليه من قول أرسطو السابق عن أهمية اختيار من ينقل منه، ممن يكون ذا قبول لدى المتلقي، وذلك لقدرته على الإقناع، وتأثيره في نفوس المتلقين، وأهميته في تدعيم القول المكتوب.

كما أنه يدخل في التمثيل^(٢٥٥) الذي يعني اختيار مثل يناسب الشاهد المذكور، أو حالة تشبه القضية المطروحة يثبت من خلالها صدق النموذج المباشر، وقد أدخله أرسطو في الاستقراء، وعنده أن المثال يحول قضية خاصة إلى قضية تعبر عن العام^(٢٥٦)، فهو يحول الحالة الخاصة إلى قاعدة عامة^(٢٥٧)، وهو ما يجعله صالحاً لاستنتاج النتيجة وهي المستشهد عليه.

في حين يرى بعض الحجاجيين أن حجية المثال تقوم على التشابه «باعتبار أنها تظهر علاقات جديدة بين الأشياء لم تكن قائمة أو كانت خفية، تشابه بين

المواقف يؤدي إلى تشابه في النتائج»^(٢٥٨)، وهو الجانب الآخر لحجية المثال عند أرسطو^(٢٥٩) إضافة إلى ما سبق قوله في حجية المثال من قبل.

وفيما يتصل بالقضية الأخيرة يمكن أن نورد قول ابن الأنباري عند شرحه لكلمة «خلفة» في شعر زهير بن أبي سلمى؛ وذلك أنه بعد أن أورد قول يعقوب السالف الذكر قال بعده: «الدليل على صحة هذا عندي» قول الله - عز وجل - : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾^(٢٦٠)، فالآية القرآنية هنا حجة على صحة ما ذهب إليه يعقوب في الشرح، وقد قدمها على الأقوال الأخرى التي نقلها مما يعني أنه يرجحها على سائر الآراء.

والشواهد منها ما يكون من القرآن أو الحديث، ومنها ما يكون من الشعر، وهو الغالب، كما أن جزءاً منها يحتج به على صحة استعمال مفردة، أو معنى مفردة كالمثال السابق، ومنها ما يحتج به على معنى في البيت، وذلك أن يكون غريباً يبعث على السؤال لكن له شواهد كما في شرح التبريزي لقول أبي تمام:

ضربت به أفق الثناء ضرائب كالمسك يفتق بالندى ويطيب

يقول التبريزي: «ويفتق» من قولهم فتقت المسك بغيره"، ثم يقول: «وهي كلمة معروفة قديمة، قال الراعي:

لهافأرة ذفراء كل عشية كما فتق الكافور بالمسك فاتقه»^(٢٦١)

فالشارح يحتج بقول الراعي على صحة هذه المقولة أيضاً، وعلى أنها معروفة من قبل، وكثير من الاحتجاج بالاستشهاد يكون خطاباً للمضمر الرد على ما يتوهمه المتلقي أن الاستعمال جديد، وربما خاطئ، فيأتي الشاهد لإثبات صحة المعنى وأنه معروف من قبل.

كما في حديث الشراح عن وصف أبي تمام للمرأة بأنها «جنية الأبوين»؛ إذ إن هذا الوصف بعيد عما تعارف عليه العرب، لا يمثل شيئاً جيداً، بناء على

أن الجن يلحق بهم أشياء كثيرة ليس منها الجمال، وهذه المرأة - كما يقول الشاعر - تشبه الجن في كل شيء إلا نسبها، هذه الغرابة جعلت بعض الشراح يستشهدون به احتجاجاً لأبي تمام، فبعد قول المعري: إن العرب إذا وصفوا الرجل السيد قالوا هو ابن جنية، يستشهد بقول حاتم الطائي:

بنو جنية ولدت سيوفاً صوارم كلها ذكر صنيع

كما يورد ابن المستوفي بيتاً آخر يصف فيه الشاعر المرأة بأنها جنية:

جنية أولها جن تسلمها رمي القلوب بسهم ما له وتر^(٢٦٢)

فإيراد الأشعار التي تؤكد صحة هذا الوصف مع غرابته، يعني أنه جيء بها للاحتجاج بها على صحة المذهب.

وكثيراً ما يكون الاحتجاج بالشواهد على صحة استعمال اللفظة في الموضع الذي استعمله الشاعر، ففي قول أبي تمام:

لها من لوعة البين التدام يعيد بنفسجاً ورد الخدود

أثارت كلمة «التماد» في هذا الموضع كثيراً من الجدل، والنقاش حول صحة استعمالها، إذ أخذ عليه بعض النقاد استعمال هذه اللفظة للحديث عن ضرب الخدود في حين أنها تستعمل في ضرب الجيوب، فالالتماد هو ضرب الصدور في حين أن ضرب الخدود هو اللطم.

في حين رأى ابن المستوفي أن «اللد» باللغة هو الضرب، واحتج على ذلك بقول الشاعر:

وللفؤاد وجيب عند أبهره لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

الذي جعل ابن فارس يرى أن التدام النساء ضربهن وجوههن بالنيابة، الأمر الذي أوصل ابن المستوفي إلى القول إنه «لا اعتراض على أبي تمام، ولا تسامح في استعماله؛ لأنهما ذكرا اللد للوجه أيضاً»^(٢٦٣).

وقد يكون على المعنى نفسه، وعلى توجيه البيت كما في شرح قول أبي تمام:

بيد لنسل العيد في أملودها ما ارتيد من عيد ومن عدواء

فكلمة «عيد» في الشطر الثاني تعني عيد الأيام، وقد تعني ما يعتاده الإنسان في أيامه، ويحتج أبو العلاء المعري على صحة معنى الثاني بقول الشاعر:

يا عيد ما لك من شوقي وإبراق^(٢٦٤)

ويبدو أيضًا الاحتجاج بالشاهد في قول التبريزي، وهو يشرح قول أبي تمام «الفأل برحا»، حين أورد الأقوال في معنى «السانح»، و«البارح»: «وربما وجد في شعر الرجل الواحد ما يدل على أنه يتيمن بالسنيح مرة ويتشاءم به أخرى»، إذ أورد قول أبي ذؤيب الهذلي: «زجرت لها طير السنيح»، وهذا على سبيل التطير، وقوله أيضًا «أزجي لحب الإياب السنيحا»، وهو في ضد الأول^(٢٦٥).

وقد يكون الاحتجاج على تركيب العبارة إما بالصفة أو بالإضافة، كما في قول أبي تمام:

وله إذا خلق التخلق أو نبا خلق كروض الحزن أو هو أخصب

فقد تساءل الشراح عن سبب اختيار روض الحزن دون غيره، فذكر بعضهم لبعدها من وطء الراعية، واحتجوا بقول كثير:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثائها وعرارها

وقال القطامي:

فما ريح روض ذي أقاح وحنوة وذي نفل من قلة الحزن عازب^(٢٦٦)

فالشاعر يخص «روضة الحزن» هنا لأنها أخص من سواها، وذلك لبعدها كما في الشواهد اللاحقة. وهذا السؤال سؤال نقدي طرحه النقاد القدماء على «وحش وجرة»، هل كان أحسن من سواه، ولماذا خصه الشعراء بالوصف.

وهذا الاحتجاج احتجاج للشاعر، واحتجاج للعلّة التي ذكرها الشارح، وإن كان هناك علل أخرى سنذكرها فيما بعد.

كما يأتي الاحتجاج على صحة المعنى؛ بمعنى أنه احتجاج للشاعر كما في قول أبي هلال العسكري السابق، وهذا نجده عند ابن جني، وهو يحتج لصحة قول المتنبي:

يشكو الملام إلى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه

فإسناد الفعل هنا إلى الملام عند الشارح أمر غريب، ويحتاج إلى احتجاج، وقد جاء الاحتجاج عن طريق إيراد شواهد، ورد فيها الأسلوب نفسه، فأورد عددًا منها، فأتبع الشاهد الأول بالقول:

«فجعل لها أيدياً، وأنامل؛ استعارة وتصرفاً في القول»، وقال بعد أن أورد الشواهد: «وهذه كلها استعارات، وهي أكثر من أن أحصيها لك»^(٢٦٧). فالاحتجاج هنا قائم على أن إسناد الفعل إلى غير عاقل، وهو ما يظن القارئ يستغربه، موجود بكثرة في لغة العرب بدليل هذه الشواهد، والاحتجاج هنا على الاستعارة.

وفي موضع آخر يحتج للمعنى الذي استعمله الشاعر؛ فحين يصف المتنبي سيف الدولة بأنه ملك السماء، وهو ما يمكن أن يعد مبالغة مذمومة، يحتج له بأن هذا المعنى قد سبق إليه من الشعراء، فيورد قول الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وحين يصفه بأنه «ملك القلوب»، يحتج على هذا بأنه سبق وأن قال هذا المعنى في مواضع أخرى، فيحتج على صحة المعنى بوروده الكثير في شعره، وأنه وصف سيف الدولة بأنه «حبيب» على الرغم من أن هذا مخالف لما توصف به الملوك، فقال:

فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم^(٢٦٨)

ومثل ما جاء فيه الاحتجاج للشرح؛ أي أن الشارح يحتج على صحة ما ذهب إليه من معنى بالاعتماد على أبيات أخرى من أبيات الشاعر، حيث يكون المعنى في الشاهد الآخر أكثر وضوحاً، من مثل قول ابن جني عن قول المتنبي:

ما الخل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه

يقول ابن جني: «ومعنى البيت: ليس لك خل غير نفسك، فلا تلفت إلى قول أحد قال: إنني خليل لك، أي: قد فسد الناس. وهذا كقوله أيضاً:

خليلك أنت لا من قلت خلي وإن كثر التجميل والكلام

والذي دفع أبا الفتح إلى القول بهذا المعنى استحالة انطباق الوصف الذي ذكره المتنبي عن الصديق - في رأيه - فهو لا ينطبق إلا على النفس، ولأن هذا المعنى الذي ذهب إليه - أبو الفتح - ظني، فقد احتاج الاحتجاج على صحته بشاهد شعري من شعر الشاعر نفسه ليدل على أن المعنى متداول معروف، وهذا ما يؤكد أنه يقدم اقتراحاً آخر في معنى البيت، لا يذكر فيه النتيجة الأخيرة للمعنى، ويكتفي بمستوى الشرح المباشر دون ما يمكن أن يلزم منه كما في رأيه، فيقول: «ويجوز أن يكون المعنى ما الخل إلا من لا فرق بيني وبينه، فإذا وددت فكأنني بقلبه أود، وإذا رأيت فكأنني بطرفه أرى، أي: إنما يستحق خلاً من كان منك بهذه المثابة»^(٢٦٩).

واللازم الذي نص ابن جني على أنه المعنى لا شيء يثبته، ولو كان هناك ما يثبته لاستشهد به ابن جني، والمعنى الثاني المتضمن عدم استحالة وجوده أظهر، وهو تعريف للصديق والحبيب متداول قبل المتنبي، ومعروف. بل إن أبا الطيب يكاد يكون قد أخذه من الحديث القدسي المشهور: «فإذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي

يمشي بها" (٢٧٠)، وهو حديث، ومعنى مشهور عند المتصوفة، وقد حوره الشاعر ليجعل الأفعال أفعاله بعد أن كانت لله، عز وجل. وهو أيضًا مشهور في تعريف أرسطو للصدقة فيما ذكره أبو حيان التوحيدي حين سئل عن الصديق، فقال: "إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك" (٢٧١). فهذا يعني أن المتنبي قد أخذ هذا المعنى في وصف الخل ممن سبقه، وهو تعريف مشهور: الأمر الذي يعني أن ما استنبطه ابن جني ليس من وحي النص، وإنما من معرفة الشارح بشعر الشاعر، وأن هذا المعنى قد مر في شعره. الأمر الذي جعله ينصرف إليه ويرجحه مع أنه لم ينف المعنى الآخر.

الاحتجاج باللغة:

يحتج الشراح في صحة ما يذهبون إليه من معنى، أو في تأكيد صحة قول الشاعر، بأن هذا هو ما اعتاد الناس أن يتكلموا، أو هذه طريقة القوم في الكلام، وهو ما يمكن أن نسميه بالاحتجاج بالعادة اللغوية. وهذا قريب من فكرة الشاهد اللغوي، لكن الشاهد اللغوي لا يبين وجه الاحتجاج به سوى المحاكاة والمباشرة، بخلاف النص على أن السبب هو اعتيادهم على ذلك، وورودهم في كلامهم. كقول ابن جني حينما شرح قول المتنبي:

وبمهجتي يا عاذلي الملك الذي أسخطت أعذل منك في إرضائه

بتقدير «إنساناً» قبل عاذلي، ولأن هذا التقدير غريب فقد سعى ليحتج له، ويستشهد عليه، وبعد أن أورد قول الشاعر:

تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

قال: «أي: تركتني إنساناً ذا غربة، ولهذا نظائر في كلامهم» (٢٧٢)، وهذا التقدير قد لا يكون لازماً، ولكنه يبين لنا الحجة التي يعتمد عليها الشارح في تسويق هذا الاستعمال، وهي الحجة القائمة على العرف اللغوي.

ومثل هذا أيضًا الاحتجاج للمتنبّي في استعاراته، باعتبار أن هذا الاستعمال للغة مغاير لما يعقله الإنسان في الموجودات، إذ يرى أنه مخالف لطبيعة الأشياء كأن يصف الملام بأنه يشكو، وذلك في قوله:

يشكو الملام إلى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه

واللوم - من وجهة نظر ابن جني - لا تصح منه الشكوى، ولا الصد، ثم يقول للاحتجاج لذلك: «وأكثر كلام العرب إذا تفتنت له كذا»^(٢٧٣). ويورد شواهد تؤكد مقولته عن طريقة العرب في الكلام، مما يثبت ما ذهب إليه.

وتظهر هذه الحجة أيضًا عند المعري في توجيه بعض أبيات المتنبّي الذي يبدو فيها استعمال الألفاظ غريبًا، إذ يقول عند قول المتنبّي:

قيامًا لمن يشفي من الداء كيه ومن بين أذني كل قرم مواسمه

إن الكي ليس الكي المعروف، فالعرب قد استعملوه في القديم وكنوا به عن الأمر العظيم^(٢٧٤).

ومثل هذا تسويغه، واحتجابه لأحد الوجوه التي ذكرها لقول المتنبّي:

ضروب وما بين الحسامين ضيق بصير وما بين الشجاعين مظلّم

بقوله: «وما بين الشجاعين مظلّم أي كل واحد منهما قد وقع في أمر عظيم، ومن شأن الناس أن يقولوا: أظلمت الدنيا بيني وبين فلان»^(٢٧٥)، فالحجة هنا أن الناس يستعملون هذا الأسلوب، وهذا الاستعمال هو الذي جعله صحيحًا عند الشارح.

وإذا كان الشارح قد احتج للاستعارة السابقة بأنها طريقة العرب بالكلام، وهو ما يعني أن الشارح لا يدرك البعد الفني للاستعمال، ولا يقف على ما وراءه من سمات، فإنه في مواضع أخرى يستعمل حججًا نحوية صريحة، يبني عليها تأويلًا نحويًا، قائمًا على الصناعة النحوية، يجعلها طريقًا للاحتجاج للشاعر، ولتسويغ

استعمالاته، كقوله في الحديث على قول المتنبي السابق المبدوء بـ «يا عاذلي»، وقد سبقه في الأبيات التي قبله بالحديث عن اللوائيم، إذ انصرف عن الجمع إلى المفرد، فاحتج له بأنه قدر محذوفاً، وهو «من»، فقال: «وإنما جاز ذلك؛ لأنه أراد يا من يعذلني، ومن: تقع لإبهامها للمذكر والمؤنث والواحد والاثنين والجميع، فكأنه قال: يا من يعذلني، أو كأنه خاطب واحدة من العوازل، فقال: يا عاذلي، وأراد: يا إنساناً عاذلي، والإنسان يقع على الرجل والمرأة»^(٢٧٦).

فهذان التأويلان النحويان هما الحجة التي بنى عليها الشارح توجيهه لما يراه خطأً، وحكمه بصحة القول، وهما تأويلان لغويان علميان.

كما نجد ذلك في تفسيره لقول المتنبي:

الشمس من حساده والنصر من قرنائه والسيف من أسمائه

فكلمة «السيف من أسمائه»، قد أثارت الشراح، هل المقصود بتسمية سيف الدولة الاسم فقط، أم الجوهر وهو القدرة على القطع، ولأن الجوهر - من وجهة نظر الشارح - ليس مقصوداً، لأن الحديد ليس اسماً لأحد، فقد رأى أن المقصود هو إضافة الاسم إلى المسمى، أي الأداة المسماة بالسيف، لأن هذا أكمل في المدح، وضرب على هذه أمثلة يظهر فيها إضافة الاسم إلى المسمى لتأكيد هذه الحجة^(٢٧٧).

وفي قول المتنبي:

ما الخل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه

يحتج للمتنبي بقوله «بسوائه» أنه نقل كلمة «سواء» من الظرفية إلى الاسمية، اضطراراً^(٢٧٨)، والضرورة حجة لغوية معروفة في الدرس العربي القديم.

وحين ذهب إلى أن المعنى في قول المتنبي:

تطيع الحاسدين وأنت مروء جعلت فداءه وهم فدائي؟

«أنت مرء مستحق لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه»^(٢٧٩)، احتج بأن جملة «جعلت فداءه» جملة دعائية إنشائية، في حين حق الوصف أن يكون جملة خبرية، والشاعر هنا يدعو وليس يخبر عن أمر حدث من قبل.

ويظهر التأويل اللغوي عند التبريزي، وهو يوجه قول أبي تمام حين جاء على خلاف ما اختاره اللغويون:

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بان بأهل ولم تغرب على عزب
يقول التبريزي: «وأصل ذلك أنهم كانوا إذا أعرسوا بنوا القباب على العرائس»^(٢٨٠) ثم يجعل الباء سببية، فكان قوله: بنى بأهله أي بسببها.

الاحتجاج بالعرف الاجتماعي:

يحتج الشراح على صحة معاني الشعر الذي يشرحونه بما يرونه أمامهم في الحياة اليومية، فابن جني في شرح قول المتنبي:

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت فإذا نطقت فإنني الجوزاء
يقول: «جعل نفسه صخرة الوادي؛ لأن الصخرة إذا كانت في المقر من الماء كان أثبت لها وأصلب من أن تكون على مزلة أو سفح»^(٢٨١).
ويقول في شرح قوله:

يا أيها المجدي عليه روحه إذ ليس يأتيه لها استجداء
إذ إنه اعتبر أن عدم طلب السائل روح الممدوح إعطاء إياه لها، لأنه تعود أن الممدوح لا يرد سائلاً، حتى ولو كانت روحه، ولأنه كذلك فإن عدم طلبها عند المتنبي يعد هبة له إياها،^(٢٨٢) فالعادة الاجتماعية التي اعتادها الناس من الممدوح بأن لا يرد سائلاً، هي الحجة التي سوغت صحة معنى الشاعر على الرغم من سخافة المعنى.

ونجد هذا النوع من الحجج عند أبي العلاء المعري أيضًا إذ يشرح قول المتنبي:

كما يتوقى ريض الخيل حازمه

أن الذي يربط ريض الخيل يتوقاه «لأنه لا يأمن منه أن يضربه بيد أو رجل»^(٢٨٣)، فهذا التعليل مبني على ما اعتاده الناس من الخيول التي تكون هذه صفتها، وليس بناءً على شيء جاء في البيت. وكذلك الأمر عند شرحه لقول المتنبي:

دهم فوارسها ركاب أبطنها

إذ يقول: «وجعل فوارسها ركاب أبطنها، فدل ذلك على أنه يريد السفن لا غير، لأن فرسان الخيل إنما يركبون ظهورها»^(٢٨٤). فكون الفرسان يركبون ظهور الخيل، هو من العادة الاجتماعية التي اعتاد الناس عليها، ولا يمنع أن الخيول تجر العربات التي يكون الفرسان في بطونها، وهنا لا يصبح الفرسان على ظهورها.

وتتجلى هذه الحجة بشكل واضحة فيما نقله التبريزي عن المرزوقي في الرد على من قال إن المعتصم سافر مبارزاً ولم يكتن في الخيام تعليقاً على بيت لأي تمام:

حتى تركت عمود الشرك منعفراً ولم تعرج على الأوتاد والطنب

فقد قال المرزوقي: «ولا أدري كيف استجاز من طريق العرف والعادة أن يكون المعتصم مضى من مقره غازياً إلى عمورية ولم يكتن بالخيام»^(٢٨٥)، فالعادة عند المرزوقي هي الحجة التي اعتمد عليها في رد الشرح السابق، ومنه قدم وجهة نظره في البيت.

ويدخل أيضًا في العرف والعادة الاحتجاج بالعرف الفني الأدبي، فقد أخذ بعض الشراح على أبي تمام قوله:

هيهات! زعزت الأرض الوقور به عن غزو محتسب لا غزو مكتسب

قال أحمد بن عمار: «ومتى رأى خليفة قط وصف بأنه يغزو احتسابًا بغير اكتساب؟ إنما هذا يوصف به المطوعون من الغزاة، ولا أعلم كيف قاده فهمه إلى هذا القول حتى قاله»،^(٢٨٦) فرد عليه ابن المستوفي احتجاجًا لأبي تمام، أنه لا كون مدحًا إلا على هذه الصورة،^(٢٨٧)، فالحجة هنا ليست عقلية كما يسعى ابن عمار، ولكنها فنية، فالاحتساب للأجر أبلغ تأثيرًا في نفوس المتلقين، وفي تكون الصورة التي بناها أبو تمام للعصم بأن الله هو الذي رمى به، وأنه يدافع عن جرثومة الدين والإسلام.

وهذه الأنواع السابقة من الحجج سواء كانت الحجة اللغوية، أو حجج العادة اللغوية أو الاجتماعية كلها تعود إلى ما يعده أصحاب الحجاج من السلطة، فالاحتجاج اللغوي يعتمد على السلطة اللغوية، والاحتجاج بالعرف سواء كان عرفًا اجتماعيًا أم لغويًا هو أيضًا اعتماد على سلطة العرف، والعادة.

الحجج المنطقية:

كان المنطق من أوائل الأدوات التي استعملها المتجادلون لإثبات أقوالهم، ولست بصدد بسط القول في هذه القضية، بيد أن الشراح قد استعملوا المنطق في بناء حججهم لتأييد ما ذهبوا إليه من أقوال ومذاهب. نجد ذلك في شرح ابن جني لقول المتنبي:

يا أيها المجدي عليه روحه إذ ليس يأتيه لها استجداء

إذ يقول: «لا يأتيك من يطلب منك روحك أحد آمنه عليك، لأنه لو طلبها منك لأعطيته إياها»،^(٢٨٨) فهذا القول مبني على الخطأ المنطقية المعروفة وهي:

لا يطلب أحد منك شيئاً فترده، هذه مقدمة كبرى، وروحك شيء مقدمة صغرى، ولو طلب منك أحد لأعطيته إياها نتيجة.

ومثل ذلك أيضاً قول ابن جني عند شرح قول المتنبي:

وشكيتي فقد السقام لأنه قد كان لما كان لي أعضاء

إذ يشرح البيت بقوله: «إنما كنت أحس السقام بأعضائي، فلما فנית وتلفت للضرر والمشقة شكوت فقد السقام»^(٢٨٩)، ثم يحتج لهذا المعنى بخطاطة منطقية يقول فيها: الفاني معدوم، والسقام موجود، فالفناء أعظم من السقام.

ونجد هذا أيضاً للاحتجاج للمتنبي عندما عاب عليه بعض الناس قوله:

ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيل وأنا إذا نزلت الخيام

فقالوا: الخيام تكون متعالية عن فيها، فرد عليهم الشاعر بقوله:

لقد نسبوا الخيام إلى علاء أبيت قبوله كل الإباء
وما سلمت فوقك للثريا ولم سلمت فوقك للسماء

فاحتج المعري له بالقول: «وحجة أبي الطيب في هذا واضحة لأن الخيمة إنما هي خادمة لمن يحل فيها، وتصد عنه حر الشمس»^(٢٩٠)، والتركيب المنطقي لهذه الحجة هو: أن الخدم تبع لمن تخدمه، والخيام تخدم من يحل فيها، فهي إذا خادمة للممدوح، وليست متعالية عليه.

وغالب الحجج المنطقية ناقصة الأركان، تدخل فيما يسميه أرسطو بالقياس المضمّر^(٢٩١)، ويعرف بأنه «تام في الذهن، ولكنه ناقص في التعبير، وذلك لحذف إحدى قضاياه بناء على كونها واضحة ومعروفة جداً»^(٢٩٢)، فالشارح يكتفي بإحدى المقدمتين، الكبرى أو الصغرى، يستنبط منها النتيجة، دون أن يصوغها وفق الصياغة المنطقية المعروفة، مستفيداً من التركيبة المنطقية في تركيب فكرته، وبنائها.

يقول ابن جني في شرح قول المتنبي:

إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

يقول: «إنما يحب هذا لجلالة قدره وسمو أمره، فقد ملك القلوب وملك الأرض» ثم يشرح ذلك بقوله: «إذا كان ملك الأرض والسماء فغير عجيب أن يملك القلوب»^(٢٩٣)، وهذه الرؤية المنطقية للعلاقة بين ملكه للقلوب وملكه للسماء مبنية على الخطاطة التالية: إذا كان قد ملك السماء والأرض، فملك القلوب أمر طبيعي، والركن الناقص في هذا التركيب هو أن ملك القلوب أيسر من ملك السماء والأرض، أو أن القلوب مما في الأرض، فإذا ملك الأرض كان ملكه القلوب أمراً طبيعياً.

ونجد هذا النوع من الحجاج في شرحه لقول المتنبي:

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

إذ يقول: «هو يصرف الدمع إلى حيث يريد، لأنه مالكة، [يعني القلب مالكة الدمع]»^(٢٩٤). وتركيب هذه الحجة أن المالك يتصرف في ملكه، فالقلب يملك الدمع، فهو يتصرف به. والركن الأول وهي المقدمة الكبرى ليست موجودة، ولكنها مقدرة باعتبارها هي الأساس التي تبنى عليها المقدمة الصغرى، وتحقق صلاحيتها، ومصادقيتها منها لكي تؤدي بعد ذلك إلى النتيجة التي جاءت في البيت وبنى عليها الشارح حجته المنطقية.

وغير خاف مما سبق أن غالب الحجج التي يعتمد عليها الشراح هي حجج الشواهد، التي تدخل في إطار ما يسميه أصحاب الحجاج بالحجج المثلية التي تستمد مصداقيتها وقوتها من المشابهة.

الهوامش

- (١) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧)، ج ١، ص ٤، وأبو زكريا التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د.ط، (بيروت: عالم الكتب، د.ن)، ج ١، ص ٣. وانظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، تأليف: فريدخ ديتريشي، د.ط، (برلين، ١٨٦١م)، ج ٣، ص ٣.
- (٢) أبو الحسين بن عبيد الله الصقلي، التكملة في شرح الأبيات المشككة من ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: أنور أبو سليم، الطبعة الأولى، (عمان: دار عمان للطباعة والنشر، د.ت)، ج ١، ص ٢٥.
- (٣) أخذ ابن الأثير «على مفسري الأشعار» اقتصارهم على شرح المعنى، وما فيها من الكلمات اللغوية ونحوها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، (الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٤)، ج ١، ص ٥٢. وقد رد عليه ابن أبي الحديد بأن غرض مفسري الشعر هو الوقوف على مراد الشاعر فقط، وما جاء بعد ذلك من علوم إنما جاءت لتعين على تحقيق ذلك الهدف، وليست لذاتها، بدليل أنهم لم يتحدثوا عن العروض والقوافي والصرف، ولم يكن البحث في البلاغة والفصاحة من العلوم المؤدية إلى ذلك، وهي علوم مفردة قائمة بذاتها. انظر: الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، (الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٤)، ص ٣٦.
- (٤) الحكم بمجايلة أبي علي الحسين الصقلي للأعلم بناء على ما جاء في مقدمة محقق كتابه التكملة وشرح الأبيات المشككة؛ حيث يرى من القرائن المختلفة أن المؤلف في القرن الخامس وكذلك كان الأعلم.
- (٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م)، ص ٤.
- (٦) أبو الحسن الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ٤.

(٧) ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، الطبعة الأولى، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٧)، ص ١٤.

(٨) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠)، ص ٥٣.

(٩) شرح المبرد قصيدة أوس بن حجر التي منها:

لألمعي الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

انظر: الكامل، تحقيق: محمد الدالي، الطبعة الثالثة، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ)، ج ٣، ص ١٤٠٠.

(١٠) انظر: المصدر السابق، ص ٣١.

جعل الدكتور العمري الأقوال المنسوبة لعلماء القرن الثاني الهجري ممن لم تؤثر عنهم كتب في الشرح مجموعة، وتمتلى بها كتب الشروح اللاحقة تنتمي إلى مرحلة ما قبل تصنيف الشروح ويقسمها إلى قسمين: ١- مرحلة الرواة، و٢- مرحلة العلماء المتخصصين. انظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، الطلعة الأولى، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١).

(١١) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ١٠.

(١٢) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، المصدر السابق، ص ٩٧. الشاهد هنا نموذج على الشرح الإجمالي أو شرح المعنى.

(١٣) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٩٠.

(١٤) اختلف الباحثون في تقسيم مراحل الشرح، وتطوره، فيذهب د. أحمد جمال العمري إلى جعل الشراح تسعة أجيال، ويعتبر الأجيال الثلاثة الأولى جيلا واحدا لأنهم عنوا بالجمع والتقييد، ورواية ما قيل عن الشعر فيمن سلفهم، حيث كان جيل الثالث وهو جيل ابن السكيت وثعلب معتمداً اعتماداً كلياً على أقوال الأصمعي وأبي عبيدة اللذين اعتمدا على آراء أبي العلاء، والمفضل. انظر: شروح الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٧، ج ٢، ص ٥٥. في حين يقسم د. أحمد

الودرنى الشرح بحسب الفضاء الذي ورد فيه، فيجعله ثلاثة أفضية: الشرح في فضاء الرواية، والشرح في فضاء النقد، والشرح في فضاء الإحياء والتحديث. انظر: شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/٢٠م (دراسة سانكرونية)، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحد، ٢٠٠٩).

(١٥) القول بأهمية هذه الشروح يعتمد على أمرين: ١- أنها شروح ٢- وقدمها، أما منهج الشرح، وجودته، فهذا لا ينظر له لأن هذه المكونات تحدد نوعه، ولا تنفي كونه شرحاً، وطبيعي كما بينا وسنبين أن الشروح فيما بينها تختلف.

(١٦) أبو عبيد، شرح نقائض جرير والفرزدق، الطبعة الأولى، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨).

يذكر الشراح هنا بأن المقصود بمسمع هنا حاسة عضو السمع وهو الأذن، وأن الأنف هنا هو أول الأذن، والذي يبدو لي أن «مسمع» هو اسم علم، وأن الأنف هنا حقيقة، والجدع على طريقة العرب القدماء، بدليل أنه يقول بعد ذلك: «أقر» والضمير في أقر إما أنه يعود على مسمع، فيكون هو الذي أقر، وإما أن يعود على «المفلس» في البيت الأول، فيكون إذا قطع أنف مسمع أقر بما طلب منه، وبدليل أنه يذكر بعد ذلك أسماء أعلام (الصعاصع، وأبكر)، وهما جمع صعصعة، وبكر، والقول في ضمير «مناه» مثل القول في الضمير المستتر في «أقر».

(١٧) محمد بن حبيب، شرح ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٥٨.

(١٨) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٨١.

(١٩) انظر: المصدر سابق، ص ٩.

(٢٠) أبو العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، الطبعة الأولى، (عمان: دار عمار، ١٩٨٨، ص ٦٠؛ وانظر: ص ٦٥ إذ أورد في شرح البيت ثلاثة أقوال للعلماء قبله، ومعاصرين له.

(٢١) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، راجعه: محمود محمد شاكر، د. ط، (القاهرة: مطبعة المدني، د. ت)، ص ٦.

(٢٢) ابن الأنباري، مصدر سابق، ص ٩٤؛ وانظر: شواهد سابقة منقولة عنه وفيها أمثلة على طريقة شرحه.

(٢٣) أبو الفتح ابن جني، تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريرض الفضل بن الربيع، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، (دمشق: مجمع اللغة العربية، د.ت)، ص ١.

(٢٤) المصدر السابق، ص ٦٩.

(٢٥) أبو الفتح ابن جني، الفسر شرح ابن الجني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق: د. رضا رجب، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الينابيع طباعة، نشر، توزيع، ٢٠٠٤)، ص ٣.

(٢٦) أبو علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٢٥.

(٢٧) أبو زكريا التبريزي، شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه: عبد السلام الحوفي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥)، ص ١٠.

(٢٨) المصدر السابق نفسه.

(٢٩) المصدر السابق، ص ١١.

(٣٠) المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٣١) وللوقوف على بعض الشرح الإجمالي، انظر المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٣٢) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د.ط، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ج ١، ص ٤.

(٣٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣٤) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، د.ط، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م)، ص ١.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٢.

(٣٦) المصدر السابق نفسه.

(٣٧) أبو العلاء المعري، شرح ديوان المتنبي معجز أحمد، تحقيق ودراسة عبد المجيد دياب، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، ١٤١٣)، ص ١٨٢.

- (٣٨) المصدر السابق، ص ٢١٠.
- (٣٩) هذا في الأصل في حين أنه في الحقيقة ليس كذلك لأنه يتجاوز أبيات دون أن يشرحها، أو يذكر شيئاً عنها، وهذا هو حال جميع الشراح، ففي الوقت الذي يعلنون أن كتبهم شرح لكل أبيات النص المختار إلا أنهم لا يفعلون ذلك.
- (٤٠) محمد سعيد المولوي، مقدمة اللامع العريزي، مصدر سابق، ص ٢٩.
- (٤١) أبو العلاء المعري، اللامع العريزي، مصدر سابق، ص ٧.
- (٤٢) انظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ٣-٤.
- (٤٣) المصدر السابق ص ٤.
- (٤٤) المصدر السابق ص ٥٥.
- (٤٥) انظر: المصدر السابق ص ٥٤.
- (٤٦) أبو العباس أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي، كتاب المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: د. عبد العزيز المانع، الطبعة الأولى، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١)، ج ١، ص ١٦.
- (٤٧) يعرف السكاكي التعقيد المعنوي بأنه «أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، حتى يقسم فكرك، ويشعب ظنك إلى أن لا تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصل». مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤)، ص ٥٢٧.
- (٤٨) أبو سهل الزوزني، قشر الفسر، تحقيق: د. عبد العزيز المانع، الطبعة الأولى، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦)، ص ٤.
- (٤٩) انظر: المصدر السابق نفسه.
- (٥٠) انظر: المصدر السابق، ص ٣٨.
- (٥١) انظر: المصدر السابق، ص ٤٠.

(٥٢) انظر: محمد محيي الدين عبد الحميد، الانتصاف من الإنصاف، حاشية كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، د.ط، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت)، ج ١، ص ١٨٨.

(٥٣) على أن الرواة قد يصحفون، فقد روي أن الأصمعي قد صحف قول الحطيئة:

أغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر.

إلى: أغررتني وزعمت أنك لاتني بالصيف تامر

انظر ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٥٤) ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه، وفصله، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجبل، ١٩٨١)، ج ٢، ص ٢٤٨. وفي ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب البيت بعد تعديل خلف الأحمر له، انظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ج ٢، ص ٩٦٥.

(٥٥) ذكر الدكتور ناصر الدين الأسد في فقرة «رواة مصلحون الشعر» عدة شواهد بدل فيها الرواة بعض كلمات الأبيات لأجل أن تناسب ما يعرفونه من قواعد، أو لأنهم يرونه أصح في المعنى ونحوه؛ انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة الخامسة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨)، ص ٢٤١.

(٥٦) انظر: أحمد العمري، شروح الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥٧) انظر: فصل طبقات الرواة في: ناصر الدين الأسد، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

(٥٨) انظر: الكامل، مرجع سابق، ج ١، ص ٩.

(٥٩) انظر: يعقوب بن السكيت، ص ٧٦، وهامش ٢ ص ٧٧، والشواهد على هذا كثير.

(٦٠) انظر: أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، د.ط، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، د.ت)، ج ١، ص ١٠.

(٦١) يعقوب بن السكيت، ص ١١١، وانظر شواهد أخرى أيضاً في ص ٦٠ بيت رقم ٢٢، وبيت ٢٥.

- (٦٢) ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، ص ٦٢، وانظر: البيت رقم ٣٢ في ص ٦٣ حيث روي برفع «الفصيل»، ونصبها.
- (٦٣) المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٦٤) المصدر السابق، ص ٥٧.
- (٦٥) المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٦٦) انظر: المصدر سابق، ص ٤٤، ٤٩، وانظر ص ٧٥ حين يقول في الديوان: وبعد هذا أربعة أبيات ليست في كتاب يعقوب، وانظر: ص ٧٦، ٧٨.
- (٦٧) انظر: المصدر سابق، ص ٦٤.
- (٦٨) انظر: المصدر سابق، ص ٥٩.
- (٦٩) المصدر سابق، ص ٧٩.
- (٧٠) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق، ج ١، ص ٥.
- (٧١) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٧.
- (٧٢) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ١٤.
- (٧٣) المصدر سابق، ص ١٩٢.
- (٧٤) انظر: المصدر سابق، ص ٨٥.
- (٧٥) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣.
- (٧٦) انظر: ابن جني، أرجوزة أبي نواس، مصدر سابق، ص ١.
- (٧٧) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ٤.
- (٧٨) انظر: ابن معقل، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ص ١١.
- (٧٩) انظر: أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨. والآية من سورة الحجر، آية: ٩٤.

- (٨٠) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠.
- (٨١) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٧١-٧٢.
- (٨٢) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٥٦.
- (٨٣) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.
- (٨٤) انظر: أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٧.
- (٨٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.
- (٨٦) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩، ٤٠.
- (٨٧) ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٦٩.
- (٨٨) انظر: المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٨٩) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٥٦.
- (٩٠) انظر: المصدر السابق، ص ٥٧.
- (٩١) انظر: المصدر السابق، ص ٨٥. وانظر أيضا: ص ٦٠-٦٢.
- (٩٢) انظر: أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر السابق، ج ١، ص ١٩٧.
- (٩٣) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.
- (٩٤) انظر: المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٩٥) انظر: ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر السابق، ص ٥٩.
- (٩٦) انظر: أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٣.
- (٩٧) انظر: المصدر السابق. وانظر أيضا شرحه لكلمة «سفاها»، ففي البيت -كما ذكر الشارح- تعني التراب، ولكنه يستطرد بعد ذلك فبمجرد أن يقول: «والسفا في غير هذا» حتى يخرج لإيراد عدد من المعاني كالشوك، والتمر، والزبد، والسفه مع إيراد الشواهد على ذلك. انظر: المصدر السابق.

- (٩٨) انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر السابق، ص ٢٣.
- (٩٩) انظر: المصدر السابق، ص ٢٤.
- (١٠٠) انظر: المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.
- (١٠١) انظر: المصدر السابق، ص ٥٢.
- (١٠٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٦، وممن فصل القول بهذه العادة، وما يعتقده العرب في هذا السياق المبرد في كتابه الكامل، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٥.
- (١٠٣) نشأت الخصومة بين القديم والجديد في القرن الثاني، فكان هناك من يتعصب للقديم، في مقابل من يدعو إلى الجديد ويتمسك به، وأهم من كان يتعصب للقديم طبقة اللغويين والنحاة الذين يجدون في القديم بغيتهم من غريب اللغة، والقدرة على استنباط أحكامها، لأنه المادة التي يهتمون بالشعر لأجلها، ثم انسحب حكمهم هذا على سائر الشعر، وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: "لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته". انظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ص ٩٨.
- (١٠٤) انظر: ابن معقل الأزدي المهلبي، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٢.
- (١٠٥) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠، والشواهد على هذا كثيرة.
- (١٠٦) انظر: الزوزني، قشر الفسر، مصدر سابق، ص ١٨.
- (١٠٧) المصدر السابق، ص ١٩. ننقل هذا الشاهد بغض النظر عن أن الزوزني لم يأت بجديد على ما قاله ابن جني، بل إن شرح ابن جني أعمق، وأجود، فهو يقول: إنه يدعو له بعدم فقد العفاة لأن العفاة لا يقفون إلا عند ملك أو عظيم يرجونه، وفقدهم يعني زوال ما يأتون لأجله، فتفسير ابن جني يرتبط باللوازم والمعنى الثواني، فقريب منه دلالة كثير الرماد على الكرم.

(١٠٨) شرح التبريزي شعر أبي تمام وجمع فيه شرحاً لأبي العلاء المعري، والآمدي، والمرزوقي، والصولي، وأبي علي القالي فكان يذكر البيت ثم يبدأ بأحد هذه الشروح، ويتبعه بالآخرى، وقد يبدأ بكلامه هو ويتبعه بكلام أولئك الشراح إن وجد، وقد تختلف آراء الشراح حول البيت، فيوردها جميعاً وربما انتصر لأحدها دون الآخر، أو قال ما يوحي بميله نحو أحدها دون الآخر، وهو يشبه في جمعه للآراء كتاب «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب» لابن معقل الأزدي بيد أنه جمع أقوال الشراح بعد كل بيت، على خلاف ابن معقل، ولم يعن بالرد عليهم في كل مرة، والوقوف على أفراد كل شارح بجزء خاص، والتعليق على شرحه كما فعل ابن معقل، بالرغم أن ابن معقل يكتفي أحياناً بإيراد رأي شارح من الشراح، وارتضائه في الرد على شارح آخر، وهو ما يعني أن عمله في الحقيقة قريب من عمل التبريزي والفرق يكاد يكون في نظام الكتابة، والتأليف. وذكر الآراء السابقة ومناقشتها والرد عليها حيناً أو قبولها حيناً آخر موجود أيضاً لدى الواحدي، ج ٢/٦٣٧، ٦٣٨ ولكن الفرق أن التبريزي، وابن معقل ذكرا أنهما سيلتزمان ذلك.

(١٠٩) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٢.

(١١٠) هذا الملمح الذي يقوم على تقليب الأفكار، والمعاني من زوايا مختلفة، والكشف أحياناً عن تناقضاتها يتفق مع مذهب أبي تمام في البحث عن الطباق والمقابلة، كما في بائيته المشهورة حيث وقف على الدمار الذي أصاب أنقرة، وعمورية، وما أحدثه هذا الدمار والحريق من فتح ونعماء يعودان على المدينة وأهلها.

(١١١) المبرد، الكامل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢١.

(١١٢) عبد المتعالي الصعيد، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت)، ج ٤، ص ١٢٩.

(١١٣) انظر: ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٣.

(١١٤) الزوزني، قشر الفسر، مصدر سابق، ص ١٦.

- (١١٥) أبو الفتح ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ٥٤.
- (١١٦) انظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٥٠.
- (١١٧) عبد المتعالي الصعيد، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١١٥.
- (١١٨) أبو الفتح ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ١٢١.
- (١١٩) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٩١.
- (١٢٠) أبو الفتح ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ص ١١٨.
- (١٢١) المصدر سابق، ص ٨٧.
- (١٢٢) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٢.
- (١٢٣) انظر: ابن جني، مصدر سابق، ص ٨٧.
- (١٢٤) أبو العلاء المعري، اللامع العزيري شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٢٤.
- (١٢٥) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٤.
- (١٢٦) المصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٠.
- (١٢٧) عبد المتعالي الصعيد، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٢٦.
- (١٢٨) انظر: الواحدي شرح ديوان المتنبي، مصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٣.
- (١٢٩) عبد المتعالي الصعيد، المرجع السابق، ج ٤، ص ١٢٩. وهذا يذكرنا بمفهوم «الأدب المقارن» في المدرسة الفرنسية التي لا تعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعاً من التأثير. انظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م)، ص ١١.
- (١٣٠) ابن معقل الأزدي، المآخذ على شراح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٢.

- (١٣١) المصدر السابق.
- (١٣٢) انظر: شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٥٩-٦٠؛ وانظر: شروح الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٧٢.
- (١٣٣) انظر: ثعلب، شرح ديوان الخنساء، مصدر سابق، ص ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠.
- (١٣٤) انظر: ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥.
- (١٣٥) ثعلب، شرح ديوان الخنساء، المصدر السابق، ص ٢٩٤.
- (١٣٦) ثعلب، المصدر السابق، ص ٢٩٦.
- (١٣٧) يقول: «يرد» يقصد الشاعرة، وذكر الفعل لأنه عنى «القائل».
- (١٣٨) ثعلب، المصدر السابق، ص ٢٣٧، وانظر: ص ٣٤٠، ٣٤١.
- (١٣٩) ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٩٤.
- (١٤٠) انظر: المصدر السابق، ص ١١٩.
- (١٤١) المصدر السابق، ص ٥٨.
- (١٤٢) ثعلب، شرح ديوان الخنساء، مصدر السابق، ص ٣٤٤.
- (١٤٣) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٦٩، وانظر: شببها بهذا عند التبريزي في شرحه لأبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٢.
- (١٤٤) ثعلب، شرح ديوان الخنساء، مصدر سابق، ص ٢٩٧.
- (١٤٥) انظر: المصدر السابق، ص ٣٣٩، وانظر: رواية ابن السكيت عن خالد في شرح قول الحطيئة: هلا غضبت لرحل جارك إذ تنبذ جحاضر، يقول: «جعل امرأة الزبرقان ضبعا» على اعتبار أن «جحاضر» اسم من أسماء الضبع، فقد فهم الشارح أن تنبذ جحاضر للحطيئة، ليس حقيقة، ولكن المقصود تشبيهها بالضبع، أو اعتبارها كذلك؟ انظر: المصدر السابق، ص ٥٦.

(١٤٦) الواحدي، شرح المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٦٩.

(١٤٧) ثعلب، شرح ديوان الخنساء، مصدر سابق، ص ١٥٢. وكلمة: «يقول» على وجه الخصوص، تحتل معنيين: الأول: أن تحيل إلى الشاعر، فالشارح يتحدث عن الشاعر، فيقول: إنه يقول: أو يكون المقصود بها الشارح نفسه، ومن روى عنه الشرح يذكر أنه «يقول». وهذا قائم على طريقة القدماء في إملاء كتبهم، ولذلك تجد راوي الشرح يتبع الشرح الأول بقوله: «قال غيره: يملك أموالهم؛ أي دون أهل الدار الذين يغير عليهم»، وإن كان الراجح أن المقصود بها الشاعر، وأن جملة «قال غيره»، هي استئناف جديد، فكأن راوي الشرح ينقل كلام الشارح، وذلك أنه نقل القول الأول من أحد السابقين عليه، دون أن يسميه باعتباره هو الشرح الأصلي للنص.

(١٤٨) المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٧١.

(١٤٩) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٦٩.

(١٥٠) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٧.

(١٥١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٩.

(١٥٢) انظر: ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٩ هامش ٢.

(١٥٣) وقد ذهب بعضهم إلى تكذيب ابن جني فيما يقول، وينسب إلى المتنبي، فيروى أن ابن فورجة قرأ كلاما لابن جني يشرح فيه بيتا للمتنبي، ونسب فيه كلاما للمتنبي، ثم عقب عليه بقوله: «وأنا أحلف بالله العلي إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت، فأجاب هذا الجواب الذي حكاه ابن جني، وإن كان إلا متزيذا مبطلا فيما يدعيه». ياقوت الحموي، معجم الأدباء إنشاء الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية: بيروت: دار الغرب الإسلامي، (٢٠١٥)، ج ١، ص ٢٦٠. وقد بالغ بعض الشراح القدماء في ذم شرح ابن جني حتى أصبح نقده، والتقليل من قيمته سمة غالب الشراح الذين جاءوا من بعده،

وأول هؤلاء ما قاله الواحدي في مقدمة شرحه عنه إذ قال: «غير أنه إذا تكلم في المعاني تبدل حماره، ولج به عثاره، ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن، ونهضة للغامز والطاعن...إلى أن يقول: ثم انتهى به الكلام إلى بيان المعاني عاد طويل كلامه قصيراً، وأتى بالمحال هراء وتقصيراً». الواحدي، ديوان المتنبي، ج ١، ص ٤. والحققة أنهم بالغوا في ذكر عيوب أبي الفتح، وأخطائه، والتشنيع عليه، بدليل أن كل شارح يخالف من سبقه، ويسعى لأن يأتي بمعنى جديد لم يسبق إليه، ولو كان كلام أبي الفتح خطأ لما كثرت الشروح وتعددت، صحيح أن هناك مواضع يبدو فيها كلامه غير متعمق في الكشف عن المعنى، أو يظهر أنه يلمس المعنى لمسا رفيقا، ولكن هذه حال الشروح كلها، فلا يمكن أن نقف عند كل أبيات الديوان وقوفا عميقا، ويحالفه الصواب في كل حال.

(١٥٤) انظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٩.

(١٥٥) انظر: مثلاً: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٣٠، ٥٦ البيت ٨، ١٠ وص ٦٠-٦٢.

(١٥٦) المصدر السابق، ص ٥٨.

(١٥٧) المصدر السابق، ص ٥٩.

(١٥٨) المصدر السابق، ص ٥٧.

(١٥٩) ابن معقل الأزدي، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٠.

(١٦٠) المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢.

(١٦١) المصدر السابق.

(١٦٢) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٩.

(١٦٣) المصدر السابق.

(١٦٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٧.

(١٦٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

- (١٦٦) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق: السيد محمد رشيد رضا، دط، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢)، ص ٢٠١.
- (١٦٧) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، الطبعة الأولى، (الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٥)، ص ١٨٥.
- (١٦٨) المرجع السابق.
- (١٦٩) المرجع السابق، ص ١٨٨.
- (١٧٠) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٢٠١.
- (١٧١) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مرجع سابق، ص ١٨٩.
- (١٧٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٥.
- (١٧٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٥٤.
- (١٧٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.
- (١٧٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٧.
- (١٧٦) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مرجع سابق، ص ١٨٥.
- (١٧٧) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨٥.
- (١٧٨) انظر: مصطفى ناصف، نظرية التأويل، الطبعة الأولى، (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٠)، ص ٤٠.
- (١٧٩) شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٥٤.
- (١٨٠) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٦.
- (١٨١) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٢.
- (١٨٢) ابن النديم، الفهرست، الطبعة الأولى، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤)، ص ٨١.
- وعند ياقوت الحموي «التوزي» بدلا من «الثوري»، وزاد المحقق بأن «هذا بيت الرجل» زيادة من ابن النديم، والحكاية مصوغة بصورة منظمة، فابن يزيد فيها هو المبرد، وهو يقرأ أبيات جرير والتوزي حاضر، وليس له، وقد نص في الحكاية

- على أن عمارة عندما قال: «ما يقول صاحبكم» يقصد أبا عبيدة. انظر: معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٥٤٦..
- (١٨٣) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٧.
- (١٨٤) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٦٨.
- (١٨٥) المصدر السابق.
- (١٨٦) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦.
- (١٨٧) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٨.
- (١٨٨) مصطفى ناصف، نظرية التأويل، مرجع سابق، ص ٢٦.
- (١٨٩) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧.
- (١٩٠) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٢.
- (١٩١) ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ص ٩٣.
- (١٩٢) انظر: التبريزي، شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ١٣ وما بعدها..
- (١٩٣) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤.
- (١٩٤) الأخبار التي تتناولها كتب الأدب عن مجالس الخلفاء، ما يدور فيها من شعر كثيرة، وقد ذكر المبرد عن عبد الملك بن مروان أنه كان يتجنب غير الأدباء مجالسين له، انظر: المبرد، الكامل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٧٥. وقد ذكر صاحب شروح الشعر الجاهلي أن البداية ساذجة بسيطة.. سؤال حول كلمة أو استنفار عن واقعة، أو استعلام عن رواية أو قائل بيت. انظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٠. وقد فصل القول في الحديث عن نشأة الشروح، وإيراد النماذج على ذلك.
- (١٩٥) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، الطبعة الثالثة، (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت)، ج ٢، ص ٤٠٠.

(١٩٦) إنباه الرواة، ج ٢، ص ١٠٦. نقلًا عن أحمد جمال العمري، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٦.

(١٩٧) شرح الشعر عند العرب، مرجع سابق، ص ٧٨. والشواهد على وقوف الشراح عند قضايا البلاغة كثيرة بيد أنها ليست كالعناية بالشواهد، أو اختلاف الرواية.

(١٩٨) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(١٩٩) المناهج النصية نظرت إلى النص الأدبي مستقلا عن سياقه، في حين ذهبت التاريخية الجديدة إلى توسيع دائرة السياق الذي من خلاله يتم قراءة النص الأدبي، فأدخلت فيه السياق العام إلى الخاص.

(٢٠٠) اهتم الدارسون منذ القديم في السياق الذي يسمى أحيانا بالمقام، وينقسم السياق إلى قسمين بوجه عام: سياق لغوي، ويقصد به ما يسبق الكلمة أو يلحقها من كلمات في النص المدروس، ويتسع لأن يشمل القطعة كلها، والكتاب كله، بمعنى كل ما يرد في النص المدروس من عناصر لغوية، والقسم الثاني: سياق غير لغوي وهي الظروف الخارجية الذي يقال فيها الكلام، ويسمى المقام. انظر: د. العيد جولي، مصطلح السياق في التراث العربي وعلم اللغة الحديث، مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، الجزائر، يناير ٢٠١١.

(٢٠١) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٣٨٤.

(٢٠٢) انظر: فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠)، ص ٣٧.

(٢٠٣) التبريزي، شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ٢٦١.

(٢٠٤) في حين نجد القشيري في شرحه للمعلقة يشرح «أعرضت» بأنها «لاحت»، وهو وإن كان يؤيد معنى الظهور لكنه يفيد الظهور الجزئي الذي يشبه السراب، وكأن الشراح يجمعون على أن «اليمامة» الموضع. انظر: عمرو بن كلثوم، الديوان، تحقيق أيمن ميدان، الطبعة الأولى، (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٩٩٢)، ص ٣١٨.

(٢٠٥) القرآن الكريم، سورة فصلت، آية ٥١.

(٢٠٦) الذي يعزز القول بأن «اليمامة» امرأة ما ذهب إليه أبو عبيدة في شرح قول جرير: أما الفؤاد فلا يزال موكلًا بهوى حمامة أو برياً العامر، بأن «حمامة» و«رياً» امرأتان، وهو ما أنكره عمارة بن عقيل. انظر: ابن النديم، الفهرست، مرجع سابق، ص ٨١. في حين جاءت رواية الديوان: بهوى جمانة أو برياً العاقر. انظر: محمد بن حبيب، شرح ديوان جرير، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٨؛ مما يعزز المعنى الذي ذهب إليه الشراح، وفي شرح ديوان أبي تمام أن سميت بهذا الاسم على امرأة كانت تقيم فيها. انظر: التبريزي، مصدر سابق، ج ١، ص ٩٧.

(٢٠٧) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٣٣٠.

(٢٠٨) انظر: شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ٢٢٩. وفيما يؤيد هذا السياق اللغوي الذي ينتج معنى محدداً للبيت ما ذكره كاتب هوامش شرح التبريزي تعليقا على قول التبريزي بأن المهضم هو المكسر: «مزمار مهضام لأنه فيما يقال إكسار يضم بعضها إلى بعض»، ثم أحال إلى اللسان، ووضح أن استدعاء هذا المعنى جاء لإحكام السياق اللغوي للدلالة التي ذكرها ابن الأنباري ومنع الاحتمالات الأخرى للمعنى بدليل أن المصدر المعتمد في الحديث عن المزمار غير متحقق من ذلك فهو يقول «فيما يقال»، والاستشهاد ببيت عنتر لا يعني تحقيق المعنى بقدر ما يدل على اشتغاره.

(٢٠٩) انظر: الأعلام الشنتمري، شرح ديوان عنتر، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

(٢١٠) التبريزي، شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ٢٢٩.

(٢١١) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢١٢) «التجريد أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه». القزويني، الإيضاح لتلخيص المفتاح، شرح عبد المتعالى الصعيدي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٤.

(٢١٣) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٢.

- (٢١٤) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٧.
- (٢١٥) انظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٣.
- (٢١٦) تناول فان داك أدوات الربط ولزوم نتائجها في بناء النص، وتأثيرها على اختلاف المعنى من متلق إلى آخر. انظر: فان داك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، مرجع سابق، ص ٨٢.
- (٢١٧) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، ج ١، ص ١٠٨.
- (٢١٨) المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (٢١٩) المصدر السابق، ج ١، ص ١١٥.
- (٢٢٠) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٢٠.
- (٢٢١) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٢٣.
- (٢٢٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٠.
- (٢٢٣) المصدر السابق نفسه.
- (٢٢٤) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠١.
- (٢٢٥) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٨.
- (٢٢٦) هذا السؤال عن التخصيص موجود في غير هذا الموضوع، إذ تساءل النقاد القدماء عما يميز «وحش وجرة» التي يضرب بها الشعراء المثل عن غيرها من الوحش، كما في قول النابغة:
- من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
- يقول التبريزي: «خص وحش وجرة لأنها فلاة يقال إن فيها ستين مثلاً والوحش يكثر فيها، ويقال: إنها قليلة الشرب». التبريزي، شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ٣٥٣.
- (٢٢٧) انظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، المصدر السابق.

- (٢٢٨) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج ١، ص ٣١٤.
- (٢٢٩) يساند هذا المعنى قصيدة الحطيئة التي مطلعها "وطاوي ثلاث" إذ نجد الهم قد ركبته حين رأى ضيفا وليس لديه ما يقدمه له:
- رأى شبحاً وسط الظلام فراعته فلما بدا ضيفاً، تسور واهتما
- ولم يرض أن يكون قراه شيئاً يسيراً، بل كان بقرة وحشية سمينية تشبه الناقة في البيت المشار إليه. انظر: ابن السكيت، شرح ديوان الحطيئة، مصدر سابق، ٣٣٦.
- (٢٣٠) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٧.
- (٢٣١) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨.
- (٢٣٢) شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٥٠.
- (٢٣٣) المصدر السابق.
- (٢٣٤) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٤٤٥.
- (٢٣٥) شرح ديوان الحماسة، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٧..
- (٢٣٦) المصدر السابق.
- (٢٣٧) شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٠.
- (٢٣٨) انظر: التبريزي، شرح القصائد العشر، مصدر سابق، ص ١٣٦.
- (٢٣٩) انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، مصدر سابق، ج ١، ص ٥، ١١.
- (٢٤٠) محمد بن حبيب، شرح ديوان جرير، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٣.
- (٢٤١) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٨، ١٢١.
- (٢٤٢) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٧.
- (٢٤٣) انظر: إحسان عباس، شرح ديوان لبيد بن ربيعة، الطبعة الثانية، (الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٨٤م)، ص ٢٤.

- (٢٤٤) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، المصدر السابق.
- (٢٤٥) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص٤٠٢. نقلا عن: د. أحمد رزيق، موجّهات التلقي في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ١٧٢، أبريل-يونيو ٢٠١٧.
- (٢٤٦) يستخدم القدماء مصطلح «الأبيات المشكّلة» للأبيات التي تتضمن معنى جديدا، غريبا، أو استعارة غير بينة، أو صنعة يصعب فهمها. وهو وصف إلى المدح والثناء أقرب منه إلى الذم والانتقاص، ولذا فقد كانت العناية في كثير من الشروح متجهة إليها بالمقام الأول لكونها تستحق العناية والاهتمام، وقد يقوم عليها نقاش، وحوار طويل بين العلماء. انظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ص١، وانظر: الصقلي المغربي، التكملة وشرح الأبيات المشكّلة من ديوان أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ص٢٥.
- (٢٤٧) أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧)، ص١٥٤.
- (٢٤٨) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص٢٣٩.
- (٢٤٩) المصدر السابق، ص٣٣٠.
- (٢٥٠) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لـديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.
- (٢٥١) ابن النديم، الفهرست، مرجع سابق، ص٨١.
- (٢٥٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٠.
- (٢٥٣) انظر: عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الطبعة الأولى، (عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥)، ص١٥٠.
- (٢٥٤) انظر: كليمان موازان، ما التاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: حسن الطالب، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م)، ص١٧٢.
- (٢٥٥) قسم أرسطو الأمثلة إلى قسمين: قسم حقيقية، واقعة يوردها المتكلم، وهذه هي الشواهد التي يسميها أمثلة، وقسم آخر يخترعها المتكلم من تلقاء نفسه. انظر:

- أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص ١٤٦.
- (٢٥٦) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٩.
- (٢٥٧) انظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، الطبعة الأولى، (عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧)، ص ٨١.
- (٢٥٨) المرجع السابق، ص ٧٩.
- (٢٥٩) انظر: المرجع السابق، ص ٨١.
- (٢٦٠) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، مصدر سابق، ص ٢٣٩.
- (٢٦١) شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٨.
- (٢٦٢) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٦.
- (٢٦٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣.
- (٢٦٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.
- (٢٦٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٥١.
- (٢٦٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.
- (٢٦٧) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣١.
- (٢٦٨) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.
- (٢٦٩) الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦.
- (٢٧٠) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق وتصحيح محب الدين الخطيب وآخرون، الطبعة الأولى، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ)، ج ٤، ص ١٩٢.
- (٢٧١) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصدق، دراسة وتحقيق الشربيني شريدة، د.ط، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٧)، ص ٩٥.
- (٢٧٢) الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، ج ١، ص ٣٣.
- (٢٧٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩.

- (٢٧٤) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٢٨.
- (٢٧٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٣٨.
- (٢٧٦) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣.
- (٢٧٧) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥ وما بعدها.
- (٢٧٨) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥.
- (٢٧٩) المصدر السابق، ج ١، ص ٦١.
- (٢٨٠) اشرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٦.
- (٢٨١) المصدر السابق، ج ١، ص ٨١.
- (٢٨٢) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، ج ١، ص ١٠٧.
- (٢٨٣) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٢٢.
- (٢٨٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٩٨..
- (٢٨٥) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٤.
- (٢٨٦) التبريزي، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦.
- (٢٨٧) المصدر السابق.
- (٢٨٨) ابن جني، الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٧.
- (٢٨٩) المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣.
- (٢٩٠) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٣٥.
- (٢٩١) أرسطو، الخطابة، مصدر سابق، ص ١٤٩.
- (٢٩٢) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مصدر سابق، ص ٣١.
- (٢٩٣) الفسر الشرح الكبير لديوان المتنبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤.
- (٢٩٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٤١.

قائمة المصادر والمراجع

أولا – المصادر:

- ابن الأنباري. (١٩٨٠). *شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات*، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف.
- التبريزي. (د.ن). *شرح ديوان الحماسة*، د.ط، بيروت: عالم الكتب.
- التبريزي. (١٩٨٥). *شرح القصائد العشر*، ضبطه وصححه: عبد السلام الحوفي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- التبريزي. (١٩٦٤م). *شرح ديوان أبي تمام*، د.ط، القاهرة: دار المعارف.
- ثعلب. (١٩٨٨). *شرح ديوان الخنساء*، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، الطبعة الأولى، عمان: دار عمار.
- ابن جني. (د.ت.). *تفسير أرجوزة أبي نواس في تقرير الفضل بن الربيع*، تحقيق محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، دمشق: مجمع اللغة العربية.
- ابن جني. (٢٠٠٤). *الفسر شرح ابن الجني الكبير على ديوان المتنبي*، تحقيق د. رضا رجب، الطبعة الأولى، دمشق: دار الينابيع طباعة، نشر، توزيع.
- ابن حبيب، محمد. (١٩٨٦). *شرح ديوان جرير*، تحقيق: د.نعمان محمد أمين طه، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف.
- ابن ربيعة، ليبد. (١٩٨٤م). *الديوان*، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، الكويت: مطبعة الحكومة.
- الزوزني. (٢٠٠٦). *قشعر الفسر*، تحقيق: د. عبد العزيز المناع، الطبعة الأولى، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- السكري. (د.ت.). *شرح أشعار الهذليين*، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، راجعه محمود محمد شاكر، د.ط، القاهرة: مطبعة المدني.
- ابن السكيت. (١٩٨٧م). *شرح ديوان الحطينة*، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة المدني.

- الصقلي. (د.ت). **التكملة في شرح الأبيات المشككة من ديوان أبي الطيب المتنبي**، تحقيق: أنور أبو سليم، الطبعة الأولى، عمان: دار عمان للطباعة والنشر.
- ابن شداد، عنقرة. (١٩٨٣م). **الديوان**، تحقيق: محمد سعيد مولوي، الطبعة الثانية، بيروت: المكتب الإسلامي.
- أبو عبدة. (١٩٨٨م). **شرح نقائض جرير والفرزدق، الطبعة الأولى**، بيروت: دار صادر.
- امروء القيس. (١٩٨٤م). **الديوان**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف.
- ابن كلثوم، عمرو. (١٩٩٢م). **الديوان**، تحقيق: أيمن ميدان، الطبعة الأولى، جدة: النادي الأدبي الثقافي.
- المرزوقي. (١٩٦٧م). **شرح ديوان الحماسة**، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- المعري. (١٤١٣هـ). **شرح ديوان المتنبي معجز أحمد**، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف.
- المعري. (١٤٢٩هـ). **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي**، حققه: محمد سعيد مولوي، الطبعة الأولى، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الأزدي. ابن معقل (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **كتاب المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي**، تحقيق: د. عبد العزيز المانع، الطبعة الأولى، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الواحدي. (١٨٦١م). **شرح ديوان المتنبي**، تأليف: فريدريخ ديتريشي، د.ط، برلين.

ثانيًا- المراجع:

القرآن الكريم.

إبراهيم، طه أحمد. (١٩٨٥م). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير. (١٤٠٤هـ). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، الرياض، دار الرفاعي.

أرسطو. (٢٠٠٨م). *الخطابة*، ترجمة عبد القادر قنيني، دبط، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

الأسد، ناصر الدين. (١٩٧٨). *مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية*، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار المعارف.

البخاري. (١٤٠٠هـ). *الجامع الصحيح*، تحقيق وتصحيح: محب الدين الخطيب وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة: المكتبة السلفية.

التوحيدي، أبو حيان. (٢٠٠٧م). *الصدافة والصديق*، دراسة وتحقيق: الشربيني شريدة، دبط، القاهرة: دار الحديث.

الجرجاني، عبد القاهرة. (١٩٨٢م). *دلائل الإعجاز*، تصحيح وتعليق: السيد محمد رشيد رضا، دبط، بيروت: دار المعرفة.

ابن أبي الحديد. (١٩٨٤م). *الفلك الدائر على المثل السائر*، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، الرياض: دار الرفاعي.

الحموي، ياقوت. (٢٠١٥م). *معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية: بيروت: دار الغرب الإسلامي.

دايك، فان. (٢٠٠٠م). *النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

ابن رشيق. (١٩٨١م). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، حققه، وفصله، وعلق حواشيه. محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجبل.

- السكاكي، أبو يعقوب. (٢٠١٤م). *مفتاح العلوم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، جلال الدين. (د.ت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- الصعيدى، عبد المتعالى. *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح*، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت.
- عبد الحميد، محمد محيي الدين. (د.ت). *الانتصاف من الإنصاف*، في حاشية الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين، أبو البركات الأنباري، د.ط، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
- العمرى، أحمد جمال. (١٩٨١). *شروح الشعر الجاهلي*، الطلعة الأولى، القاهرة: دار المعارف.
- قادا، عبد العالي. (٢٠١٥). *الحجاج في الخطاب السياسي*، الطبعة الأولى، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- المبرد: (١٤١٨هـ). *الكامل*، تحقيق: محمد الدالي، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- مشبال، محمد. (٢٠١٧م). *في بلاغة الحجاج*، الطبعة الأولى، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- موازن، كليمان. (٢٠١٠م). *ما التاريخ الأدبي*، ترجمة وتقديم: حسن الطالب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- ناصر، مصطفى. (٢٠٠٠م). *نظرية التأويل*، الطبعة الأولى، جدة: النادي الأدبي الثقافي.
- ابن النديم. (١٩٩٤م). *الفهرست*، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة.
- هلال، محمد غنيمي. (١٩٨٣م). *الأدب المقارن*، د.ط، بيروت: دار العودة.
- الودرنى، أحمد. (٢٠٠٩م). *شرح الشعر عند العرب من أصول إلى القرن ١٤/٢٠م (دراسة سائكونية)*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الولي، محمد (٢٠٠٥م). *الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية*، الطبعة الأولى، الرباط: دار الأمان.

ثالثاً- المقالات:

جولي، العيد. (يناير ٢٠١١م). *مصطلح السياق في التراث العربي وعلم اللغة الحديث*، مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، الجزائر.

رزيق، أحمد. (أبريل - يونيو ٢٠١٧م). *موجهات التلقي في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي*، عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ١٧٢.

Literary explanations

Abstract:

It is possible to say that the old Arabic scholars started their scientific movement with explanation. At the first, explaining the Quran with Hadaith and old Arabic poetry which became an independent field of study, afterward.

It starts as a simple trying to enlighten the inherited old poetry but soon, the major elements were used in the explanation by the scholars. These elements constructed the science of explanation where scholars committed to cover them in their explanation; such as several narration of the words of the line of poem, several meaning of the words of poem and the previous use of the poetry meaning between other poets.

However, these elements became no longer essential in explanation structure but applying them in finding out the possibilities of meaning of the poetic sentence or the line of poem which led the scholars to dig down with these elements into the structure of the line to find out the true meaning using "intention" of the poet as an excuse for these digging.

Meanwhile, they posted some meaning as they disgrace others pretending, in this process, objectivity with using the mention elements as scientific tools to understand the poetry and convey the meaning while they were influenced by their social and historical background which governed their test and choices. This final result makes explanation epistemological discourse rather than a school explanation.

Author:**Prof. Ibrahim Mohammed Alshatwy**

- A professor of the literature and criticism.
- P.H.D in from Arabic language faculty- Alimam University. 2001 with first honor degree.

Scientific publication:**Recognized studies:**

- 1 - The phenomenon of the time with its meanings in the collection of Mohammed Althobaity` "Tahajjaito Holman Tahajjaito wahma". Human science journal. Albaharain University. Vol. 8. 2004.
- 2 - Intersexuality in Aser Allymone by Taha Wadi. Egypt. Fiker Wa Ebdaa Journal. Vol.25. 2004.
- 3 - The literature of children an analytic vision. Arabic human science journal. Alkwait University. 2006.
- 4 - In the self research A study of Safyanah wa Amirat Aldhilal by Maha Alfaisal. Al-ather journal. Algeria. Warqalah university. 2005.
- 5 - The narrative Space in "Saqafat Assafa" by Hamza Bogri. AlRiyadh. Addarah Journal. 2006.
- 6 - The feminism in Saudi critical discourse; a study for Sua`ad Al- Manie writing.
- 7 - AlRiyadh. King Saud university.2010.
- 8 - The mystic Space in "Jabal Qaf" by Mohammed Bin Arafa. Egypt.Journal of Arabic Faculty- Alazhar. 2010.
- 9 - Crossing culture and identity; an analytic study for "Takhlais Alibraze fi talkhais paris" by Rifaa Altahtawy. Jaddah. Human science Journal. King Abdul Aziz university.
- 10 - A question of value in "Jahilayh" novel. by Laila Aljuhani. Albahrain. Human science Journal. 2016.
- 11 - The novel and history a study in the dialectic relation. Arriyadh. Adderayah Journal. 2018.
- 12 - Replacement of Idintity; a study on "Kharej Aljased" by Afaf bataynah. Albahrain. Simat electronic journal. 2013.
- 13 - Oral and writing in "asatair Sha`abayah" by Abdul Karaim Aljuhaiman. Alriyadh. King Saud university.2016.
- 14 - Behavioral and knowledgeable in constructing of cultural identity; a study of narrative biography "experience of an extremist boy" by Mohammed Aloain. Egypt. Seagat Alluaghah wa adderasat Albyanayah journal. Vol. 1
- 15 - The phenomenon of the self` in the Saudi critic of the self biography.
- 16 - Alriyadh. The Literature club. 2018.
- 17 - The terminology of Saudi critic study. (Unpublished).
- 18 - Interactive text; Theoretical foundation approach. (Unpublished).

Publications:

- 1 - Abdula Aziz Alrifai`i literature; Study the subject and arts. Alriyadh. Dar Arrefa`i for publishing. 1999.
- 2 - The cultural conflict in Egyptian ` novel. Alriyadh. 2002.
- 3 - Researches in identity; studies in Arabic novel. Egypt. Dar Shargait. 2010.
- 4 - Dialectic of relations between time, space and man in "Tahjjayto holma tahjjayto wahma" collection. Germany. Noor publisher. 20017.
- 1 - Studies in The literature and criticism . Alriyadh. Literature club. 2017.
- 1 - Talk of book "academic biography. Alriyadh. Dar Almofradat. 2017.
- 1 - Dark Almagal; studies in Saudi literature and criticism. MAkkah. Cultural club. 2020.

Monograph 540

Literary explanations

Ibrahim Mohammed Alshatwy, P.H.D

Arabic language faculty- Alimam University

عزيزي القارئ:

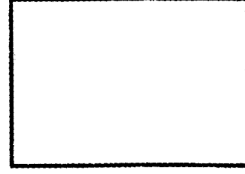
يسر أسرة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية أن ترحب بكم وتتقدم لكم بأطيب التحيات، شاكرين لكم سلفاً تعاونكم من أجل تطوير الحوليات؛ وذلك من خلال إجابتكم عن هذه الأسئلة:

- ١ - العمر: سنة
- ٢ - الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- ٣ - بلد الإقامة: ☐ الكويت ☐ خارج الكويت (انكر)
- ٤ - التعليم:
- ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه ☐
- ٥ - طبيعة المهنة:
- أكاديمي ☐ إداري ☐ مهني ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٦ - مواضيعك المفضلة:
- أدبية ولغوية ☐ سياسية ☐ اجتماعية ونفسية ☐
- تاريخية ☐ ثقافية ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٧ - كيف تحصل على الحوليات؟
- شراء ☐ اشتراكاً ☐ استعارة ☐
- ٨ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟ ☐ نعم ☐ لا
- ٩ - رأيك في حجم الحوليات؟
- كبير ☐ متوسط ☐ صغير ☐
- ١٠ - كيف ترى موضوعات الحوليات؟
- متنوعة ☐ غير متنوعة ☐
- ١١ - ما الطابع العام للحوليات من وجهة نظرك؟
- لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐
- ١٢ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٣ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٤ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٥ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٦ - اقترحاتك لتطوير الحوليات وتطوير خدماتها للقارئ:

.....

.....

.....



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
ص.ب: 17370 الخالدية
الكويت 72454
دولة الكويت

البريد الجوي
BY AIR MAIL
PAR AVION

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

وقف الأمانات العامة للأوقاف

تنظم الأمانة العامة للأوقاف بطولة الكويت

مسابقات الأمانات العامة للأوقاف
Kuwait International Contest on Waqf Researches

الدورة الحادية عشرة

(١٤٣٩ - ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨ - ٢٠١٩م)

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية



موضوعات المسابقة الحادية عشرة:

الموضوع الأول: الوقف ودوره في حفظ الاستثمارات للأجيال القادمة.

الموضوع الثاني: دور المؤسسات الوقفية (الكويتية - الأهلية) في العمل الإغاثي.

شروط التقديم لمسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف.

أولاً: الشروط العامة للمسابقة:

١. يجب للباحثين: الأفراد أو المجموعات أو المؤسسات العلمية المشاركة في المسابقة.

٢. تقدم الأبحاث بأحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية). بشرط أن يكون البحث مصحوباً بترجمة كاملة إلى العربية.

٣. ألا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات. ٤. الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث مع التوثيق العلمي للأراء وفقاً للقواعد المتعارف عليها.

٥. المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٦. يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترق الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٧. يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٨. للأمانة العامة للأوقاف حق نشر الأبحاث الفائزة، والاستفادة منها بالطرق التي تراها ملائمة.

٩. الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠. لا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، وبحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو مستلاً من رسالة علمية.

١١. لا يحق لمن فاز في إحدى دورات المسابقة أن يشارك في الدورة التي تليها مباشرة.

١٢. لا يحق للناشرين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم أو التصرف فيها لغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٣. تقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقاً للتخطيط، اعتمد الصفحة الذي هو على النحو الآتي:

أ - هوامش الصفحة:	- الفراغ أعلى وأسفل: ٥٤ سم.
	- الفراغ يمين ويسار: ٣ سم.
ب - الخط في المتن:	- نوعية الخط Traditional Arabic bold 16 لتكثيف.
	- حجم الخط 11
ج - الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:	- المسافة بين الأسطر single
	- المسافة بين الأسطر single

٤- توثيق الجرائد:

إذا وردت الجريدة لأول مرة، فيذكر اسمها وعددها وتاريخها، ثم عنوان المقال واسم صاحبه ورقم الصفحة ورقم العمود (في غالب الأحيان). وإن وردت فيما بعد، فيتم إبراد اسمها وعددها مع عنوان المقال واسم صاحبه ووضع رمز (م.س) ثم رقم الصفحة والعمود، أو وضع رمز (م.ن) في مكان الرمز السابق إن ورد المرجع نفسه مرة ثانية مباشرة، مع إحداث التبديلات اللازمة في حالة اختلاف المقال والكتاب ورقم الصفحة.

٥- توثيق المواقع الإلكترونية:

إذا ورد الموقع الإلكتروني لأول مرة فيذكر عنوان البحث أو المقال أو غير ذلك، ثم اسم المؤلف، وعنوان الموقع الإلكتروني، ووقت أخذ المعلومة من الموقع (باليوم والساعة والدقيقة).

ثانياً: إجراءات التقديم للمسابقة:

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف:

<http://www.awqaf.org.kw>

٢) ترسل الأبحاث للأمانة العامة للأوقاف بديهة الكويت، مرفقاً بها نموذج الاشتراك والسيرة الذاتية على النحو الآتي:

أ- إلكترونيًا: على البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية:

serd@awqaf.org

ب- بريدياً: بإرسال نسخة ورقية مع قرص مضغوط على العنوان الآتي:

مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية

الأمانة العامة للأوقاف

السمة: قطعة ٦ - شارع حمود الرقبة

ص ب ٤٨٢٣ الصفاة - ١٣٠٠٥ دولة الكويت.

٣) مزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على هاتف:

(الرمز الدولي ٠٠٩٦٥)

٢٢٠٦٥٤٨ - ٢٢٠٦٥٤٩

فاكس: ٢٢٥٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥)

رابعاً، جوائز المسابقة:

تقدم جوائز نقدية قيمة للفائزين في كل موضوع على حدة.

١٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية. ١٥. تقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ٢٧ رمضان ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٩/٥/٢١م.

ثانياً، توثيق المصادر والإحالات المرجعية:

يتم توثيق الإحالات المرجعية وفق الآتي:

أ) الرموز المعتمدة:

اعتماد بعض الرموز في شأيا البحث، وهي:

[...] التي تدل على أن هناك كلاماً تم حذفه من النص الأصلي، [] التي تدل على أن الكلام الموجود بداخل المعقوفتين إنما هو إضافة من عند الباحث.

(م.س): في الهوامش وتعني: مرجعاً سابقاً.

(م.ن): في الهوامش وتعني: المرجع نفسه.

ب) توثيق المصادر والمراجع:

ويكون على النحو الآتي:

١- توثيق الكتب والكتيبات:

إذا وردت لأول مرة، فيسبتم ذكر عنوانها ومؤلفها، ودار النشر أو الطبع، ومكانها، وعدد الطبع، وسننها، ثم رقم الصفحة، وإذا وردت فيما بعد، فيتم ذكر اسم الكتاب، والمؤلف مع وضع رمز (م.س) ثم رقم الصفحة، أو وضع رمز (م.ن) ورقم الصفحة إذا ورد بعده مباشرة مرة ثانية في مكان الرمز السابق، وإن تكرر وروده بكثرة فيتم الاستغناء عن ذكر (م.س).

٢- توثيق النشرات:

إذا وردت للمرة الأولى، فيتم ذكر عنوانها، وتاريخ حدوثها، والرامي أو المنظم لها (إن وجد)، ثم عنوان البحث المقدم، واسم صاحبه، ورقم الصفحة، وإن كان قد تدخل أو تعقبتاً فيذكر اسم صاحبه ورقم الصفحة، وفي حالة ورود الفتوة فيما بعد، فيذكر اسمها وعنوان الموضوع أو البحث مع اسم صاحبه ورقم الصفحة، وإن كان تدخل أو تعقبتاً فاسم صاحبه بالإضافة لرقم الصفحة من دون تسليان وضع رمز (م.س) قبل رقم الصفحة أو وضع رمز (م.ن) إن ورد المرجع نفسه مباشرة مرة ثانية في مكان الرمز السابق.

٣- توثيق المجلات أو الدوريات:

إذا وردت للمرة الأولى، فيتم إبراد اسم المجلة أو الدورية وعددها وتاريخ صدورها، ثم عنوان الموضوع واسم صاحبه ورقم الصفحة. وإن وردت فيما بعد، فيذكر اسمها وعددها ثم عنوان الموضوع (وقد يتم اختصاره إذا كان طويلاً) واسم صاحبه، مع وضع رمز (م.س) ورقم الصفحة، أو وضع رمز (م.ن) إن ورد المرجع نفسه مباشرة مرة ثانية، وفي حالة ما إذا كان الموضوع مختلفاً فيتم ذكر عنوانه واسم صاحبه ثم رقم الصفحة.

إصدار شهري

« تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر »

نعنى بشؤون الأنظمة والمحاماة



أهداف المجلة :

- * طرح ومعالجة شتى قضايا العصر ذات الطابع الشرعي والقانوني مع التركيز على إبراز الفقه الإسلامي وتبيان تميزه وشموليته في معالجة تلك القضايا .
- * أن تكون ساحة إعلامية لنوعي الإختصاص الشرعي والقانوني يقدمون من خلالها البحوث والدراسات ، فضلاً عن التحقيقات الصحفية المتميزة ذات العلاقة .
- * نشر الوعي بأهمية المحاماة ، وحاجة الناس إليها والتأكيد على أن المحاماة علم ، وفن ، ورسالة .

دعوة للمشاركة :

- * يسر « المحامي » دعوتكم للمساهمة عبر صفحاتها في كل الشؤون الشرعية والقانونية من بحوث ودراسات ومقالات أو تحقيقات .
- * تقدم المجلة مكافأة عن المقالات والمواضيع التي تقبلها للنشر .

رئيس التحرير :

المحامي / طارق المزني

سكرتير التحرير :

حسين العسكر

مسؤول إشتراكات :

خالد يس

الهيئة الاستشارية :

فضيلة الشيخ / عبد الله البسام

فضيلة الشيخ / مصطفى الزرقا

فضيلة الشيخ / سعد البريك

سعادة الدكتور / سعود الدريب

سعادة الأستاذ / عبدالله السبهان

سعادة الدكتور / عبدالفتاح خضر

سعادة المستشار / أحمد منير فهمي

الاشتراكات: المملكة العربية السعودية : ١٠٠ ريال في السنة (للأفراد والمؤسسات)

الدول الأخرى : ٢٧ دولار أمريكي (للأفراد والمؤسسات)

تدفع الاشتراكات باسم المجلة ، بشيك مسحوب على أحد المصارف السعودية أو بتحويل مصرفي باسم رئيس التحرير : حساب رقم ٥٦٤٩/١ - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - الرياض - فرع الروضة .

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير : ص . ب ٦٨٧٤ الرياض (١١٤٥٢)

هاتف : ٤٦٥٢٧٢٥ (٩٦٦١) / فاكس : ٤٦١٣١٥٢ (٩٦٦١)

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. بنیان سعود تركي

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون
منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات العلمية.

ومن أبوابها

- البحوث العربية.
- البحوث الإنجليزية.
- الببيلوجرافيا الإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية.
- عرض الكتب ومراجعتها.
- (ماجستير - دكتوراه).
- الببيلوجرافيا العربية.
- التقارير : مؤتمرات - ندوات

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص.ب. 17073 الخالدية - الرمز البريدي: 72451 الكويت

تلفون: 24984067 - 24984066 - 24833215 - فاكس: 24833705 +965

E-mail: jgaps@ku.edu.kw - jgaps.ku@gmail.com

<http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps>

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية:

EBSCO Publishing Products

www.mandumah.com دار المنظومة:

الرقم الدولي للمجلة: 0254 - 4288 ISSN



لجنة التأليف والتعريب والنشر



جامعة الكويت مجلس النشر العلمي

تشكلت لجنة التأليف والتعريب
والنشر - التابعة لمجلس النشر
العلمي بجامعة الكويت
في عام 1976.

* أهداف اللجنة:

- 1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت.
- 2- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية.
- 3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسية التي انعقد عليها الإجماع العربي.

* مهام اللجنة:

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية (Text Book). والمترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها على نفقة الجامعة. ويراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي:

لجنة التأليف والتعريب والنشر/ جامعة الكويت

ص.ب: 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت

تلفون: 24984566 - 24984571 (965)

البريد الإلكتروني: atpc@ku.edu.kw

الموقع على الإنترنت: www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/atpc

مجلة فصلية أكاديمية

محكمة تعنى بنشر البحوث

والدراسات القانونية والشرعية

مجلة الحقوق



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور/ فيصل عبدالله الكندري



صدر العدد الأول في

يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية	
٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً	الأفراد
١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً	المؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت

تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣

E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol>

ISSN 1029 - 6069



التعاون Attaawun

رئيس التحرير
الدكتور مرزوق بشير مرزوق

صدر العدد الأول

في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ — يناير ١٩٨٦ م

— تقبل الدراسات والبحوث والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والإعلامية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية .

— تشمل على بحث أو دراسة رئيسية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى تحت عنوان : بحوث — آراء ووجهات نظر / تقارير / وثائق / عرض كتب / يوميات مجلس التعاون / جيوغرافيا مجلس التعاون / إحصاءات مجلس التعاون

يحررها نخبة من الباحثين والمختصين
يمنح المشاركون مكافأة مالية وفق نظام المكافآت الخاصة بالمجلة

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير — مجلة التعاون

ص . ب : ٧١٥٣ — الرياض : ١١٤٦٢

هاتف : ٤٨٨٠٤١٢ (٩٦٦١)

فاكس : ٤٨٢٩١٠٩ (٩٦٦١)

Email : attaawun@gcc-sg.org

KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE

An International Journal of the Kuwait University

ISSN 2307 - 4108

A refereed Journal publishes original research in various fields of Basic and Applied Sciences and also Computer Sciences. The Journal is published three times a year by the Academic Publication Council (APC) Kuwait University.

The Journal is indexed and abstracted by major publishing houses such as Chemical Abstract, Science Citation Index Expanded, Mathematical Reviews, SCOPUS, zbMATH, Current Contents, Mathematics Abstract, Microbiological Abstracts, Directory of Open Access Journals (DOAJ) etc.

Annual Subscription

Inside Kuwait:	3 KD 15 KD	<i>for individuals.</i> <i>for establishments</i>
Arab Countries:	4 KD 15 KD	<i>for Individuals.</i> <i>for establishments</i>
Other Countries:	15 US\$ 60 US\$	<i>for Individuals.</i> <i>for establishments</i>

Index to KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE is available from the Academic Publication Council, Kuwait University.

All Correspondence and Manuscripts directed to:
Professor Mohammad Afzal, Editor-in-Chief
P.O.Box 17225, Khaldiya 72453, KUWAIT
Tel: (+965) 2481 6261, 2498 4414, 2498 4625, 2498 4456.
Fax: (+965) 2484 6725

E-mail: kjs@ku.edu.kw
Website: <http://journals.ku.edu.kw/kjs>

The Journal is now Printed and bounded in the STATE OF KUWAIT by the Al-Khat Printing Press Company. P. O. Box: 26992 Safat 13130 Kuwait
Tel.: (+965) 24844545 Fax: (+965) 24844949
(Email: info@alkhatpress.com)

The Publications of The Academic Publication Council

Journal of the Social Sciences 1973, Kuwait	Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab	Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.
---	---	--

المجلة العربية للمعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

ajh بحوث باللغة العربية
ajh بحوث باللغة الإنجليزية
ajh مناقشات وندرات
ajh عروض الكتب الجديدة



رئيسة التحرير

أ.د. نسيمه راشد الغيث

مجلس
النشر
العلمي



ص.ب: 26585 الصفاة 13126 الكويت- هاتف: (965)24817689 - (965)24815453 فاكس: (965) 24812514

P.O. Box 26585 Safat, 13126 Kuwait - Tel.: (965) 24817689 - (965) 24815453 - Fax: (965) 24812514

Email: ajh@ku.edu.kw - [http:// www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh](http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh)

مجلة العلوم الاجتماعية

تأسست عام ١٩٧٣م. فصلية. محكمة. تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاجتماع والخدمة الاجتماعية
وعلم النفس والأنثروبولوجيا والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات والأعلام



رئيس التحرير:
د. مها مشاري السجاري

تفتح أبوابها أمام

أوسع مشاركة للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية
لنشر البحوث الأصلية والاسهام في معالجة قضايا مجتمعاتهم

ترحب بالدراسات المقارنة وتشجع على التكامل بين مختلف
تخصصات العلوم الاجتماعية

عرض مراجعات الكتب والتقارير وملخصات رسائل ماجستير
والدكتوراه

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى

EBSCO PUBLISHING

و دار المنظومة www.mandumah.com

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت

ص. ب: 27780 الصفاة، 13055 الكويت

تلفون: 00965 24810436

فاكس: 24836026

jss@ku.edu.kw

E-mail jsskuwait@gmail.com

الاشتراكات

الدول الأجنبية		الكويت والدول العربية	
أفراد	١٥ دولاراً	أفراد	٣ دنانير سنوياً في الكويت ٤ دنانير في الدول العربية
مؤسسات	٦٠ دولاراً في السنة ١١٠ دولارات لسنتين	مؤسسات	١٥ ديناراً في السنة ٢٥ ديناراً لمدة سنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم جامعة الكويت أو بتحويل مصرفي لحساب
جامعة الكويت رقم ٠٤٢١٠٢٦٠٨ لدى البنك المركزي في الكويت.

IBN / KW 21CBKU 000000000000004202608

Visit our Website: apc.kuniv.edu.kw/jss

حساب المجلة بالتويتر: @jsskuwait1

حساب المجلة بالاسستغرام: @jsskuwait

Advisory Board

Prof. Basil Hatim

American University
Sharjah United Arab Emirates

Prof. Mona Baker

Manchester University
United Kingdom

Prof. Ibrahim Al-Sa'afin

Department of Arabic Language
and Literature - Jordan University

Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al Fehri

Department of Arabic Language and
Literature - Mohamed V University

Prof. Ismail S. Muqlad

Department of Political Science
Assiout University

Prof. Hamdi Hasan Abul Enein

Dean, Faculty of Mass Communication
Misr International University

Prof. Mahmoud Al-Sayed Abul-Nil

Department of Psychology
Ain - Shams University

Editorial Board

Prof. Yagoub Y. Al-Kandari

Editor - in - Chief

Prof. Magdi A. Saleh

Department of Philosophy

Prof. Mohamed F. ALQudah

Department of Mass Communication

Prof. Gassem S. Al-Fuhaid

Department of Arabic Language
and Literature

Prof. Sanad A. Abdulfatah

Department of History

Prof. Hesham F. Gadel Rab

Department of Psychology

Prof. Abdulmuhsen A. Altabtabae

Department of Arabic Language
and Literature

Prof. Taghreed Al-Qudsi

Faculty Member In The Department of
Information Studies Dist, College of
Social Sciences

Prof. Haifa Youssef Al-Kandari

Social Work Department
College of Social Sciences

Dr. Layla M. H. Almaleh

Department of English Language
and Literature

Maha Ibrahim Al-Mas'ad

Acting Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT
PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS
RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS
OF THE FIELD OF HUMANITIES AND SOCIAL
SCIENCES.

Volume 40, 2020

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Literary explanations Study in the formation of cognitive discourse

Ibrahim Mohammed Alshatwy, P.H.D
Arabic language faculty- Alimam University



ISSN: 5248 - 1560

Monograph -540 Volume 40

1440 A.H/2020 (Mar)